المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

المسائل العقدية في قصة يوسف عليه السلام

في ضوء عقيدة السلف

رسالة ماجستير مقدمة لقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد الطالبة
سميرة بنت محمد سعيد الجهني

إشراف
د. سليمان بن محمد السدلان
الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

للعام الجامعي: ١٤٣٤هـ- ١٤٣٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وتشتمل على ما يلي:

أهمية الموضوع وأسباب الاختيار.

الدراسات السابقة.

خطة البحث.

منهج البحث.

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ــ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

لقد أنزل الله القرآن على محمد بن عبد الله ﷺ نورا وشفاء وهدى ورحمة بعد أن عاش العرب في غياهب من ظلام الجهل والضلال والبدع والخرافات فكان القرآن كالغيث المبارك أحيا به الله قلوب أهل الجزيرة العربية قبل أراضيها ونقاها من دنس وأدران الشرك والعادات الخبيثة السيئة التي سادت ثم انتشرت تعاليمه في أرجاء المعمورة بعد أن تلقاه الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين بالقبول وحرصوا على نقله ومدارسته والعمل بتعاليمه العظام وإظهار سماحة ديننا للأنام.

وسيظل القرآن هو الدستور والمنهج القويم الذي من حاد عنه ضل سواء السبيل وعرض نفسه للعذاب الأليم ومن تمسك به وقاه الله وكفاه ووفقه وأعانه وسدد خطاه.

ذلك القرآن الذي نزله الله متناسبا وحالة المسلمين حدثاء العهد بالإسلام وتدرجت أحكامه وتشريعاته ونهل المسلمون من فيض عبره وقصصه التي تخللت مواضع الأحكام والتشريعات وأمور اليوم الآخر والمعاد وكان من أبرزها وأهمها قصة نبي الله يوسف عليه السلام والتي وردت في سورة يوسف عليه السلام.

وقد اخترت من هذا الكتاب العزيز موضوعا لرسالتي لنيل درجة الماجستير عنوانه:

المسائل العقدية في قصة يوسف عليه السلام في ضوء عقيدة السلف.

أهمية الموضوع وأسباب الاختيار:

١- تنبع أهمية الموضوع من أهمية كتاب الله العزيز الذي استقي منه الموضوع والذي يحمل في طياته نماذج كثيرة من القصص القرآني عن أنبياء الله عليهم السلام وغيرهم،ومن ضمنه قصة يوسف عليه السلام وفيها العديد من العبر والعظات والتشريعات ومباحث متعددة في الاعتقاد يحسن تدارسها لقوة دلالتها ونماذج مضيئة جسدت مكارم الأخلاق وتمثلت كقدوة حسنة لمن وصلته وأراد الانتفاع بها.

٢- أن الكتابة في مثل هذه الموضوعات نقطة انطلاق تأصيلي للباحثة في بداية عملها العلمي لاشتمال القصة على مباحث كثيرة في الاعتقاد فيتسنى لها عرض المسألة الواحدة على نصوص القرآن والحديث وأقوال أهل العلم واستخلاص الفائدة المرجوة للباحثة ومن يستفيد من البحث بعد إتمامه.

٣- التشرف بخدمة كتاب الله سبحانه أشرف الكتب وأعظمها بيانا بعد إعانة الله وتسديده.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستفسار والاستشارة لم يتم العثور على بحث يدرس قصة يوسف عليه السلام من ناحية المباحث العقدية في القصة.

والدراسات السابقة للموضوع هي:

١) العبرة في قصة يوسف عليه السلام:

للأستاذة رفقية صباغ، إشراف: أحمد أحمد غلوش رسالة ماجستير مقدمة لفرع الكتاب والسنة كلية الشريعة بأم القرى ١٤٠٥هـ.

ذكرت الباحثة في الفصل الرابع: الكلام عن العبر في مجال تنظيم الجماعة.

وفيه عدة نقاط منها:

الدعوة إلى الله وتتضمن:

البدء بالقضايا الأساسية في الدعوة وهي:

أ- قضية التوحيد وفيها الكلام عن أقسام التوحيد والتعريف بها وكيفية دعوة يوسف إلى عبادة الله. وكان الحديث عن ذلك في حدود ٤ صفحات.

ب – قضية الرسالة ووضحت متى يدعو الداعي للإيمان بالكتب السماوية جميعا وأن من آمن ببعضها وكفر بالبعض الآخر كفر ولا يكتمل الإيمان إلا بالإيمان بها جميعا.

ج – قضية اليوم الآخر: وضحت متى يدعو الداعي إلى الإيمان به وأن الجنة والنار حق.

وتحدثت عن الإيمان بالملائكة والكتب والرسل. وذلك في حدود ٧ صفحات.

كذلك عن صفات الداعية من: الحلم والعفو والتواضع والأمانة والصدق. وذلك في حدود ١٠ صفحات من واقع ٢٤ صفحة في ضرورة الداعية.

ونبهت على ذلك لاشتمال رسالتي في فصلها الثالث على صفات الأنبياء: وهي لا تتعارض مع بحثي حيث أنها جزء من النقطة الثالثة في الفصل الرابع.

٢) فقه الدعوة في قصة يوسف عليه السلام في ضوء القرآن:

للأستاذة: لمياء سليمان الطويل بإشراف: عبد الرحمن الخليفي. رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بقسم الدعوة والإعلام ١٤٢٢هـ.

تحدثت الباحثة في المبحث الأول من الفصل الأول عن فقه الدعوة المتعلق بصفات الداعي في حدود٤٢صفحة وقد تحدثت في الفصل الثاني من الباب الثالث من خطة بحثي عن الإيمان بالرسل عليهم السلام وبعض صفاتهم، وذكرت الباحثة في الفصل الثاني في مبحث فقه الدعوة المتعلق بالأخلاق في الفرع الأول الإحسان في حدود صفحتين وأشارت له كمرتبة للدين مع ذكر ثمراته، وفي الفرع الثاني تحدثت عن الكرم والشفقة والرحمة والإيثار وفي المطلب الثاني محاربة الأخلاق الذميمة (الحسد، الخيانة) في حدود١٦صفحة. ولا ارتباط لما ذكرته بدراستي العقدية.

وذكرت الباحثة في الفصل الثاني: فقه الدعوة المتعلق بموضوع الدعوة في قصة يوسف عليه السلام.

وفيه ثلاثة مباحث متعلقة بفقه الدعوة المتعلق بالعقيدة والشريعة والأخلاق.

حيث كان الحديث عن العقيدة في الفصل الثاني في مبحث واحد حيث تحدثت في كلام موجز عن أقسام التوحيد تعريفا ودلالة وشواهد ذلك من القصة وعن الشرك وحقيقته وعن مراتب الإيمان في حدود٢٢ صفحة. وهذا دليل على أنه جزء من العمل ولا يتعارض مع عملي الذي يرتبط بالعقيدة.

وفي المبحث الثاني المتعلق بفقه الدعوة المتعلق بالشريعة تحدثت عن مطالب شرعية ما يهم ذكره منها ثبوت الرؤيا شرعا، التوقي من العين، أحكام فقهية أخرى، ففي الرؤيا: تحدثت في ٦ صفحات عن أقسام الرؤيا والواجب عند الرؤيا الصالحة ورؤيا الفتيين والملك وفي صفحة ونصف منها عن رؤيا يوسف في القرآن.

أما التوقي من العين: عرفت بها وبينت أدلة ثبوتها وطرق الوقاية منها وشواهدها من القصة في ٣ صفحات.

وفي الأحكام الفقهية الأخرى: تحدثت عن تحريم السجود لغير الله وجواز الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه في حدود صفحتين فقط، وما ذكر فيه إشارات موجزة لمحتويات بعض الفصول في خطتي.

٣) كتاب بعنوان: يوسف عليه السلام في القرآن الكريم والتوراة دراسة مقارنة للمشاهد والعبر للدكتورة زاهية الدجاني:

وفيه أحد عشر فصلا: تحدثت جميعها عن الحياة الاجتماعية ليوسف عليه السلام في بيته وفي بيت العزيز وفي السجن ولقائه بأبيه وإخوته وعقدت مقارنة بين القصة في القرآن والتوراة، وهذه الفصول مدروسة من الناحية الاجتماعية ولا ارتباط لها بما سأورده عقديا.

٤) يعقوب ويوسف عليهما السلام في أسفار اليهود عرض ونقد:

للباحث محمد عيسى مجيري، المشرف: د. محمد عمر محمد حسن ماجستير من أم القرى ١٤٢٤هـ.

تحدثت في خمسة فصول عن الجانب الاجتماعي والعقدي والتشريعي والدعوي.

والبحث تقريري لكل مسألة من خلال النصوص الواردة عن حياهما في الأسفار أو شروحهما، مع حصر النصوص المؤيدة أو المناقضة من خلال الأسفار ومن الكتاب والسنة.

وذكر فيها الباحث في الفصل الثالث: حياة يعقوب العقدية والشرعية في الأسفار والقرآن.

وفي الفصل الخامس: حياة يوسف العقدية والشرعية.

وهذه الدراسة لا تتعارض مع موضوعي حيث أنها خاصة بما ورد في العهد القديم ليس فيها التقاء بموضوعي أما الفصلان المتعلقان بالعقيدة فهما حتما مقارنة بين ورود القصة في القرآن والعهد القديم وقد حاولت جاهدة الحصول عليها فلم أتمكن من ذلك.

خطة البحث:

جعلت الخطة مكونة من مقدمة، وتمهيد، وسبعة أبواب مقسمة لفصول وعدة مباحث، وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة:

وتشتمل على: أهمية البحث وأسباب اختياره، والدراسات السابقة للموضوع، وخطة البحث، ومنهج البحث.

التمهيد:

ويتضمن التعريف بمفردات عنوان البحث.

الباب الأول: دلالة قصة يوسف عليه السلام على الإيمان بالله. وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: دلالة قصة يوسف عليه السلام على توحيد الربوبية. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أدلة إثبات توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية.

الفصل الثاني: دلالة قصة يوسف عليه السلام على توحيد الألوهية. وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: الدعاء.

المبحث الثاني: الاستعانة.

المبحث الثالث: الاستغاثة.

المبحث الثامن: الصدق.

المبحث التاسع: القوة.

المبحث العاشر: الأمانة.

المبحث الحادي عشر: الكرم.

الفصل الثالث: دلالة قصة يوسف عليه السلام على نبوة بعض الأنبياء. وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثاني: إسحاق عليه السلام.

المبحث الثالث: يعقوب عليه السلام.

المبحث الرابع: يوسف عليه السلام.

المبحث الخامس: الأسباط عليهم السلام.

المبحث السادس: محمد ﷺ.

الباب الرابع: دلالة قصة يوسف عليه السلام على الإيمان باليوم الآخر. وفيه فصلان:

الفصل الأول: دلالة قصة يوسف عليه السلام على الإيمان باليوم الآخر. وفيه مبحث واحد:

المبحث الأول: الأدلة على وجوب الإيمان باليوم الآخر.

الفصل الثاني: دلالة قصة يوسف عليه السلام على كفر من لم يؤمن باليوم الآخر.

الباب الخامس: دلالة قصة يوسف عليه السلام على الإيمان بالقدر خيره وشره. وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: دلالة قصة يوسف عليه السلام على مراتب الإيمان بالقدر.

الفصل الثاني: دلالة قصة يوسف عليه السلام على مسألة الهداية والضلال.

الفصل الثالث: دلالة قصة يوسف عليه السلام على أن الحكم كوني وشرعي.

الفصل الرابع: دلالة قصة يوسف عليه السلام على الصبر على المصائب والرضا بالقضاء والقدر والشكر. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الصبر على المصائب والرضا بالقضاء والقدر.

المبحث الثاني: الحزن لا يؤثر على الإيمان وليس دليلا على الجزع.

الباب السادس: دلالة قصة يوسف عليه السلام على مسائل الإيمان. وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: دلالة قصة يوسف عليه السلام على دخول الأعمال في مسمى الإيمان.

الفصل الثاني: دلالة قصة يوسف عليه السلام على زيادة الإيمان ونقصانه.

الفصل الثالث: دلالة قصة يوسف عليه السلام على بعض الكبائر وما يكفرها. وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: قتل النفس.

المبحث الثاني: عقوق الوالدين.

المبحث الثالث: قطيعة الرحم.

المبحث الرابع: الكذب.

المبحث الخامس: الظلم.

المبحث السادس: التشبه بالكافرين.

المبحث السابع: مكفرات الذنوب التوبة والاستغفار.

الفصل الرابع: دلالة قصة يوسف عليه السلام على ما يضاد الإيمان وهو الكفر.

الباب السابع: دلالة قصة يوسف عليه السلام على مسائل متفرقة في الاعتقاد. وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: دلالة قصة يوسف عليه السلام على أسماء الدين وأن دين الأنبياء واحد.

الفصل الثاني: دلالة قصة يوسف عليه السلام على التأويل ومعانيه.

الفصل الثالث: دلالة قصة يوسف عليه السلام على حكم السجود لغير الله.

الفصل الرابع: دلالة قصة يوسف عليه السلام على مسائل الإمامة.

الفصل الخامس: دلالة قصة يوسف عليه السلام على إغواء الشيطان لبني آدم.

الفصل السادس: دلالة قصة يوسف عليه السلام على العين والحسد.

الفصل السابع: دلالة قصة يوسف عليه السلام على الرؤى والمنامات.

الخاتمة:

وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

الفهارس:

وتشمل الفهارس الآتية:

١) فهرس الآيات الكريمة.

٢) فهرس الأحاديث والآثار.

٣) فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤) فهرس المصطلحات.

٥) فهرس الفرق والطوائف.

٦) فهرس المصادر والمراجع.

٧) فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سأسلك في دراستي المنهج الاستقرائي التحليلي وفق ما يلي:

١- أستخلص الآيات المرتبطة بموضوعي من السورة وأضعها مرتبة في أماكنها وفق عناصر البحث.

٢- أجعل الآية المبينة للمسألة في بداية الكلام.

٣- أذكر كلام المفسرين في الآية.

٤- أستشهد للمعنى المذكور بالأدلة الشرعية الأخرى التي تدل عليه.

٥- أعلق على ذلك بما يبين المعنى مستشهدة بكلام أهل العلم في المسألة.

٦- أعزو الآيات الواردة في البحث إلى أماكنها في القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية مع مراعاة الرسم العثماني في كتابتها.

٧- أخرج الأحاديث النبوية فما كان منها في الصحيحين أكتفي به وما لم يكن فيهما أكتفي بما ورد في بقية الكتب الستة وأذكر كلام أهل العلم في درجته مع ذكر الكتاب والباب ورقم الحديث حسب تسلسل المصدر.

٨- عند العزو للمصادر والمراجع في الحواشي السفلية للصفحة أذكر اسم الكتاب ومؤلفه ورقم الجزء والصفحة المستفاد منها وآخر بيانات النشر والطباعة لفهرس المصادر والمراجع بعدا عن التكرار والإطالة.

٩- عند نقل الكلام بنصه يوضع بين علامتي تنصيص أما عند التصرف فيه أشير لذلك وإن طال الكلام أكتب يحال بلفظ (يراجع كذا).

١٠- أعرف بالكلمات الغريبة والمصطلحات الواردة في البحث.

١١- أعرف بالأعلام الوارد ذكرهم في البحث.

١٢- أذيل البحث بالفهارس الفنية اللازمة.

شكر وتقدير:

الحمد لله حمدا كثيرا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، يسعدني بعد منة الله عليّ بإتمام رسالة الماجستير في إحدى أعرق الجامعات العالمية في التخصصات الشرعية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، والتي قصدتها خاصة دون غيرها وسعيت من مدينة رسول الله ﷺ إليها سعيا، رجاء في الاستزادة من أساتذتها الأفاضل الجهابذة، والحمد لله على توفيقه، فالشكر البالغ لجميع منسوبيها من إداريين، وأعضاء هيئة تدريس، وزميلاتي الوفيات في السنة التمهيدية، وأخُصّ بالذكر المرشدة، د. منيرة البدراني، والمشرفين على رسالتي: د. محمد شحاتة في بداية الموافقة على الخطة واعتمادها، ومن بعده د. سليمان السدلان، متعهم الله ببركة العمر في صلاح وطاعة، ومن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: د. سعود الخلف، فله بعد الله دور بارز في اختيار الموضوع وإعداد خطته، جزاه ربي عني خير الجزاء فقد كان موجها لي ومشجعا، والشكر لسبب وجودي في الحياة والدي رحمه الله والذي لم يشأ الله له رؤية تخرجي حتى من المرحلة الابتدائية، ولخالي العزيز رحمه الله والذي كان مع أمي وإخوتي سندا لي بعد الله في بداية هذا المشوار، رغم كل العقبات التي واجهتها للمجيء لهذه الجامعة، والدراسة فيها، وأكمل المشوار وتحمل الأمانة من بعدهم زوجي رعاه الله، ورفع

قدره ومقامه، وكل من ساندني ودعمني بتفقد الحال والدعاء من أخواتي في الله، وكل من لم يبخل علي بنصح أو توجيه، فاللهمّ جازهم بالحسنات إحسانا، وبالسيئات عفوا وغفرانا.

التمهيد

التعريف بمفردات عنوان البحث

وفيه:

١) تعريف المسائل.

٢) تعريف العقيدة.

٣) تعريف القصة.

٤) التعريف بيوسف عليه السلام.

٥) خلاصة قصة يوسف عليه السلام.

٦) تعريف السلف.

يحسن في بداية هذه الدراسة والبحث التعريف بمفردات عنوانها كما جرت العادة في كافة الدراسات العلمية حيث أنّ هذا التعريف يعطي تصورا مبدئيا عن طبيعة هذه الدراسة قبل الخوض في تفاصيلها ويهدف لبيان المقصود منها.

عنوان البحث:

المسائل العقدية في قصة يوسف عليه السلام في ضوء عقيدة السلف

أولا: المسائل:

المسألة لغة:

كلمة مشتقة من الفعل: سأل: السؤال ما يسأله الإنسان، وقرئ: ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾ [طه: ٣٦] بالهمز وبغيره، وسَأله الشيء، وسأله عن الشيء، سؤالا ومسألة، وتساءلوا سأل بعضهم بعضا[١].

والمسألة مصدر وتستعار للمفعول يقال: تعلمتُ مسألة[٢].

المسألة اصطلاحا:

المسائل: هي: المطالب الخبرية التي يبرهن عليها في ذلك العلم ويكون المطلوب من ذلك معرفتها[٣].

---

(١) مختار الصحاح (١/ ١١٩) مادة: س. أ. ل، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر.

(٢) المعجم الوسيط: ص (١/ ٤١١)، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف ص٦٥٢، باب: م، فصل: س، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

ثانيا: العقدية:

العقدية لغة:

كلمة مشتقة من الفعل: عقد: عقد الحبل والبيع والعهد فانعقد، عقد الرُّبُّ وغيره غَلُظَ فهو عقيد، واعتقد كذا بقلبه وليس له، معقود: أي: عَقْدُ رَأْيٍ، والعقدة بالضم موضع العقد، وبالكسر القلادة، وبالتشديد كلام معقد أي مغمض[١].

وأيضا: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده[٢].

العقدية اصطلاحا:

لقد تعددت تعريفات العقيدة أو الاعتقاد، وفقا لفهم ومنهج كل من عرَّفها وبما وقر في قلبه من معناها فمن التعريفات ما وافق الكتاب والسنة ومنها ما كان اتباعا للهوى، وفلسفات دون دليل، ممن زلت بهم الأقدام، وهذا شيء من تعريفات العقيدة أو الاعتقاد على المنحيين:

الأول:

أ- الاعتقاد: ربط القلب على الشيء بالتكليف، وقيل سكون النفس إلى الشيء[٣].

ب- وهناك من فرق في استعمالها عند الإطلاق وعند التقييد، واستعملوا ألفاظا تدل عليها، كالسنة، والشريعة، والإيمان.

فعند الإطلاق: تستعمل لتدل على ما يعقد عليه الإنسان قلبه، من حق أو باطل.

أما عند التقييد: فعرفت بأنها الإيمان الجازم بالله، وما يجب من ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب، وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح،

---

(١) انظر: مختار الصحاح: (١/ ١٨٦)، للرازي، (مادة: عقد)، حرف: (د)، تحقيق: محمود خاطر.

(٢) المعجم الوسيط: (٢/ ٦١٤)، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

(٣) معجم مقاليد العلوم، (١/ ٧٣) للسيوطي، تحقيق: أ. د. محمد إبراهيم عبادة.

والتسليم لله تعالى في الحكم، والأمر، والقدر، والشرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم، والاتباع[١].

ج- العلم بالأحكام الشرعية المكتسبة من الأدلة اليقينية، ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية[٢].

الثاني:

أ- العقيدة: (في الدين) ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله، وبعثه الرسل [٣].

ب- كما ذكر الجرجاني تعريفا مماثلا للسابق حيث قيده بلفظ (دون العمل)[٤].

ويلاحظ على التعريفين تقييدهما بقيد: هو إخراج العمل من دائرة الاعتقاد أو الإيمان.

وهذا القيد هو ما ذهب إليه المرجئة[٥]، الذين زعموا أن الإيمان قول بلا عمل، ومعرفة بلا حركة، فإن الله قد كذبهم في كتابه، وسنة نبيه، وإجماع العقلاء، والعلماء من عباده، فالله لم يثن على المؤمنين، ويبشرهم بالنعيم، إلا وقد قرن لنيل ذلك بين القول والعمل، والنية والإخلاص[٦].

---

(١) انظر: الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٢٦، ٢٧) جمال أحمد بشير بادي.

(٢) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة (١/ ٤٥) حياة محمد جبريل.

(٣) المعجم الوسيط: (٢/ ٦١٤)، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

(٤) انظر: التعريفات للجرجاني (١/ ١٩٦)، حرف: (العين)، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

(٥) المرجئة: هم أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، والقدرية، والجبرية، والمرجئة الخالصة، وأقربهم لأهل السنة من ذهب مذهب أبي حنيفة إلى أن الإيمان هو التصديق باللسان والقلب معا وأن الأعمال هي شرائع الإيمان وفرائضه فقط، وأبعدهم أصحاب جهم بن صفوان والأشعري والسجستاني، فإن جهما وصفوان يقولون: إن الإيمان عقد بالقلب فقط وإن أظهر الكفر، الملل والنحل (١/ ١٣٨) للشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الفصل في الملل (٢/ ٨٨، ٨٩) لابن حزم.

(٦) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٦٢٦، ٧٨٢، ٧٨٤)، المحقق: عثمان عبد الله الأثيوبي، وآخرون.

وشواهد ذلك جلية للأبصار والأذهان في عموم القرآن، ومنها:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩﴾ [يونس: ٩].

وقوله: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾ [طه: ٨٢].

وقوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وهنا يخبر الله سبحانه، بأنه لا يقبل قولا طيبا إلا بعمل صالح، أو عملا صالحا إلا بقول طيب[(١)].

أما السنة المطهرة فهي غنية بمثل هذا الأساس المتين الذي أقرته الآيات.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان))[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه))[(٣)].

ولقد ادعى البعض بدعية مصطلح العقيدة، والمصطلحات لا مشاحة فيها مادامت توصل للغاية المرجوة من وراء ضبط متعلقاتها بضابط المصطلح، مع التنبيه على وجود هذا المصطلح منذ القرون المفضلة، ثم نشأ مواكبا لعلوم الشريعة المستوحاة من الكتاب والسنة كالتفسير، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث[(٤)].

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٧٩١)، المحقق: عثمان عبد الله الأثيوبي، وآخرون.

(٢) صحيح البخاري: (١/ ١٢) كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان وقول الله تعالى: (ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب...) الآية، (قد أفلح المؤمنون) الآية، رقم: (٨)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

(٣) صحيح مسلم: (٦٨٨)، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان، رقم: (١٧٣)، موسوعة الحديث الشريف، بإشراف الشيخ: صالح آل الشيخ.

(٤) انظر: حراسة العقيدة: (١٠١، ١٠٢)، ناصر العقل، قدم له: د. صالح الفوزان.

كما ذكر هذا المصطلح في كلام بعض العلماء، كأبي ثور: (ت٢٤٠هـ)، وأبي زرعة: (ت٢٦٤هـ)، وأبي حاتم: (ت٢٧٧هـ)، وابن جرير الطبري: (ت٣١٠هـ)[(١)][(٢)].

لقد ثبت عن النبي ﷺ مرفوعا قبل ورود هذا المصطلح على لسان السلف، عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان عن أبيه ﵁ وذكر فيه: ((نضَّر الله امرأً سمع منّا حديثًا...ثم ذكر: لا يعتقد قلب مسلم على ثلاث خصال إلا دخل الجنة))[(٣)].

ومن استعمالات السلف لهذا المصطلح ما يلي:

١- قول الإمام ابن سريج (ت: ٣٠٦هـ)[(٤)] عندما سئل عن صفات الله: «حرام على العقول أن تمثل الله، وعلى الأوهام أن تحده، .... إلى أن قال: اعتقادنا فيه، وفي الآي المتشابهة في القرآن أن نقبلها، ولا نردها...»[(٥)].

٢- وعقد الإمام ابن منده (ت:٣٩٥هـ)[(٦)] بابا في كتابه الإيمان عنونه بقوله: «ذكر ما يدل على أن من الإيمان أن يعتقد العبد لقاء الله ﷻ»[(٧)].

وورد ذكر هذا المصطلح في أسماء مؤلفاتهم:

---

(١) حراسة العقيدة: (١٠١، ١٠٢)، ناصر العقل، قدم له: د. صالح الفوزان

(٢) مراجع الوفيات بالترتيب: الوافي بالوفيات (٥/ ٢٢٦) للصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، صفة الصفوة (٤/ ٨٩) لعبد الرحمن أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري، د. محمد قلعه جي، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٦٢) للذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد العرقسوسي، غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٩٧) لابن الجزري، تحقيق: ج. براجستراسر.

(٣) سنن الدارمي (١/ ٨٦)، برقم: ٢٢٩، المقدمة: باب الاقتداء بالعلماء، قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء: (٢٠٣/١٤)، للذهبي،تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

(٥) انظر: العلو للعلي الغفار:(٢٠٨/١)، للذهبي، تحقيق: أشرف عبد المقصود.

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء: (٣٨/١٧)، للذهبي،تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

(٧) انظر:كتاب الإيمان: (١٥١/١)، لابن منده، تحقيق: علي الفقيهي.

ومن ذلك كتاب: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (ت:٤١٨هـ)[١]، ولمعة الاعتقاد لموفق الدين ابن قدامة (ت: ٦٢٠هـ)[٢].

ومنه نخلص إلى أنّ الاعتقاد في تعريفه الصحيح هو ما ورد ذكره في المنحى الأول من التعريفات من أن العقيدة هي: الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، كما دلت عليه نصوص الهديين من كتاب وسنة وفق الفهم الصحيح لسلف هذه الأمة نقلة الشريعة ومبلغيها عن رسولنا ﷺ.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء: (١٧/٤١٩)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

(٢) انظر:سير أعلام النبلاء: (٢٢ /١٧٢)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

ثالثًا: قصة يوسف عليه السلام:

القصة لغة:

كلمة مشتقة من الفعل: قصص، وقصَّ أثره تتبعه من باب ردّ، وقصصًا، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ۝٦٤﴾ [الكهف: ٦٤]، وكذا اقتصَّ أثره، وتقصَّص أثره، والقصة الأمر والحديث، واقتص الحديث رواه على وجهه، والاسم القصَصَ بالفتح، وضع موضع المصدر، والقِصص بالكسر جمع القصة التي تُكتب، وقص عليه الخبر قصا وقصصا أخبره، ومنه قص الرؤيا[١].

القصة اصطلاحًا:

القصَّ تتبع الأثر، والقَصَص الأخبار المتتابعة، وقيل: تتبع الوقائع بالإخبار عنها شيئًا بعد شيء في ترتيبها[٢].

التعريف بنبي الله يوسف عليه السلام:

ينتسب نبي الله يوسف عليه السلام لسلالة كريمة طاهرة من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام.

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: ((فأكرم الناس يوسف، نبي الله، بن نبي الله، بن نبي الله، بن خليل الله....)) الحديث[٣].

فهو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم الصلاة والسلام[٤].

---

(١) تاج العروس (١٨/ ٩٨) فصل القاف، مادة قصص، للزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، مختار الصحاح: (١/ ٢٢٥)، مادة: ق. ص. ص، للرازي، تحقيق: محمود خاطر.

(٢) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي: (٥٨٣، ٥٨٤)، باب: ق، فصل: ص، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

(٣) صحيح البخاري (٣/ ١٢٣٥) رقم: ٣١٩٤، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت...) إلى قوله: (ونحن له مسلمون). تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

(٤) فتح الباري (٦/ ٤١٤) باب قوله: قصة إسحاق بن إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محب الدين الخطيب.

واسم أمّه راحيل، وأنجبت أخاه بنيامين،وقيل: ا سمها رفقا، وراحيل ماتت من نفاس بنيامين وهو أكبر من يوسف[(١)].

((وقد كان يوسف العَلَيْهِ‌السَّلامُ في حضانة عمته ابنة إسحاق وكانت أكبر ولد إسحاق، وكان لها به وَلَهٌ فلم تُحبّ أحدًا حبّها إيّاه، حتى عندما ترعرع وبلغ سنوات وتاقت إليه نفس يعقوب لم تستطع أن يغيب عنها ساعة واحتالت لبقائه عندها بأن عمدت لمنطقة[(٢)] إسحاق فحزمتها على يوسف، وكان لهذه المنطقة مَزِيّة – حيث كان من اختبأها ممّن وليها كان له سلمًا لا ينازع فيه يصنع ما يشاء – وادّعت فقدها فكشفوا أهل البيت ووجدوها مع يوسف فقالت: والله إنّه لي لسلم أصنع فيه ما شئت، فأمسكت يوسف وما قدر يعقوب أن يأخذه حتّى ماتت))[(٣)].

وقد بلغ يوسف من حبّ أبيه له مبلغًا عظيمًا، وكان ذلك سببًا لغيرة إخوته منه وكيدهم له: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ [يوسف: ٨].

وكانت تلك الغيرة فاتحة لأحداث متلاحقة تعرّض لها سنذكرها بشيء من الإيجاز عند عرضنا لملخص هذه القصة لاحقًا حسب ورودها في القرآن الكريم.

ما يتعلق بنزول سورة يوسف العَلَيْهِ‌السَّلامُ:

أولا بالنسبة لمكان نزولها نجد أنه اختلف في ذلك، فقيل نزلت في مكة، وقيل ما بين مكة والمدينة وقت الهجرة[(٤)].

---

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (١/ ١٠٥٨)، دون ذكر المحقق.

(٢) المنطقة: الناطقة الخاصِرة، والمِنْطقة ما يُنتطق به، والمِنْطَق والنِّطاق كمِنبر وكتاب: كل ما شُدّ به الوسط، ويقال انتطقت الأرض بالجبال أحاطت بها الجبال. تاج العروس من جواهر القاموس: مادة نطق (٢٦/ ٤٢٤) تأليف: محمد الحسيني، الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، المعجم الوسيط: مادة نطق، باب النون (٢/ ٩٣١)، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

(٣) تفسير ابن كثير: ص: ٨١٩، قدَّم له: يوسف المرعشلي.

(٤) انظر: فتح القدير للشوكاني (١/ ١٠٥٤)، دون ذكر المحقق.

أما عند الوقوف على سبب نزول هذه السورة نجد أنَّ علماء اليهود قالوا للمشركين: سلوا محمدًا لِمَ انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر، وعن قصة يوسف عليه السلام[(١)].

وذُكر عند الواحديّ[(٢)] في أسباب النزول، عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في قوله عز وجل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، قال: أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلاه عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا، فأنزل الله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝١﴾ [يوسف: ١]، إلى قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] الآية، فتلاه عليهم زمانًا، فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزُّمَر: ٢٣]، قال: كل ذلك تؤمرون بالقرآن[(٣)].

فضيلة ومكانة سورة يوسف عليه السلام:

إن ممّا يميز هذه القصة العظيمة، أنها القصة الوحيدة من قصص الأنبياء في كتاب الله العزيز والتي وقعت في سورة واحدة مترابطة الأحداث من بدايتها إلى نهايتها في موضع واحد ولم تتكرر في القرآن الكريم، وانفردت بهذا الموضع سورة يوسف عليه السلام.

---

(١) تفسير النسفي (١/ ٥١٩)، تحقيق: عبد المجيد طعمه حلبي.

(٢) الواحدي: علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري أبو الحسن، صاحب التفسير وإمام علماء التأويل، لزم أبا إسحاق الثعلبي وأكثر عنه وأخذ علم العربية عن أبي الحسن القهندزي وصنف التفاسير الثلاثة (البسيط والوسيط والوجيز)، وأخذ منه الغزالي أسماء كتبه الثلاثة، ت: ٤٦٨هـ، (سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢) للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط، وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٣) لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس).

(٣) أسباب النزول للواحدي: (١٩٣)، دون ذكر المحقق، والحديث صححه الذهبي في المستدرك على الصحيحين (٢/٣٧٦)، للحاكم النيسابوري، كتاب التفسير، سورة يوسف، برقم: (٣٣١٩).

أما بالنسبة لذكر اسم يوسف ؏: فقد ذُكر في ٢٦آية من الكتاب الكريم: ٢٤آية في سورة يوسف ؏، وآية في سورة الأنعام الآية ٨٤، وآية في غافر٣٤[١].

وإنّ من فضائل هذه القصة أنّها كانت تسلية للنبي ﷺ، حيث أنَّ الذي نجّا يوسف من هذه الكربات والمضائق ورفع شأنه ومقامه، قادر على تمكين محمد ﷺ وتأييده بالجند والرجال والأتباع، وإن تخلل ذلك الشدائد والمحن[٢].

وذكر الله ﷻ أنّ ما في السورة هو أحسن القصص، ولكن اختلف في معنى ذلك على عدة أقوال هي:

- ما تضمنته من العبر والمواعظ التي لم توجد في غيرها.
- ما فيها من حسن المحاورة، وصبر يوسف وعفوه.
- لأنّ فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والإنس والجنّ والأنعام والطير وسير الملوك والمماليك والتجار والعلماء والجهال والرجال والنساء وحيلهنّ ومكرهنّ...إلخ[٣].

خلاصة قصة يوسف ؏:

قبل الخوض في المسائل العقدية موضع الدراسة في هذا البحث ثمة وقفة موجزة مع خلاصة هذه القصة المباركة.

يذكر ابن كثير رحمه الله، (ت: ٧٧٤هـ) في البداية والنهاية[٤]: أنه كان ليعقوب ؏ من البنين اثنا عشر ولدًا ذكرًا إليهم تنسب أسباط بني إسرائيل على اختلاف في نبوتهم سنوضحه آنفًا، وكان أشرفهم وأجلهم يوسف ؏.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٢٢٧)، باب ذرية إبراهيم، ما حدث من الأمور العجيبة في حياة إسرائيل، تحقيق: علي شيري.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٣١٣) تحقيق أحمد شاكر.

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني (١/ ١٠٥٥)، دون ذكر المحقق.

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ٤٤٦) للحافظ شهاب الدين العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان.

ولقد كان من شأن يوسف عليه السلام وهو صغير قبل أن يحتلم، أن رأى (أحد عشر كوكبًا) وهم إشارة لإخوته، (والشمس والقمر) وهما عبارة عن أبويه، قد سجدوا له فقصّ الرؤيا على أبيه فعرف أنه سينال مترلة عظيمة في الدّارين، وحذّره من روايتها لإخوته، خوفًا من كيدهم، وقد كانوا يحسدونه،وشقيقه بنيامين، على محبة أبيهم لهما، وتشاوروا على قتله أو إبعاده من أرضهم، وانتهوا لرميه في قعر البئر، وطلبوا من أبيهم أخذه ليلعب معهم، وتخوّف أبوهم من أن يأكله الذئب إن انشغلوا عنه وما زالوا به حتى بعثه معهم ولّما غابوا عن الأنظار رموه بعد شتمه، إهانته فعلاً ومقالاً في قعر البئر، وقد أوحى الله إليه بأنّ له فرجًا، ومخرجًا من هذه الشّدة، فلمّا وضعوه لطّخوا قميصه بدم سخلة وهي: – ولد الشّاة–، وذهبوا بها لأبيهم، زعمًا أنّ الذئب قد أكله، ونسوا أن يخرقوا القميص، وبدأت علامات الرّيبة عليهم، فلم يصدّقهم، ووكل أمرهم إلى الله.

أمّا يوسف فقد أنقذه الله بمسافرين قد اشتروه من إخوة يوسف. الذين لحقوا المسافرين، وادّعوا أنّه غلامهم، فاشتراه عزيز مصر وهو الوزير وقبلوا في بيعه ثمنًا بخسًا، وتربّى يوسف عند هذا العزيز الذي ما لبثت امرأته أن راودت يوسف عن نفسه وقد متّعه الله بالجمال، وكانت قد هيّأت له كافة المغريات، لكنّ الله عصمه من الفحشاء، وتسببت في دخوله السجن، لّما امتنع عنها قطعًا لكلام النّاس، مع إقرارها بعصمته، أمام النّسوة اللاتي جمعتهن ليعذرنها في حبها له، واللاتي حرضنه على السمع والطاعة، فاختار السجن على مراودتها، والتقى في السجن بفتيين أحدهما ساقي الملك، والآخر خبّازه، قد اتّهمهما الملك في أمور وسجنهما، وكانا قد أعجبا بخلق يوسف وهديه وعبادته وإحسانه، فقصّا عليه رؤياهما، ففسرها لهما مقرّا بتعليم الله إياه وفضله عليه، ودعاهما لتوحيد الله سبحانه، وكان قد خرج الساقي من السجن فطلب منه يوسف أن يذكر أمره للملك فنسي الساقي، ولبث يوسف في السجن بضع سنين والبضع هو: –مابين الثلاث إلى التسع–، وقيل: إلى السبع، وقيل: إلى الخمس، وقيل: مادون العشرة.

ولّما أراد الله ليوسف عليه السلام الخروج هيأ له أمر تعبير رؤيا للملك كان قد دلّه على تعبير يوسف لها ذلك الساقي الذي ذكّره الله بيوسف آنذاك. وكان ذلك سببًا لخروجه من السجن بعد أن أرشدهم للخير في أمور دنياهم، ولم يخرج حتى أقرّت من اتهمته، وشهدت النسوة،

وعيّنه لأمانته على خزائن دولته، وبعدها جاء إخوة يوسف ليبيعوا بضاعتهم ولم يعرفوا يوسف، ولكنّه أكرمهم، وطلب منهم أن يأتوه بأخ لهم من أبيهم إن قدموا عليه مرة أخرى، وجعل بضاعتهم في رحالهم ليعيدوها إذا رجعوا ووجدوها في متاعهم، وقيل: خشي أن لا يكون عندهم ما يرجعون به ثانية، فرجعوا لأبيهم وأخبروه بما حدث وما رأوه من كرم يوسف، وقد أخذ أبوهم عليهم موثقًا من الله بالمحافظة على أخيهم (بنيامين).

ولما وصلوا لمقصدهم دخلوا به على يوسف، وأعلمه بأنه أخوه، واحتال ليبقيه عنده، بوضع ما يكيلون به ويشربون (وهو السقاية) في رحل أخيه، وبحثوا عنها في أمتعتهم، فوجدوها عند أخيه (بنيامين)، ولابد من دفع المال مقابل العفو عنه، وفق شريعة إخوة يوسف التي احتكموا لها عندما خيروهم بينها وبين شريعة تلك البلاد، وحاولوا أن يأخذ بديلا عن (بنيامين) وأخبروه بحال أبيهم فأبى يوسف ذلك، وبقي كبيرهم هناك حتى يأذن له أبوه في القدوم أو يرجع مع أخيه (بنيامين) وفاءً بميثاق أبيهم، ورجع الباقون، وحملوا الخبر لأبيهم، فبكى بكاءً مريرًا، ووثق بوعد الله له، وأمرهم بالعودة، وعدم اليأس.

فرجعوا ليوسف وشكوا إليه حالهم، وضعفهم، وقلّة مالهم، ورغبتهم في رجوع أخيهم معهم، فعطف عليهم، وتعرف إليهم، وعفا عنهم، وأعطاهم قميصه ليضعوه على عيني أبيهم ليرجع إليه بصره، فارتدّ بصيرًا، وقتها ندم إخوة يوسف وطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم، بعدها جاءت الساعة التي تحققت فيها الرؤيا، ودخلوا على يوسف، وسجدوا له تعظيمًا، وتكريمًا، وكان هذا مشروعًا لهم حتى حُرِّم في ملتنا، وكان هذا اللقاء بعد فراق طال مدة ثمانين سنة، وقيل: ثماني عشرة سنة، وقيل: غير ذلك[1].

وبهذا يكون قد تمّ الحديث وبشيء من الإيجاز عن قصة نبي الله يوسف عليه السلام، قبل الشروع في دراسة المسائل العقدية محور هذه الدراسة والتي سيشرع في دراستها مع استهلال الباب الأول لهذه الرسالة سائلة الله العلي القدير التوفيق والإعانة.

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١/ ٢٢٨-٢٥١) باب ذرية إبراهيم، ما حدث من الأمور العجيبة في حياة إسرائيل.

رابعًا: السلف:

السلف لغة:

كلمة مشتقة من الفعل: سلف: و (سَلَفَ) الأرض – من باب نَصَر– سوَّاها (بالمِسْلَفة)، سَلَفَ يَسْلُفُ بالضم، سلفًا بفتحتين: أي مضى، وسَلَفُ الرجل آباؤه المتقدمون، والجمع أَسْلافٌ وسُلاَّف[(١)].

السلف اصطلاحًا:

قبل تحديد مصطلح السلف لابد أن يتحقق فيه عاملان وهما:

الأول: العامل الزمنيّ:

الذي حدّده الرسول بقوله ﷺ في حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما: ((خير أمتي قرني، ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة...))[(٢)][(٣)].

الثاني: العامل المنهجيّ:

ويتمثل في طريقّتهم التي فهموا ها القرآن، من أنّه لا تعارض بين العقل والنقل، وأنّه لو اتّبع النقل كاملاً لكان فيه الكفاية، والهداية، لأنّ الذي خلق العقل هو الذي أرسل إليه النقل، ومحال أن يرسل إليه ما يفسده، ولذلك لم يقدّموا العقل على النقل، لأنّه لا تعارض بينهما[(٤)].

---

(١) انظر: مختار الصحاح (١/ ١٣٠) مادة: سلف، للرازي، المعجم الوسيط: (١/ ٤١١)، التوقيف للمناوي، ص: ٤١٢باب: س، فصل: ل.

(٢) الحديث أخرجه البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب فضل أصحاب النبي ﷺ (ج٣/ ١٣٣٥) برقم: ٣٤٥٠، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

(٣) انظر: فتح رب البرية في تقريب مقدمة شرح العقيدة الطحاوية، (١/ ٦٨)، تأليف هالة يحى صادق، راجعه وقدّم له الشيخ: سليمان محمد اللهيميد.

(٤) انظر: فتح رب البرية (١/ ٦٨).

ولقد اختلف في تحديد مفهوم السلف زمنيًا على عدة أقوال:

الأول: أنهم الصحابة فقط: وهذا قول عدد من شُرّاح الرسالة لابن أبي زيد القيروانيّ(١).

الثاني: أنهم الصحابة والتابعون: وإليه ذهب أبو حامد الغزاليّ(٢) في قوله: «اعلم أنّ الحقّ الصريح الذي لام مراء فيه عند أهل البصائر: هو مذهب السلف أعني: مذهب الصحابة والتابعين».

الثالث: أنهم الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين: أي القرون الثلاثة التي أثبت لها النبي ﷺ الخيرية في حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما السابق: ((خير أمتي قرني...)).

وإليه ذهب كثير من أهل العلم، كالإمام الشوكانيّ، والسّفّارينيّ(٣)، ويدل عليه صنيع شيخ الإسلام ابن تيمية في نحو قوله: «...سلف الأمة وخيار قرونها»، وربما أدخل من بعد تابعي التابعين، كالإمام أحمد في مفهوم السلف(٤).

---

(١) القيرواني: ابن أبي زيد أبو محمد عبد الله القيرواني المالكي، عالم أهل المغرب، قال عنه القاضي عياض: «حاز رئاسة الدين والدنيا»، يقال له مالك الصغير، صنف كتاب النوادر والزيادات، واختصر المدونة، وله كتاب الرسالة والتي قيل: إنه صنعها وله سبع عشرة سنة: ت٣٨٦هـ،وقيل: ٣٨٩هـ/ انظر: سير أعلام النبلاء (٣٣/ ٤، ٥) للذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط، والوفيات (١/ ٢٢١) للخطيب، تحقيق: عادل نويهض.

(٢) الغزالي: نسبة إلى قرية غزالة، هو: محمد بن محمد الطوسي الشافعي، صاحب التصانيف والذكاء المفرط، تفقه في بلده ثم تحول لنيسابور، ولازم أبو المعالي الجويني، برع في الفقه ومهر في الكلام والجدل، وأدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام ومزالّ الأقدام ولله سر في خلقه، غلا في طريقة التصوف، ختم أمره بإقباله على الحديث ومطالعة الصحيحين، ألف كتاب الإحياء والأربعين وغيرها، ت: ٥٠٥هـ. (انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢١٦، ٢١٧وغيرها) لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، سير أعلام النبلاء (٣٠٢، ٣٠٣وغيرها)، للذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط.

(٣) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، ولد بهجرة شوكان، وكان يرى تحريم التقليد، له١١٤مؤلفا منها: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، فتح القدير، إرشاد الفحول، الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، ت: ١٢٥٠هـ، الأعلام (٦/ ٢٩٨) للزركلي، دون ذكر المحقق، ٢/ السفاريني: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني شمس الدين أبو العون، عالم بالحديث والأصول والأدب محقق، ولد في سفارين (من قرى نابلس)، من كتبه: الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات، القول العلي لشرح أثر الإمام علي، لوائح الأنوار البهية، ت: ١١٨٨هـ الأعلام للزركلي: (٦/ ١٤)، معجم المؤلفين (٨/ ٢٦٢) لعمر رضا كحالة.

(٤) وسطية أهل السنة بين الفرق: (٩٧، ٩٨)، د. محمد باكريم محمد باعبد الله.

ونخلص ممّا سبق بأنّ لمصطلح السلف مدلولان:

١- مدلول خاص: وهذا ينطبق على مذهب الصحابة والتابعين، والتابعين لهم بإحسان ممّن لم يبتدعوا، وهذا فيه حصر تاريخيّ.

٢- مدلول: أعمّ: يشمل ما بعد هذه القرون المفضلة، وهذا شامل لكل من سار على طريقة ومنهج خير القرون، والتزم النصوص والفهم الذي فهموه(١).

وعليه فكل متأخر عن زمن السلف، ولكنّه على مذهبهم في الاعتقاد والعمل يكون سلفيًا(٢).

ولا ريب أنَّ كلاً يدعي وصف منهجه بالسلامة وموافقته للسلف الصالح في ظل افتراق الأمة وتشعب مذاهبها ومناهجها، وبهذا تلتبس الأمور ويحصل الاختلاف، والدليل القطعي الثبوت، وعدالة من فهمه وصدق من نقله هو الفيصل هنا، لذا كان لزامًا وضع ضابط لتمييز ذلك، بمعرفة المراد بالسلف في الأصل، وعليه يتضح المعتمد في تقريرات المسائل المطروحة.

وبهذا تكون قد انتهت الوقفات مع مفردات عنوان هذه الرسالة:

المسائل العقدية في قصة يوسف عليه السلام في ضوء عقيدة السلف

وذلك بتوضيح المعاني اللغوية والاصطلاحية لكل عنصر منها، باعتبارها علامات الطريق الأولى في هذا البحث، وبالله التوفيق.

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٤٠)، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود.

(٢) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة (١/ ٣٦) تأليف: عثمان بن علي حسن.

الباب الأول

دلالة قصة يوسف عليه السلام على الإيمان بالله

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: دلالة قصة يوسف عليه السلام على توحيد الربوبية.

الفصل الثاني: دلالة قصة يوسف عليه السلام على توحيد الألوهية.

الفصل الثالث: دلالة قصة يوسف عليه السلام على توحيد الأسماء والصفات.

الفصل الأول

دلالة قصة يوسف عليه السلام على توحيد الربوبية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أدلة إثبات توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية.

تجدر الإشارة لأمر مهم جدا قبل البدء في الحديث عن مباحث هذا الفصل، ألا وهو معنى الإيمان بالله، الذي هو الأساس والركيزة الأساسية لأعمالنا القلبية والبدنية، أعمال القلوب والجوارح، والمحرك الذي يمدنا بالثبات واليقين، والمحفز لنا للعمل والإحجام عنه، والسعي حثيثا لبلوغ المرام والوصول للغاية المنشودة.

الإيمان لغة:

كلمة مشتقة من الفعل أمن: والإيمان الثقة، ورجل أَمَنَةٌ بالفتح للذي يُصدِّق بكل ما يسمع ولا يُكذِّب بشيء، ورجل أَمَنَةٌ إذا كان يطمئن لكل واحد ويثق به، والإيمان الإجارة والأمانة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢]، قرئ بالكسر والفتح، والإيمان التصديق، وهو مصدر آمن يؤمن إيمانًا، وفي التنزيل: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧][١].

الإيمان اصطلاحًا:

إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان[٢]، وقال الزجاج[٣]: «الإيمان إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبي ﷺ، واعتقاده وتصديقه بالقلب»[٤].

وبما أنّ الباب في تقسيم فصوله قد روعي فيه اتباع التقسيم المنهجي حسب أنواع التوحيد الثلاثة: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

---

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٢١) حرف: ن، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور، دون ذكر المحقق، المعجم الوسيط (١/ ٢٨) باب الهمزة، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

(٢) التعريفات للجرجاني (١/ ٦٠) تحقيق: إبراهيم الأبياري، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم للسيوطي (١/ ٧٣)، تحقيق: أ. د. محمد إبراهيم عبادة، ثلاثة الأصول للشيخ محمد العثيمين: ص٧٩، إعداد فهد السليمان.

(٣) الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري، نحوي زمانه ومصنف كتاب معاني القرآن، له تآليف جمة، لزم المبرد فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهما، أخذ عنه العربية أبو علي الفارسي وجماعة، ت: ٣١١هـ، (سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٠) للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط، وفيات الأعيان (١/ ٤٩)، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس).

(٤) لسان العرب (١٣/ ٢١).

وفيما يلي وقفة سريعة موجزة لبيان معنى التوحيد، واختلاف تقسيماته وفق ضوابط لا تخرجه في النهاية عن كونه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

التوحيد لغة:

كلمة مشتقة من الفعل: وحد، والواحد أول عدد الحساب، ورجل واحد متقدِّم في بَأْس أو علم أو غير ذلك، كأنّه لا مثل له فهو وحده، وتَوَحَّدَ بقي وحده.

والتوحيد الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو الوحدانية(١).

وعرّفه الجرجاني بقوله: «التوحيد في اللغة الحكم بأنّ الشيء واحد، والعلم بأنّه واحد»(٢).

التوحيد اصطلاحًا:

يقول الشيخ صالح الفوزان: «التوحيد: هو إفراد الله بالخلق والتدبير، وإخلاص العبادة له، وترك عبادة ما سواه، وإثبات ماله من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، وتتريهه عن النقص والعيب، فهو بهذا التعريف يشمل أنواع التوحيد الثلاثة»(٣).

أنواع التوحيد الواجبة لله:

اختلفت التقسيمات في أنواع التوحيد من جهتين:

من جهة النظر إليه فيما يتعلق بالرّب.

ومن جهة النظر إليه فيما يتعلق بالعبد.

فمن نظر إليه من جهة الرّب ﷻ قسّمه إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد الربوبية.

---

(١) لسان العرب (٣/ ٤٤٦) حرف: د.

(٢) التعريفات للجرجاني (١/ ٩٦) باب: ت.

(٣) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقصها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، ص٢١، للشيخ د. صالح الفوزان.

تنبيه: ورد في تعريف الكتاب لفظ: (التدبر) بدل التدبير، فتم تعديله لإحالته للمعنى.

الثاني: توحيد الألوهية.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

ومن نظر إليه من جهة العبد قسّمه لنوعين:

الأول: نوع في العلم والاعتقاد التوحيد العلميّ أو الاعتقاديّ أو الخبريّ أو القوليّ لتعلقه بالأخبار والمعرفة.

الثاني: نوع في الإرادة والقصد التوحيد القصديّ أو الطلبيّ أو العمليّ أو الفعليّ. لتعلقه بالإرادة والقصد وهو نوعان:

توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية أو الألوهية.

وليس اختلاف التقسيم سوى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد كما سلف.

والمصطلحات والتقسيمات متى ما دلّت على معانٍ صحيحة غير باطلة وكان مضمونها موصلا لما وُضعت له كانت محلاً للاهتمام والعمل بها[١].

يقول ابن القيّم رحمه الله (ت: ٧٥١هـ)[٢]:

فاسمع إذًا توحيد رسل الله ثم اجعله داخل كفّة الميزان

إلى أنْ قال:

توحيدهم نوعان: قوليّ وفعليّ كلا نوعيـــه ذو برهـــان[٣]

وفيما يلي التعريف بكلّ قسم من الأقسام المذكورة.

---

(١) انظر: مدارج السالكين لابن قيّم الجوزيّة (١/ ٢٤، ٢٥) تحقيق محمد الفقي، وحقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (من٨٧إلى٨٩) تأليف: عبد الرحيم السُّلميّ.

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/ ١٤٠) للعسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعين ضان.

(٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيّم: (٢/ ٢٠٩، ٢١٠) تأليف: أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش.

التعريف بأقسام التوحيد الثلاثة:

أولا: التوحيد لغة:

الربوبية كلمة مشتقة من (ربّ)، الوالد ربا وليه وتعهده بما يغذيه وينميه ويؤدبه، فالفاعل (راب) والمفعول (مربوب) و (ربيب)، وهي بتاء، ويقال: رب الأمر وبالمكان لزمه وأقام به فلم يبرحه(١).

والربّ: هو الله ﷻ، وهو رب كل شيء أي: مالكه، له الربوبية على جميع الخلق، ويطلق في اللغة على المالك والسّيّد والمدبّر والمربّي، وباللام لا يطلق لغير الله ﷻ وإذا أطلق على غيره أضيف فقيل: ربّ كذا(٢).

التوحيد اصطلاحا:

هو اعتقاد العبد أنّ الله هو الربّ المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربى جميع الخلق بأصناف النّعم وربى خواصّ خلقه وهم الأنبياء وأتباعهم بالعقائد الصحيحة والأخلاق الجميلة والعلوم النافعة والأعمال الصالحة(٣).

ثانيا: توحيد الألوهية لغة:

كلمة مشتقة من الفعل: أَلَهَ يأله إِلَاهة أي: عَبَدَ، والتأليه: التعبيد(٤).

أله فلان إلاهة وألوهة وألوهية عبد، وألها تحير وإليه لجأ وعليه اشتد جزعه وبالمكان أقام، تألّه تنسك وتعبد وادّعى الألوهية، والإله: كل ما اتخذ معبودا آلهة(٥).

---

(١) المعجم الوسيط: باب الراء (١/ ٣٢١).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس: فصل الراء المهملة، مادة ربب (٢/ ٤٥٩) لمحمد الزّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين. وانظر: ترتيب مختار الصحاح: حرف (ب. ب)، (٢٨٧).

(٣) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية (٤١٧)، لعبد العزيز المحمد السلمان. وانظر: ثلاثة الأصول لابن عثيمين: ص (٨٤) إعداد: فهد السليمان، مباحث العقيدة في سورة الزمر ص: (٣٢٠، ٣٢١) لناصر الشيخ، رسالة ماجستير من شعبة العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة١٤٠٦هـ.

(٤) انظر: تاج العروس: باب: أله (٣٦/ ٣٣٠إلى٣٣٤)، ترتيب مختار الصحاح ص (٤٥، ٤٦) مادة: أ. ل. ه.

(٥) المعجم الوسيط (١/ ٢٥) باب الهمزة.

توحيد الألوهية اصطلاحا:

هو العلم والاعتراف بأنّ الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده، وهذا النوع الذي دعت إليه الرسل وأنزلت به الكتب.

فكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه يقول: يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره فهذه دعوة الرسل من أولهم نوح عليه السلام إلى آخرهم محمد ﷺ وعليهم أجمعين(١).

ويعرّف أيضا بأنّه: إفراد الله تعالى بأفعال العباد التي يفعلونها على وجه التقرب المشروع، كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة(٢).

ثالثا: توحيد الأسماء والصفات:

توحيد الأسماء والصفات لغة:

الاسم:

كلمة مشتقة من الفعل سموت، لأنه تنويه ورفعة وتقديره: افع، والذاهب منه الواو لأن جمعه أسماء(٣).

الصفة:

كلمة مشتقة من الفعل وصف، وصف الشيء له وعليه وصفا وصفة: حلاه، والهاء عوض من الواو، وقيل: الوصف المصدر والصفة الحلية، وقوله ﷻ: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء: ١١٢]، أراد ما تصفونه من الكذب، والوصف وصفك الشيء بحليته ونعته(٤).

---

(١) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: (٤١٨)، لعبد العزيز المحمد السلمان.

(٢) عقيدة التوحيد: (٤٦)، للشيخ الدكتور: صالح الفوزان.

(٣) لسان العرب لابن منظور (١٤/ ٤٠١)، مادة: سما، مختار الصحاح (١/ ١٣٣) للرازي، مادة: س. م. ي، تحقيق: محمود خاطر.

(٤) لسان العرب لابن منظور: (٩/ ٣٥٦)، مادة: (وصف)، حرف: (ف).

ووصف المهر والناقة ونحوهما (يصف) وصفًا ووصوفًا أجاد السير وجد فيه، والشيء وصفًا وصفة نعته بما فيه، والطبيب الدواء عينه باسمه(١).

توحيد الأسماء والصفات اصطلاحا:

أنْ يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به نبيه نفيًا وإثباتًا، فيثبت له ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، وأيضا يكون هذا النفي والإثبات من غير إلحاد في الأسماء والآيات(٢).

وبهذا تمّ الكلام عن التعريف اللغوي والاصطلاحي لكل نوع من أنواع التوحيد الثلاثة الواجبة لله ﷻ: الربوبية، الألوهية، الأسماء والصفات.

ويليه في أولى مباحث هذا الفصل بيان لأدلة إثبات كل نوع من هذه الأنواع من خلال قصة نبي الله يوسف عليه السلام.

(١) المعجم الوسيط: تأليف: إبراهيم مصطفى وآخرون (٢/ ١٠٣٦) مادة وصف، تحقيق مجمع اللغة العربية.

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية للسفاريني (١/ ١٢٩). وانظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية لعبد العزيز السلمان (٤١٧، ٤١٨).

المبحث الأول: أدلة إثبات توحيد الربوبية:

بعد التعريف بتوحيد الربوبية في معناه اللغوي والاصطلاحي تأتي الأدلة على كل نوع من أنواع التوحيد الواجب صرفها لله ﷻ والتي تضمنتها قصة يوسف ؏.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨هـ)[(١)]:

«عموم خلقه وربوبيته وعموم إحسانه أصلان عظيمان في الكتاب والسنة والنصوص الدالة عليهما شيء كثير وجميع الكائنات آيات له شاهدة مظهرة لما هو مستحق من الأسماء الحسنى والصفات العليا...»[(٢)].

فلقد دلت الفطرة والعقل ونصوص الوحيين على الربوبية دلالة واضحة مستفيضة بأساليب متنوعة تهدي العقول والقلوب الحائرة، وتوصلها لبغيتها وطريق سعادتها.

فمن دلالة الفطرة:

اتجاه النفوس حال الاضطرار لجهة واحدة وملجأ واحد، لا ترجو الإغاثة عند سواه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧].

ومن أوضح الأدلة إقرار المشركين من أهل مكة في عهد النبي ﷺ بربوبية الله سبحانه، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١][(٣)].

ومن أمثلة إقرار المشركين بالربوبية ما ورد في تلبيتهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان المشركون يقولون لبيك لا شريك لك، قال فيقول رسول الله ﷺ: ويلكم قدٍ قدٍ فيقولون: إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت)).

(١) سير أعلام النبلاء (المقدمة/ ٣٥) للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

(٢) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: ٤١٩، لعبد العزيز السلمان.

(٣) انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد: ٣٠٩، ٣١٠، لسعود العريفي.

فأهلّ النبي ﷺ بالتوحيد فقال: ((لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك...)) الحديث، حيث إنهم مقرون بأن الشريك مملوك سواء كان ملكا أو نبيا أو كوكبا أو صنما[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]))[٢].

ومن خلال هذه الأدلة يتبين أن الفطرة استعداد داخلي في الإنسان يدله على وجود خالق له يلجأ إليه في النائبات ويستشعر إحسانه وكرمه عند تجدد النعم، تلك الفطرة التي هي الإسلام بكل ما يتضمنه من أحكام وآداب وعقائد، إذا معرفة الله أمر فطر عليه الإنسان، لا كما يفسرها أهل الكلام وتنسجه عقولهم بأن معرفة الله تكون نظرية «بالتفكر والنظر إلى أن يهتدي الإنسان أن للكون خالقا وللمخلوق ربا يجب عليه أن يتوجه إليه في أموره»[٣].

أما الأدلة العقلية على ربوبيته سبحانه في القرآن الكريم فقد تركزت حول الاستدلال بالمخلوقات على الخالق من حيث إن انتظامها وصلاح أمرها وعدم فسادها مستلزم لانتفاء تعدد الأرباب[٤].

---

(١) التوضيحات الأثرية لمتن الرسالة التدمرية: ٤١٦لفخر الدين المحسي، تقديم الشيخ: محمد الخميس. الحديث: صحيح مسلم: (٨٧٠)، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها، رقم: (-١١٨٥)، وباب حجة النبي ﷺ١٤٧-١٢١٨، (ص٨٨٠)، موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) بإشراف الشيخ: صالح آل الشيخ. ويراجع: كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب: (٦)، شرح حمد الحمد.

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما: رواه البخاري: (١/ ٤٥٦)، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم: (١٢٩٢)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، رواه مسلم: (٤/ ٢٠٤٧)، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم: (٢٦٥٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين: ١٣٢، ١٥٨، لعبد الرحيم السلمي.

(٤) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، (٣١١).

يقول ابن تيمية رحمه الله: «إن الطريقة الشرعية للإقرار بوجود الباري على اختلاف فطر جميع الناس تنحصر عند استقراء كتاب الله في جنسين أحدهما:

١- طريق الوقوف على العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجلها، وهذا دليل العناية.

٢- الطريقة الثانية: ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء، مثل اختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحسية والعقل وهذا دليل الاختراع»(١).

أدلة توحيد الربوبية من قصة يوسف عليه السلام:

أما ما اشتملت عليه قصة يوسف عليه السلام من أدلة على إثبات توحيد الربوبية فهو كالتالي:

الدليل العقلي، ودليل العناية:

الدليل الأول: الدليل العقلي:

قال تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف: ٣٩].

في الآية يبين الله عز وجل ما قام به يوسف عليه السلام من دعوة الفتيين لتوحيد الله وحده لا شريك له وترك عبادة الأوثان، مستفهما استفهاما إنكاريا فيه تقريع وتوبيخ، بمعنى هل الأرباب المتفرقون ذاتا وصفة وعددا خير أم الله المتفرد في ذاته وصفاته الذي لا ضد له ولا شريك ولا ندّ؟(٢).

ووجه دلالة هذه الآية على توحيد الربوبية هو:

أن هذه الآية قد جمعت بين الدليل الفطري والعقلي، حيث استنطق فطرهم التي تشهد بوحدانية الله وتدركها، ولم يكن هدفه المفاضلة بين حال موجودين لأن تعدد الآلهة لا خير فيه

---

(١) انظر: تلبيس الجهمية (١/ ٢٥٧) لابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٨١٤، فتح القدير للشوكاني: ١٠٧٧.

أصلا، أما الدليل العقلي فيتبين من لفظ (القهار) فالقهر التام يستلزم الوحدة، فإن الشركة تنافي تمام القهر[١].

الدليل الثاني: دليل العناية:

قال تعالى: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: ١٠١].

وذلك أنه كان على خزائن الأرض وتدبيرها وكان وزيرا كبيرا للملك، وأن الله قد علمه من تأويل أحاديث الكتب المنزلة وتأويل الرؤيا وغير ذلك من العلم[٢].

ووجه دلالة الآية على توحيد الربوبية يظهر في العناية الإلهية التي شملت يوسف عليه السلام وامتنان الله عليه بوافر هذه النعم والعطايا بعد تعدد المحن والرزايا التي قاساها في طفولته وشبابه، مما يدل على وجود خالق لهذا الكون لم يخلقهم عبثا و لم يتركهم هملا بل يقدر لهم بما خفي من لطائفه ما هو خير وفق ما اقتضته حكمته سبحانه وتعالى.

وبعرض هذين الدليلين ووجه دلالتهما على توحيد الربوبية ينتهي عرض أدلة توحيد الربوبية الواردة في قصة يوسف عليه السلام.

---

(١) انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد٣١٠لسعود العريفي، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: ٢/ ٤٦٦لابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي، ٣٥٥.

المبحث الثاني: دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية:

الفرق بين توحيد الربوبية والألوهية:

قبل البدء في بيان وجه الارتباط بين توحيد الربوبية والألوهية سأبين الفرق بينهما والذي يتضح في الآتي:

١- ما يتعلق بالمعنى اللغوي، فالألوهية من لفظ إله وهو: على وزن فِعال بمعنى مفعول أي: مألوه، والتأله التعبد، والربوبية من لفظ الرب: من التربية والرعاية والسيادة، مما يدل على التغاير بينهما لا الترادف.

٢- دلت نصوص الكتاب والسنة على إقرار المشركين بتوحيد الربوبية، ووقعت الخصومة بين الرسل وأقوامهم في توحيد الألوهية، إذ أبت قلوبهم أن تقر بتفرد الله بالعبادة بعد أن أقرّت بوجوده سبحانه.

٣- استدلال الله على ألوهيته ووجوب إفراده بالعبادة بربوبيته وأفعاله قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢١ـــ ٢٢].

وعليه فالدليل لا بدّ أنْ يكون مغايرا للمدلول.

٤- من جهة المتعلق، فمتعلق الربوبية: الأمور الكونية، كالخلق والرزق، ومتعلق الألوهية: الأوامر والنواهي، كالواجب والمحرم.

٥- أنّ مهمة العباد تجاه توحيد الربوبية وهو توحيد الله بأفعاله: التصديق والاعتقاد بموجبه، لأنّها أخبار من الله تعالى.

ومهمة العباد تجاه توحيد الألوهية: توحيد الله بأفعال العباد، كالخوف والرجاء والمحبة والصوم والصلاة[١].

---

(١) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين،: (١٠٩-١١٠)، لعبد الرحيم السلمي.

بمعنى أنّ مدلول الأول علمي، ومدلول الثاني عملي[(١)].

٦- أنّ الألوهية متضمنة للربوبية من دون العكس، ومتضمنة لتوحيد الأسماء والصفات.

فالربوبية تستلزم الألوهية، مما يدل على أنّ الألوهية شيء خارج عن مدلول الربوبية، فقد يؤمن الرجل بالربوبية ولا يؤمن بالألوهية كما فعل كفار قريش منكرين على النبي ﷺ دعوته بقولهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥][(٢)]، وبهذا لا يتم الإيمان، فالإجماع منعقد على عدم إسلامه.

٧- أنّ هذا التقسيم والتفريق ثابت من الصحابة والتابعين والأمثلة عليه كثيرة، ومنها[(٣)]:

قول ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]: «أي: لا تشركوا به غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنّه لا ربّ لكم يرزقكم غيره»[(٤)].

وقال مجاهد رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]: «إيمانُهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره»[(٥)].

التلازم بين أنواع التوحيد الثلاثة:

المعلوم أنّه بين أنواع التوحيد الثلاثة تلازم، فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية والعبادة فهو منه كالمقدمة من النتيجة، فإذا العبد علم أنّ له ربا هو الخالق والرازق والمدبر وجب عليه إفراده بالعبادة وإخلاصها له سبحانه، وقد جرت عادة القرآن في الدلالة على ذلك حيث يأتي بدليل الربوبية ليخلص منه لوجوب الإقرار بالألوهية كما ورد في آية البقرة السابقة:

---

(١) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين،: (١٠٩-١١٠)، لعبد الرحيم السلمي.

(٢) انظر: كشف الشبهات لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: ٧، شرح الشيخ: حمد الحمد.

(٣) انظر: حقيقة التوحيد (١١٠، ١١١).

(٤) فتح القدير: (١/ ٥٠)، للشوكاني، دون ذكر المحقق.

(٥) تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن (١٦/ ٢٨٧) تحقيق: أحمد محمد شاكر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١]، إلى أنْ قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢].

وأما توحيد الأسماء والصفات فهو شامل للنوعين الأولين، فهو قائم على إفراد الله بما له من الأسماء والصفات ومن جملتها الرب والإله الذي لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته[1].

وبالرجوع لقصة يوسف عليه السلام يتبين لنا أنّ كلّ دليل من أدلة إثبات توحيد الربوبية التي سقتها في المبحث السابق هي دالة ضمنا على توحيد الألوهية، فالآية الأولى: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف: ٣٩]، تلتها مباشرة: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾، إلى أن قال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

والمعنى: أنّه أمركم بتخصيصه بالعبادة دون غيره مما تزعمون أنه معبود، ثم بين لهم أن عبادته وحده دون غيره هي دين الله الذي لا دين غيره[2].

وفي الآية الثانية: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ إلى أن قال: ﴿أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١].

أثبت الربوبية لله سبحانه معددا نعم الله عليه من منحه حكم مصر في ذلك الزمان، وما تفضل الله به عليه من تأويل الأحاديث، وختم ذلك الإثبات والإقرار منه عليه الصلاة والسلام بدعاء الله سبحانه ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بأن يتوفاه على الإسلام، ولاشك أن الدعاء نوع من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله، وهذا هو توحيد الألوهية.

وبهذا يتضح لنا ذلك الارتباط الوثيق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، بالرغم من وجود الفروقات بينهما إلا إنّ كل نوع منهما مستلزم للآخر ضمنا فكل آية دلت على الربوبية

---

(١) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية (٤٢١، ٤٢٢) لعبد العزيز السلمان.

(٢) فتح القدير للشوكاني: (١/ ١٠٧٧)، دون ذكر المحقق.

ركز القرآن على إظهار اللازم من بيانها وهو أن يفرد العبد من أثبت ربوبيته بالعبادة وأنه المستحق لها دون سواه.

الفصل الثاني

دلالة قصة يوسف ﷺ على توحيد الألوهية

وفيه ثمانية مباحث:

١– الدعاء.

٢– الاستعانة.

٣– الاستغاثة.

٤– الاستعاذة.

٥– الرجاء.

٦– التوكل.

٧– الحلف بالله.

٨– دلالة قصة يوسف ﷺ على نواقض توحيد الألوهية.

إنّ العبد إذا أمعن النظر في أنواع العبادة المتعلقة بتوحيد الألوهية وجد لها من التأثيرات العجيبة في حياة العبد فكل عبادة منها تورث العبد جانبا مهما في حياته وتزيد من قوة توحيده وتعلقه بربه وإفراده بالعبادة.

يقول ابن القيم رحمه الله: «فشهوده توحيد الرب وانفراده بالخلق ونفوذ مشيئته وجريان قضائه وقدره يفتح له باب الاستعاذة ودوام الالتجاء إليه والافتقار إليه، وشهوده أمره تعالى ونهيه وثوابه وعقابه يوجب له الحمد والتشمير وبذل الوسع والقيام بالأمر والرجوع على نفسه باللوم والاعتراف بالتقصير، فهذا هو العبد الموفق المعان الملطوف به...»[١].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين: (١٥٨) لابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم.

المبحث الأول: الدعاء:

الدعاء تلك العبادة التي اشتملت الكثير من نصوص الكتاب والسنة عليها وأولتها عناية فائقة وأهمية عظمى، وصورت جوانب عديدة من تقرب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لله بهذه العبادة وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ كيف لا يكون ذلك وهي إقرار عملي باللجوء لبارئ هذا الكون وخالقه ومدبر أمره ومسير مخلوقاته وإفراده بالعبادة، هذه العبادة التي دعا الله إليها في كتابه ووعد بالاستجابة لمن دعاه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

كما بين الله ﷻ أنّ للعبد أنْ يدعو ربه ويترل حاجته به سبحانه دون واسطة فهو قريب يسمعه ويعلم حاجته وسيستجيب دعائه يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

معنى الدعاء لغة:

الدعاء واحد الأدعية وأصله من الفعل دعا إلا أنّ الواو لما جاءت بعد الألف همزت[(١)]، ودعا بالشيء دعوًا ودعوة ودعاء ودعوى طلب إحضاره، يقال: دعا بالكتاب ودعت ثيابه خلقت واحتاج إلى أن يلبس غيرها، ويقال: دعا الميت ندبه، ويقال: دعا الله رجا منه الخير ولفلان طلب الخير له ودعا على فلان طلب له الشر، يقال: دعاه إلى القتال وإلى الصلاة وإلى الدين وإلى المذهب حثه على اعتقاده وساقه إليه[(٢)].

معنى الدعاء اصطلاحا:

الدعاء هو الطلب[(٣)].

---

(١) لسان العرب لابن منظور: (١٤/ ٢٥٨).

(٢) المعجم الوسيط: (١/ ٢٨٦) تأليف: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات وآخرون.

(٣) التعريفات للجرجاني: (١/ ١٣٩) باب الدال، تحقيق: إبراهيم الأبياري، التعاريف للمناوي: (١/ ٣٣٨) باب: الدال، فصل: العين، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

وقيل: الدعاء الرغبة إلى الله والعبادة نحو: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ [يونس: ١٠٦]، والاستعانة نحو: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم ﴾ [البقرة: ٢٣]، والسؤال نحو: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، والقول نحو: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ [يونس: ١٠]، والنداء نحو: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ﴾ [الإسراء: ٥٢]، والتسمية نحو: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣]، والدعاء للقريب والنداء للبعيد(١).

الأدلة على الدعاء من قصة يوسف عليه السلام:

الدليل الأول:

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ [يوسف: ٣١ــ ٣٤].

إنّه لما راودت امرأة العزيز يوسف عليه السلام عن نفسه وامتنع، هددته بالسجن، مع ترغيب النسوة له في ذلك وتخويفه من مخالفة أمرها وبالرغم مع ما حباه الله به من الكمال والشباب والجمال، ما كان منه إلا أن ينأى بنفسه عن فعل الجاهلين وحكم عقله وما منحه الله من العلم الذي أورثه خشية ربه سبحانه وقدم أعظم اللذتين وآثر حسن العاقبة متعرضا لله بالدعاء حيث لم يتقدم بالدعاء الصريح: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ...﴾، فاستجاب له ربه ولطف به وعصمه من الوقوع في المعصية(٢).

وإنّ المؤمن ليتخذ من هذا الموقف صورة مضيئة له في سيره لله والدار الآخرة، مستعينا بالله على فتن الزمان ومغرياته متحصنا بالعلم النافع الذي يبعث النفس على خشية الله في ظل

---

(١) كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي: (١/ ٧٠٢) فصل: الدال، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٨١٣، دون ذكر المحقق فيها، فتح القدير للشوكاني: (١/ ١٠٧٣)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي: (٣٤٧).

التطورات المتلاحقة في كل المجالات خاصة ما كان متعلقا بالدعوة لنبذ العفاف بشتى صوره وأشكاله وما تروجه وسائل الإعلام من مشاهد وصور ونحوها تهيج الغرائز نحو الرذائل.

هنا يقف المؤمن في وجه كل هذه الإغراءات بإيمان راسخ راغبا في فضل الله الذي وعد به على لسان نبيه ﷺ فيما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم القيامة قي ظله يوم لا ظل إلا ظله...وذكر منهم: ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها، قال: إني أخاف الله...)) الحديث[1].

الدليل الثاني:

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف: ٨٦].

وهذا قول يعقوب عليه السلام لما فقد يوسف وأخاه بنيامين، والمعنى: ما أبث من الكلام وحزني الذي في قلبي إلى الله وحده لا إليكم ولا إلى غيركم من الخلق فقولوا ما شئتم[2].

فقد فوّض يعقوب شكواه وما يرجوه لله عز وجل طالبا ما عنده من الخير والفضل.

الدليل الثالث:

قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾ [يوسف: ٩٢].

قال يوسف لإخوته: لا تأنيب عليكم ولا عتب عليكم اليوم، ولا أعيد عليكم ذنبكم في حقي بعد اليوم، ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة، وقوله: ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ أي يستر الله عليكم فيما فعلتم[3].

---

(١) صحيح البخاري: (٦/ ٢٤٩٦)، كتاب الحدود، باب: كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب فضل من ترك الفواحش، رقم: ٦٤٢١)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ورواه مسلم بلفظ: (ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله)، (٢/ ٧١٥)، في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم: (١٠٣١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي: (٣٥٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم: (٨٢١)، لابن كثير.

وموضع الشاهد طلب يوسف المغفرة لإخوته من الله ﷻ.

الدليل الرابع:

قال تعالى: ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١].

هذا دعاء من يوسف عليه السلام لما أتم الله عليه نعمته في الدنيا من الاجتماع بأبويه وإخوته وما من به عليه من النبوة والرسالة والملك، أن يتم عليه نعمته في الآخرة ويلحقه بالصالحين من النبيين والمرسلين[١].

وهذا الدعاء يحتمل أنّه قاله حال احتضاره كما فعل نبينا محمد ﷺ فيما روته عائشة رضي الله عنها وفيه: فأشخص بصره إلى السقف ثم قال: ((اللهم الرفيق الأعلى))[٢] لا يعارض النهي عن تمني الموت والدعاء به وأن هذه الحالة من خصائص الأنبياء أنه لا يقبض نبي حتى يخير بين البقاء في الدنيا وبين الموت[٣]، ويحتمل أن يوسف سأل الله الوفاة على الإسلام إن وافاه الأجل[٤].

مسائل متعلقة بالدعاء:

مسألة تمني الموت:

كان ابن عباس رضي الله عنه يقول: ((ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف عليه السلام)).

وفي ذلك احتمالان:

١- إما أنه أول من سأل الوفاة على الإسلام.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٨٢٣)، لابن كثير.

(٢) صحيح مسلم: (١١٠٦)، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم: (٦٢٩٧)، موسوعة الحديث الشريف، بإشراف: صالح آل الشيخ.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: (١٠/ ١٣١) لابن حجر.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٨٢٣)، لابن كثير.

٢- وإما أنّه أول من سأل إنجاز ذلك، وهو ظاهر سياق قول قتادة، (ت: ١١٧هـ)[١] في تفسير: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ...﴾، لما جمع الله شمله وأقر عينه، وهو يومئذ مغمور في الدنيا وملكها ونضارتها، اشتاق إلى الصالحين قبله، وتوجيهه: أنه لا يجوز في شريعتنا[٢]، لحديث أنس رضي الله عنه قال: ((لولا أني سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تتمنوا الموت) لتمنيت))[٣].

وعند حلول الفتنة في الدين يجوز للعبد أنْ يسأل ربه الموت.

عن محمود بن لبيد رضي الله عنه[٤] أنّ النبي ﷺ قال: ((اثنتان يكرههما ابن آدم الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقلّ للحساب))[٥].

وقال الله عن سحرة فرعون لما أرادهم فرعون عن دينهم وهددهم بالقتل: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: ١٢٦].

ومريم عليها السلام حال المخاض: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم: ٢٣]، لما علمت بقذف الناس لها بالفاحشة، فجعل الله لها فرجا وأنطق الصبي في المهد.

وقول علي رضي الله عنه في آخر خلافته لما رأى الأمور لا تجتمع له ولا يزداد الأمر إلا شدة: ((اللهم خذني إليك، فقد سئمتهم وسئموني))[٦].

أنواع الدعاء:

الدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة:

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء: (٩/ ٣٣٨)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم: ٨٢٣، لابن كثير، وفتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ١٣٠) لابن حجر.

(٣) صحيح البخاري: (٦٠٣)، كتاب التمني، باب ما يكره من التمني، رقم: (٧٢٣٣)، موسوعة الحديث الشريف بإشراف: صالح آل الشيخ.

(٤) محمود بن لبيد الأنصاري، أثبت البخاري صحبته، وعدّه ابن حبان في التابعين، ثم قال: وذكرته في الصحابة لأنّ له رؤية، (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: (٦/ ٤٢) لابن حجر، تحقيق: علي البجاوي.

(٥) مسند أحمد بن حنبل: (٥/ ٤٢٧)، قال عنه المحقق شعيب الأرناؤوط: (إسناده جيد).

(٦) تفسير القرآن العظيم: (٨٢٤)، لابن كثير.

فإنّ الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة ويراد به مجموعهما وهما متلازمان.

فدعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو دفعه وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود حقا والمعبود لا بدّ أن يكون مالكا للنفع والضرر[(١)].

وأما **دعاء العبادة**: أنْ يتعبد به المدعو طلبا لثوابه وخوفا من عقابه[(٢)].

وفي الحديث عن النعمان بن بشيرﷺ عن النبي ﷺ قال: ((الدعاء هو العبادة)) ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠][(٣)].

الدعاء مفتاح التوفيق:

قال ابن القيم: «أجمع العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد وكل شر فأصله خذلانه للعبد، وأن التوفيق أن لا يكلك إلى نفسك والخذلان أن يخلي بينك وبين نفسك، ومفتاح التوفيق الدعاء والافتقار وصدق اللجأ لله والرغبة والرهبة إليه».

قال عمر بن الخطاب ﷺ: ((إني لا أحمل هم الإجابة ولكن هم الدعاء)).

فإذا أُلهم العبد الدعاء فإنّ الإجابة معه، وعلى قدر نيته ومراده يكون توفيق الله وإعانته له[(٤)].

وقد نصّ العلماء من أهل المذاهب الأربعة على أنّ من أشرك بالله فهو كافر أي: عبد مع الله غيره بنوع من أنواع العبادات.

وثبت بالكتاب والسنة والإجماع أنّ دعاء الله عبادة صرفها لغيره شرك[(٥)].

---

(١) بدائع الفوائد: (٣/ ٥١٣) لابن القيم، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرون.

(٢) شرح ثلاثة الأصول: (٥٦)، لمحمد ابن عثيمين، إعداد: فهد السليمان.

(٣) رواه الترمذي: (٥/ ٤٥٦) برقم: ٣٣٧٢، كتاب الدعوات، باب فضل الدعاء، وقال: حديث حسن صحيح، كما صححه الألباني، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

(٤) انظر: الفوائد: ١٤٢لابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي.

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد: (١/ ١٨٤)، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: محمد أيمن الشبراوي.

وسيأتي ذلك -بإذن الله- عند الحديث عن الاستغاثة والتي هي في أصلها نوع من أنواع الدعاء.

موانع الدعاء:

إنّ من موانع استجابة الدعاء:

استعجال الإجابة، واستبطاؤها، والدعاء بالإثم أو قطيعة رحم.

مما يُفضي بالعبد للتحسر وترك الدعاء[١]، وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: ((يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي))[٢]، وعنه أيضا: ((لا يزال يستجاب للعبد، ما لم يدع بإثم أو قطيعة، ما لم يستعجل. قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت وقد دعوت، فلم أر يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء))[٣].

آداب الدعاء:

- حضور القلب وخشوعه ورقته وتضرعه وجمعيته على المطلوب.
- تحري أوقات الإجابة.
- استقبال القبلة.
- الطهارة.
- رفع اليدين.
- حمد الله والثناء عليه.
- الصلاة على النبي ﷺ.

---

(١) انظر: الداء والدواء (١٨) لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٢) صحيح البخاري (٥/ ٢٣٣٥)، كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، برقم: (٥٩٨١)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

(٣) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٩٦)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لي، برقم: (٢٧٣٥)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

- تقديم التوبة والاستغفار بين يدي حاجته.
- الإلحاح في الدعاء.
- التوسل بأسماء الله وصفاته.
- تقديم صدقة بين يدي الدعاء[١].

أوقات إجابة الدعاء:

- الثلث الأخير من الليل.
- عند الأذان.
- بين الأذان والإقامة.
- أدبار الصلوات المكتوبات.
- عند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة.
- آخر ساعة بعد العصر[٢].

وفي نهاية الحديث عن عبودية الدعاء تبقى هذه العبودية حبل متين يصل العبد بربه ويقوي إيمانه ويكون علامة توحيده لله سبحانه متى ما كان مخلصا لله داعيا له وحده لا شريك له، في إطار ما شرعه الله من الدعاء الوارد عن النبي ﷺ.

(١) انظر: الداء والدواء (١٩)، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

(٢) الداء والدواء (١٩)، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

المبحث الثاني: الاستعانة:

الاستعانة لغة:

وردت في مادة عون: رجل معوان كثير المعاونة للناس، والعون الظهير على الأمر، والجمع أعوان، واستعان به فأعانه وعاونه، وفي الدعاء: ((رب أعني ولا تعن علي))[(١)]، وتعاون القوم أعان بعضهم بعضا، واعتونوا مثله أيضا، وقال الليث[(٢)]: كل شيء أعانك فهو عون لك، كالصوم عون على العبادة[(٣)].

الاستعانة اصطلاحا:

طلب العون[(٤)]، وهي أنواع.

أنواع الاستعانة:

الأول: الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله تعالى وصرفها لغيره شرك مخرج عن الملة، ودليلها قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥].

---

(١) سيأتي تخريجه في الصفحة رقم [٦٠].

(٢) الليث بن المظفر بن رافع بن نصر بن سيار، كان رجلا صالحا، من أكتب الناس في زمانه، بارع الأدب بصيرا بالشعر والغريب، صنف الخليل كتاب العين لليث وخصه به، *تنبيه: لم يذكر المؤلف تاريخ مولده ولا وفاته، انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي (٥/ ٣٠، ٣١)، دون ذكر المحقق، الوافي بالوفيات (٢٤/ ٣١٣) للصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى.

(٣) انظر: تاج العروس (٣٥/ ٤٢٩) للزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، مختار الصحاح (١/ ١٩٤)، (مادة: عون، حرف: ع)، للرازي، تحقيق: محمود خاطر.

(٤) صيانة الإنسان (١/ ٤١٣) للسهسواني، قدم له: محمد رشيد رضا، محمد المقدم، اعتنى به: نبيل صلاح، ثلاثة الأصول (٦٢) لابن عثيمين، إعداد: فهد السليمان.

الثاني: الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه فهذه بحسب المستعان عليه برًّا كان أو إثما، فإنْ كانت على برّ كانت جائزة للمستعين، مشروعة في حق المُعين، بدليل قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ...﴾ [المائدة: ٢].

الثالث: الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر فهذه لغو لا طائل من ورائها كالمستعين بالضعيف لحمل شيء ثقيل.

الرابع: الاستعانة بالأموات مطلقا، أو بالأحياء على أمر غائب وغير مقدور عليه، فهذا شرك.

الخامس: الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة لله، وهذه مشروعة، بدليل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣][(١)].

الأدلة على الاستعانة من قصة يوسف عليه السلام:

الدليل الأول:

قال تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

وموضع الشاهد في الآية على ذكر الاستعانة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ أي: أستعين بالله على الصبر، على ما تكذبون، لا على حولي وقوتي[(٢)].

والاستعانة في الآية من النوع الأول: الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته.

الدليل الثاني:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ...﴾ [يوسف: ٤٢].

---

(١) انظر: ثلاثة الأصول: (٦٢، ٦٣) لابن عثيمين.

(٢) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢٢٣)، تحقيق: محمد النمر وآخرون، تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣٩٤) للسعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

﴿وَقَالَ﴾ يعني: يوسف عليه السلام عند ذلك، ﴿لِلَّذِى ظَنَّ﴾ علم ﴿أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ وهو الساقي الذي رأى أنه يعصر خمرا: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني: سيدك الملك، اذكر له شأني وقصتي وقل له: إنّ في السجن غلاما محبوسا ظلما طال حبسه لعله يرقُّ لي، فيخرجني مما أنا فيه(١).

وهذه الاستعانة من النوع الثاني: الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه، وهي من النوع الجائز للمستعين، المشروع في حق المعين، ومن التعاون على البر الذي لا يترتب عليه إثم.

الأدلة من السنة:

١- من الأحاديث الواردة في الاستعانة ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز...)) الحديث(٢).

والمعنى: في قوله: (احرص على ما ينفعك...): أي احرص على طاعة الله والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة(٣).

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان النبي ﷺ يدعو: رب أعني ولا تُعن عليّ وانصرني ولا تنصر علي...)) الحديث(٤).

والمعنى:

(١) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢٤٣)، وتفسير السعدي: (١/ ٣٩٨).

(٢) صحيح مسلم: (٤/ ٢٠٥٢)، كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم: (٢٦٦٤)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: (١٦/ ٢١٥)، دون ذكر المحقق.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، كتاب الوتر، باب: ما يقول الرجل إذا سلّم (٢/ ٨٣) برقم: ١٥١٠، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. جامع الترمذي: كتاب الدعوات، باب: (رب أعني ولا تعن علي...) وقال حديث حسن صحيح، (٥/ ٥٥٤) برقم: ٣٥٥١، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون. سنن ابن ماجه: أبواب الدعاء، باب: دعاء رسول الله (٢/ ١٢٥٩) برقم: ٣٨٣٠، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(رب أعني): أي وفقني لذكرك وشكرك وحسن عبادتك، (ولا تعن علي): أي لا تغلب علي من يمنعني من طاعتك من شياطين الإنس والجن، (وانصرني ولا تنصر علي): أي أغلبني على الكفار ولا تغلبهم علي، أو انصرني على نفسي فإنها أعدى أعدائي ولا تنصر النفس الأمارة علي بأن أتبع الهوى وأترك الهدى[(١)].

يقول ابن تيمية رحمه الله:

«...فكلما ازداد القلب حبّا لله ازداد له عبودية، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبا وفضله عما سواه. والقلب فقير بالذات إلى الله، ...إلى أن قال: ولا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يسر ولا يلتذ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة.

وهذا لا يحصل له إلا بإعانة الله له فإنه لا يقدر على تحصيل ذلك له إلا الله فهو دائما مفتقر إلى حقيقة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾»[(٢)].

وقال أيضًا: «...فإذا كرهوا جميع السيئات لم يبق إلا حسنات أو مباحات، والمباحات لم تبح إلا لأهل الإيمان الذين يستعينون بها على الطاعات، وإلا فاللّه لم يبح قط لأحد شيئًا أن يستعين به على كفر، ولا فسوق، ولا عصيان؛ ولهذا لعن النبي ﷺ عاصر الخمر ومعتصرها، كما لعن شاربها. والعاصر يعصر عنبًا يصير عصيرًا يمكن أن ينتفع به في المباح، لكن لما علم أن قصد العاصر أن يجعلها خمرًا، لم يكن له أن يعينه بما جنسه مباح على معصية اللّه، بل لعنه النبي ﷺ على ذلك؛ لأن اللّه لم يبح إعانة العاصي على معصيته، ولا أباح له ما يستعين به في المعصية. فلا تكون مباحات لهم إلا إذا استعانوا بها على الطاعات»[(٣)].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، (٤/ ٢٦٣) للمؤلف: محمد شمس الحق العظيم آبادي، دون ذكر المحقق.

(٢) العبودية: (١/ ٩٧) لابن تيمية، تحقيق: محمد الشاويش، اعتنى به: محمد المنصور.

(٣) الإيمان الكبير: لابن تيمية، (٢/ ٥٦)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

وفي كلا القولين المذكورين لابن تيمية يتضح أنّ العبد مفتقر لربه منيب إليه يعينه ويسدده ويشرع له الانتفاع والاستعانة بكل مباح في سبيل طاعة الله، وهنا يجد العون من الله، فيعقوب عليه السلام استعان بالله في صبره على كذب أبنائه، ويوسف استعان بمخلوق فيما يقدر عليه لم يتجاوز في استعانته به حدود قدرة هذا الفتى، مع إيقانه بأنّ الله هو الذي سيسخره له لينتفع به.

المبحث الثالث: الاستغاثة:

تعدّ الاستغاثة نوعا من أنواع الدعاء والتي تقوي صلة العبد بربه سبحانه لإيقانه أنْ لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه.

الاستغاثة لغة:

كلمة مشتقة من مادة: غوث، يقال: أجاب الله غوثاه وغواثه، والغواث بالضم الإغاثة، وغوث الرجل واستغاث صاح يا غوثاه، وأغثنا بالهمزة من الإغاثة، والغياث ما أغاثك الله به، ويقول الواقع في البلية: أغثني أي: فرّج عنّي(١).

الاستغاثة اصطلاحا:

الاستغَاثَةُ: طلبُ الغَوثِ، وهو التَّخلِيصُ من الشّدةِ والنِّقمَةِ، والعَونُ على الفكَاكِ من الشّدائدِ(٢).

الأدلة على الاستغاثة من قصة يوسف عليه السلام:

ستتكرر بعض أدلة الدعاء في مبحث الاستغاثة بصفتها نوعا من أنواع الدعاء، مع الإشارة للآيات فقط دون تفصيل لمعان سبق ذكرها.

الدليل الأول:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٣ ــ٣٤].

---

(١) انظر: لسان العرب: (٢/ ١٧٤)، (مادة: غوث، حرف: ث) لابن منظور، مختار الصحاح: (١/ ٢٠٢) للرازي، تحقيق: محمود خاطر.

(٢) تاج العروس: (٥/ ٣١٤) للزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين.

الدليل الثاني:

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف: ٨٦].

وكلا الدعوتين الأولى من يوسف، والثانية من يعقوب عليهما السلام تبرزان حقيقة الإيمان بالله والالتجاء إليه والاستغاثة به سبحانه فهو القادر على كل شيء وبيده مقاليد الأمور هو المرجو لإزالة الغمّ وتفريج الكربات، بخلاف من يرجو ويدعو غير الله، أو يدعو غيره معه سبحانه.

الأدلة من السنة:

من أدلة السنة المطهرة على الاستغاثة:

١- عن أبي هريرة ﵁ أنّ رسول الله ﷺ قال: ((يترل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له))(١).

والحديث جاء نصّا في الدعاء ويتضمن الاستغاثة بالله سبحانه وإنزال العبد حوائجه عند ربه متحرّيا أفضل الأوقات للإجابة.

٢- وعن ابن مسعود ﵁ كان رسول الله ﷺ إذا نزل به همّ أو غمّ قال: ((يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث))(٢).

مسائل في الاستغاثة:

١) الفرق بين الدعاء والاستغاثة:

---

(١) صحيح البخاري: (١/ ٣٨٤)، كتاب الصلاة، أبواب التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل، برقم: (١٠٩٤)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٢) المستدرك على الصحيحين: (١/ ٦٨٩)، كتاب: الدعاء والتكبير والتهليل...إلخ، برقم: (١٨٧٥)، لمحمد الحاكم النيسابوري وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ولم يتعقبه الذهبي في التلخيص بتعليق، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

وبما أنّ الاستغاثة نوع من أنواع الدعاء فلا بد من معرفة مزية هذا الدعاء وكيف نستطيع التفريق بينها وبين مطلق الدعاء؟.

بين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص مطلق:

يجتمعان في مادة وهو دعاء المستغيث، وينفرد الدعاء الذي هو مطلق الطلب والسؤال من غير المستغيث[١].

والاستغاثة لا تكون إلا من المكروب كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ...﴾ [القصص: ١٥]، وقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ...﴾ [الأنفال: ٩]، والدعاء أعم من الاستغاثة لأنه يكون من المكروب وغيره فعلى هذا عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص، قال أبو السعادات[٢]: «الإغاثة الإعانة»، وبهذا تكون الاستغاثة هي الاستعانة ولا ريب أن من استغاثك فأغثته فقد أعنته إلا أن لفظ الاستغاثة مخصوص بطلب العون في حالة الشدة بخلاف الاستعانة[٣].

وقد نهى تعالى عن دعاء غيره الأخص والأعم في كتابه، فكل ما قصد به غير الله مما لا يقدر عليه إلا الله كدعوة الأموات والغائبين ولو كانوا رسلا أو صالحين فهو من الشرك الذي لا يغفره الله، والأدلة على ذلك من القرآن والسنة أكثر من أن تحصر، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦][٤].

---

(١) قرة عيون الموحدين: (٩١) حاشية: عبد الرحمن بن حسن تحقيق: إسماعيل الأنصاري.

(٢) ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك محمد بن محمد الشيباني الجزري: (م. ت ٥٤٤-٦٠٦هـ)، محدث لغوي أصولي، ولد في جزيرة ابن عمر، قرأ الحديث والعلم والأدب وكان رئيسا مشاورا، ألف جميع مؤلفاته في مرضه، ومنها: النهاية في غريب الحديث، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تجريد أسماء الصحابة، وله ديوان رسائل، وكتاب الفروق في الأبنية، وهو أخو ابن الأثير المؤرخ، وابن الأثير الكاتب، (انظر: الأعلام: (٥/ ٢٧٢، ٢٧٣) للزركلي، سير أعلام النبلاء: (٤١/ ٤٦٨إلى٤٧٠) للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: (١/ ١٨٠)، لسليمان بن عبد الله.

(٤) انظر: قرة عيون الموحدين: (٩١) حاشية: عبد الرحمن بن حسن تحقيق: إسماعيل الأنصاري.

فلا يُستغاث بهم مثلا في طلب هداية، أو جلب رزق، أو إنزال مطر، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ...﴾ [القصص: ٥٦].

أمّا إن كان المطلوب من العبد شيئا يتناسب مع ما أودعه الله من قدرات كالإعانة على حمل متاع، أو التخلص من عدو فهذا لا مانع منه، يقول أبو يزيد البسطامي[١]: «استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق»، وهذا حتما إن استغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله[٢].

٢) حصر أقسام المدعوين من دون الله ونفي كل واحد منهم:

قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ...﴾ [سبأ: ٢٢ــ٢٣]، فذكر سبحانه الأقسام الممكنة، فإنّ المشرك الذي يدعو غير الله ويرجوه ويخافه إمّا أنْ يجعله مالكا، أو شريكا، أو ظهيرا، أو شفيعا، وهكذا كل من طلب منه أمر من الأمور إما أن يكون مالكا مستقلا به وإما أن يكون شريكا فيه وإما أن يكون عونا وظهيرا لربّ الأمر وإما أن يكون سائلا محضا وشافعا إلى ربّ الأمر فإذا انتفت هذه الوجوه امتنعت الاستغاثة به، ولهذا كان الناس بعضهم مع بعض لا يخرجون عن هذه الأقسام[٣].

ممّا يدلّ على أنّ الاستغاثة وطلب قضاء الحاجات وتفريج الكربات هو بيد من بيده مقاليد الأرض والسماوات.

فاللهمّ أغث قلوبنا ببرد عفوك عنا، وجنبنا مزالق الردى فإليك المرتجى.

---

(١) طيفور بن عيسى أبو يزيد، (م، ت: ١٨٨-٢٦١هـ)، نسبته إلى بسطام وهي بلدة بين خراسان والعراق، زاهد مشهور، وقيل: أنه كان يقول بوحدة الوجود وبمذهب الفناء، له نكت مليحة وكلام نافع، وقل ما روى، وجاء عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها قد يكون قالها في حال الدهشة والسكر والغيبة والمحو فلا يحتج بها إذ ظاهرها إلحاد، دون ذكر مؤلفات له.، سير أعلام النبلاء: (٢٥/ ٨٢، ٨٣) للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط، (انظر: الأعلام: (٣/ ٢٣٥) للزركلي.

(٢) انظر: صيانة الإنسان: (١/ ٣١٢-٣١٤) للسهسواني، اعتنى به: نبيل صلاح سليم.

(٣) الرد على المنطقيين: (١/ ٥٢٩)، لابن تيمية، دون ذكر المحقق.

المبحث الرابع: الاستعاذة:

إنّ الاستعاذة بالله سبحانه عبادة جليلة شرعها الله لنا في العديد من المواطن التي ستذكر لاحقا لعل من أبرزها الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند استفتاح تلاوة القرآن الكريم، حبل الله المتين وكتابه المبين، وختم الله كتابه سبحانه بسورتين جليلتين استفتحتا بالاستعاذة من أعظم الشرور الداخلية والخارجية، وهما سورتي الفلق والناس، مما يشير لأهميتها في حياة المسلم وضرورتها.

الاستعاذة لغة:

كلمة مشتقة من: (عوذ)، والعوذ الالتجاء، كالعياذ بالكسر، وعاذ به يعوذ: لاذ به ولجأ إليه واعتصم، وعذت بفلان واستعذت به ولجأت إليه[1].

الاستعاذة اصطلاحا:

وبالاستناد للمعنى اللغوي يتبيّن أنّها مصدر من الالتجاء والاعتصام.

الأدلة على الاستعاذة من قصة يوسف عليه السلام:

الدليل الأول:

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف: ٢٣].

والشاهد من الآية قوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ عندما دعته امرأة العزيز وراودته عن نفسه وهيأت لذلك.

فما كان منه إلا أنْ لجأ إلى الله مستعيذا به في ذلك الوقت العصيب متلفظا بهذه العبارة.

---

(١) تاج العروس: (٩/ ٤٣٨)، للزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، لسان العرب: (٣/ ٤٩٨)، (مادة: عوذ، حرف: ذ) لابن منظور، دون ذكر المحقق.

والمعنى: أعوذ بالله وأعتصم بالله مما دعوتني إليه، ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ يريد أنّ زوجكِ -سيدي- أكرَم مترلي، هذا قول أكثر المفسرين.

وقيل: الهاء راجعة إلى الله تعالى، يريد: أنّ الله تعالى ربي أحسن مثوايَ، أي: آواني، ومن بلاء الجبِّ عافاني.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعني: إن فعلت هذا فخنته في أهله بعد ما أكرم مثواي فأنا ظالم، ولا يفلح الظالمون[١].

وقيل: لا يفلح الظالمون: أي لا يسعد الزناة.

الدليل الثاني:

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩﴾ [يوسف: ٧٩].

قَالَ يوسف أي: هذا ظلم منّا، وأستجير بالله من أنْ نأخذ بريئًا بسقيم أو بذنب من وجدنا متاعنا عنده، ولم يقل (من سرق) كل هذا تحرز من الكذب، ﴿إِنَّآ إِذٗا﴾ أي: إنْ أخذنا غير من وجد في رحله ﴿لَّظَٰلِمُونَ﴾ حيث وضعنا العقوبة في غير موضعها[٢].

الأدلة من السنة:

إنّ المتأمل في أدعيته ﷺ يلاحظ بجلاء تكرار لفظ الاستعاذة فيها في مواضع متعددة على اختلاف المستعاذ منه.

ممّا يُبرهن على أهمية الاستعاذة بالله والالتجاء إليه والاعتصام به في شؤون حياة المسلم اليومية، فالعبد مهما بلغ ضعيف لا حول ولا قوة له في مواجهة شر نفسه وشر غيره إلا بالله سبحانه.

---

(١) معالم التتريل (٤/ ٢٢٨) للبغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرون.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن: (١/ ٤٠٣) للسعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، جامع البيان: (١٦/ ٢٠٣) للطبري، تحقيق: أحمد شاكر.

فالاستعاذة تذكر على سبيل المثال: عند استفتاح تلاوة القرآن كما تقدم، وعند نزول المرء مترلا، وعند هبوب الريح، ودخول الخلاء، وفي الاستعاذة بالله من النار، والشرك، والهمّ والبخل...إلخ مما لا يتسع المقام لحصره.

ومن أمثلة الأحاديث الواردة في الاستعاذة:

١- قال أَنَس‌ﷺ: كان النبي ﷺ إذا دخل الْخلَاءَ قال: ((اللهم إني أعُوذُ بكَ من الخُبُثِ وَالْخَبَائث))[(١)]،[(٢)].

٢- وعن أَنَسِ بن مَالك‌ﷺ أيضا: أنَّ النبي ﷺ قال لأَبِي طلْحَةَ: ((الْتَمسْ غُلامًا من غلْمَانكُمْ يَخْدُمُني حتى أخْرُجَ إلى خيْبَرَ فخَرَجَ بي أبو طلْحَةَ مُرْدفي وأنا غُلامٌ راهَقْتُ الحُلُمَ فكُنْتُ أخْدُمُ رسُولَ اللّه ﷺ إذا نزَلَ فكُنْتُ أسْمَعُهُ كَثيرًا يقول اللهم إني أعُوذُ بكَ من الْهمِّ والْحَزَنِ والْعَجْزِ والْكَسَلِ والْبُخْلِ والْجُبْنِ وضَلَعِ الدَّينِ[(٣)] وغَلَبَةِ الرِّجالِ...))[(٤)] الحديث.

قال الكرماني[(٥)]: «هذا الدعاء من جوامع الكلم لأن أنواع الرذائل ثلاثة: نفسانية وبدنية وخارجية، فالأولى: بحسب القوى التي للإنسان وهي ثلاثة العقلية والغضبية والشهوانية، فالهم

---

(١) الخبث والخبائث: الشياطين وإناثهم)، فتح الباري شرح صحيح البخاري: (١/ ٢٤٣) لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب.

(٢) صحيح البخاري: (١/ ٦٦) باب: ما يقول عند الخلاء، كتاب: الوضوء، رقم: (١٤٢)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

(٣) قوله: (وضلع الدين): أصل الضلع وهو بفتح المعجمة واللام الاعوجاج يقال: ضلع بفتح اللام يضلع أي مال والمراد به هنا: ثقل الدين وشدته، وذلك حيث لا يجد من عليه الدين وفاء، ولا سيما مع المطالبة وقال بعض السلف: ما دخل هم الدين قلبا إلا أذهب من العقل مالا يعود إليه، قوله وغلبة الرجال أي شدة تسلطهم كاستيلاء الرعاع هرجا ومرجا، (فتح الباري شرح صحيح البخاري: (١١/ ١٧٤) لابن حجر العسقلاني).

(٤) صحيح البخاري: (٣/ ١٠٥٩)، باب: من غزا بصبي للخدمة، كتاب: الجهاد والسِّيَر، برقم) ٢٧٣٦)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

(٥) محمد بن يوسف بن علي شمس الدين الكرماني (م. ت: ٧١٧-٧٨٦هـ) أصله من كرمان، عالم محدث فقيه أصولي مفسر متكلم نحوي بياني، ألف الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ضمائر القرآن، السبعة السيارة وهو =

والحزن يتعلق بالعقلية، والجبن بالغضبية، والبخل بالشهوانية، والعجز والكسل بالبدنية، والثاني: يكون عند سلامة الأعضاء وتمام الآلات والقوى والأول عند نقصان عضو ونحوه والضلع والغلبة بالخارجية فالأول مالي والثاني جاهي والدعاء مشتمل على جميع ذلك»[١].

أنواع الاستعاذة:

الأول: الاستعاذة بالله المتضمنة كمال الافتقار والذل لله في كل شيء، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١][٢]، وهي عبادة لا يجوز صرفها لغير الله[٣].

الثاني: الاستعاذة بصفة من صفاته ككلامه وعظمته وعزته ونحوها، عن خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك))[٤]،[٥].

الثالث: الاستعاذة بالأموات أو الأحياء غير الحاضرين القادرين على العوذ، فهذا شرك، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦].

الرابع: الاستعاذة بالمخلوقين القادرين على العوذ من بشر وغيرهم وهذه جائزة، ودليلها ما رواه أبو هريرة ﷺ قال ﷺ: ((ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير

شرح لمختصر ابن الحاجب، مات راجعا من الحج في طريقه إلى بغداد، (الأعلام: (٧/ ١٥٣) للزركلي، معجم المؤلفين: (١٢/ ١٢٩) لعمر كحالة.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: (١١/ ١٧٤) لابن حجر العسقلاني.

(٢) انظر: شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين: (٦٣)، إعداد فهد السلمان.

(٣) قرة عيون الموحدين: (٨٨)، لعبد الرحمن بن حسن، صححه: إسماعيل الأنصاري.

(٤) صحيح مسلم: (٤/ ٢٠٨٠)، كتاب: الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء...إلخ، برقم: (٢٧٠٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ش (بكلمات الله التامات) قيل معناه الكاملات التي لا يدخل فيها نقص ولا عيب وقيل النافعة الشافية وقيل المراد بالكلمات هنا القرآن.

(٥) شرح ثلاثة الأصول: (٦٤)، إعداد فهد السلمان.

من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه فمن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذ به))[(١)][(٢)].

وفي الحديث تحذير من الفتن والابتعاد عن التصدي لها واتخاذ الملجأ والمعاذ منها ولو أنْ يلحق بإبله كما ذكر في لفظ حديث آخر_ عند مسلم_ وذكر الغنم والأرض وإنْ لم يكن معه فليعمد لسيفه ويدقّ حده بحجر لينجو من الفتن[(٣)][(٤)].

وبنهاية الحديث عن أنواع الاستعاذة ينتهي ما قد تمّ بيانه في معنى الاستعاذة وأدلتها الواردة في قصة يوسف عليه السلام، وفي السنة المطهرة عن رسول الله ﷺ.

أعاذنا الله من شر كل ذي شر ووفقنا للالتجاء إليه وتوحيده والاعتصام به سبحانه.

---

(١) صحيح البخاري: (٦/ ٢٥٩٤)، كتاب: الفتن، باب: تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، برقم: (٦٦٧٠)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

(٢) انظر: شرح ثلاثة الأصول: (٦٤)، إعداد فهد السلمان.

(٣) صحيح مسلم: (٨/ ١٦٩)، كتاب الفتن، باب: نزول الفتن كمواقع المطر، برقم: (٧٤٣٢) عن أبي بكرة رضي الله عنه: نفيع بن الحارث، وقيل بن مسروح، ومولى رسول الله ﷺ وممن روى عنه، وكني بأبي بكرة لتدليه للنبي من حصن الطائف ببكرة، روى عنه أولاده، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: (٦/ ٤٦٧) لابن حجر، تحقيق: علي البجاوي.

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: (١٣/ ٣١) لابن حجر، دون ذكر المحقق.

المبحث الخامس: الرجاء:

الرجاء تلك العبادة الجليلة القدر عظيمة الأجر، العبادة التي يعيش العبد بها ويموت عليها يرجو رحمة الله ويخشى عذابه، ويغلب جانب الرجاء عند موته محسنا ظنه بالله، طامعا فيما أعده للمتقين من جنات ومقام كريم.

الرجاء لغة:

كلمة مشتقة من الفعل: رجا، والرجاء من الأمل: نقيض اليأس، رجاه يرجوه رجوا ورجاء ورجاوة ومرجاة ورجاة، وهمزته منقلبة على واو بدليل ظهورها في رجاوة، وأرجى الأمر: أخره[(١)].

الرجاء اصطلاحا:

تعلق القلب بحصول محبوب أو توقعه في المستقبل[(٢)].

الدليل على الرجاء من قصة يوسف عليه السلام:

دلت القصة على الرجاء بدليل واحد فقط على لسان يعقوب عليه السلام في نهيه بنيه عن اليأس من رحمة الله والذي هو نقيض الرجاء.

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ[(٣)] مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

---

(١) لسان العرب: (١٤/ ٣١٠)، (مادة رجا، حرف: الواو والياء)، لابن منظور، دون ذكر المحقق، مختار الصحاح: (١/ ١٠٠) للرازي، مادة: (ر. ج. ي)، تحقيق: محمود خاطر.

(٢) انظر: التعريفات (١/ ١٤٦) للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، التوقيف على مهمات التعاريف: (١/ ٢١٧) للمناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

(٣) فائدة: من تفسير ابن كثير: (٤/ ٤٠٦) تحقيق: سامي سلامة، وذكر معنى: التحسس يكون في الخير، والتجسس يستعمل في الشر.

يقول تعالى مخبرا عن يعقوب عليه السلام: إنه ندب بنيه على الذهاب في الأرض، يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين.

ونَهّضهم وبشرهم وأمرهم ألا ييأسوا من روح الله، أي: لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه، ورَوْحِ اللَّهِ رحمة الله، وقيل: فرج الله، فإنه لا يقطع الرجاء، ويقطع الإياس من الله إلا القوم الكافرون[١].

الأدلة من السنة:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنّ الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار))[٢].

٢- حديث عائشة رضي الله عنها لما اشتد الأذى على النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة وقد بعث الله إليه جبريل عليه السلام ليأمره بما شاء فيهم...إلخ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم: ((بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا))[٣].

مسائل متعلقة بالرجاء:

للرجاء عبادة مقترنة به عند حديث العلماء عنه وتوضيحهم لماهيته، ألا وإن هذه العبادة هي: الخوف، فهما قرينان لا ينبغي تغليب جانب منهما على الآخر بل الموازنة بينهما مما يدفع العبد للتزود بالأعمال الصالحة والمسارعة فيها دون تسويف أو طول أمل، ودون أمن من عذاب

---

(١) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢٧١)، تحقيق: محمد النمر وآخرون، وتفسير ابن كثير: (٤/ ٤٠٦) تحقيق: سامي سلامة.

(٢) صحيح البخاري: (٥/ ٢٣٧٤)، كتاب: الرقاق، باب: الرجاء والخوف، برقم: (٦١٠٤)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

(٣) صحيح مسلم: (٣/ ١٤٢٠)، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، برقم: (١٧٩٥)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

الله بالإسراف في المعاصي والذنوب، إذ الباعث على شحذ الهمة والاستزادة من الدنيا هو خوف عذاب الله ورجاء ما عنده سبحانه من النعيم المقيم.

فيعيش المرء في حياته وفق ميزان معتدل لا ينقطع حسن ظنه بالله ولا ييأس بل يتوب ويستغفر كلما أساء، ويحسن الظن بالله ويرجو ما عنده كلما أحسن العمل متذكرا سعة رحمة الله وصدق وعده وأنه عند حسن ظن عبده به جل في علاه.

١- ما يستلزمه الرجاء:

١-محبة ما يرجوه، ٢-خوفه من فواته، ٣- سعيه في تحصيله بحسب الإمكان.

وأما الرجاء الذي لا يقترن بهذه الأمور الثلاثة فهو مجرد أماني، وكما هو معلوم أن كل راج خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات، قال تعالى في شأن قائم الليل المتزود بالصالحات الباذل أسباب الرجاء: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٩][١].

٢- الرجاء عند المرض:

يترجح جانب الرجاء على جانب الخوف عند اشتداد المرض بالإنسان، بخلاف زمن الصحة والعافية والقوة إذ يغلب فيه جانب الخوف من الله سبحانه، قال ﷺ قبل وفاته بثلاثة أيام فيما يرويه عنه جابر رضي الله عنه: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه))[٢][٣].

---

(١) انظر: الداء والدواء لابن القيم: (٤٦، ٤٧)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، وشرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين: (٥٨)، إعداد: فهد السليمان.

(٢) صحيح مسلم: (٤/ ٢٢٠٥)، كتاب: الجنة، باب: الأمر بحسن الظن بالله عند الموت، برقم: (٢٨٧٧)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٤٠٠)، لابن أبي العز الحنفي، رتبه وعلق عليه: خالد فوزي.

٣- حقيقة الرجاء:

ليس المراد هنا الحديث عن معنى الرجاء فقد تقدم ذكره، ولكن الحديث عن حقيقة الرجاء من ناحية متعلقه.

فالرجاء المختص بالله ﷻ يستحيل أن يطلب من سواه في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله كشفاء المريض، وإنزال المطر، وإنبات الزرع، وإجابة دعوة المضطر[١].

أما الرجاء المتعلق بالعبد والذي يرجوه من عبد مثله فيتمثل في أمور كثيرة ثبتت في حق الأنبياء عليهم السلام وفي حق كل إنسان منها على سبيل المثال: صلة الرحم، والإعانة على نوائب الحق، وعيادة المريض، والتنازل عن الحقوق، والعفو والتسامح وغيرها[٢].

أما ما ثبت في حق النبي ﷺ من رجاء الشفاعة بعد الموت والتي يصبو إليها كل مؤمن فهذا جائز دلت الأدلة من الكتاب والسنة عليه، منها ما ورد عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا))[٣][٤].

وبهذا تتضح حقيقة الرجاء كعبادة لا تصرف لغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، مع جواز رجاء العبد لأخيه فيما يقدر عليه من أمور الدنيا والتي لا يمكنه قضاؤها إلا بإذن الله.

فاللهمّ علق رجاءنا بك سبحانك، وارزقنا حسن الظن بك، قال بعض السلف: (رب مستدرج بنعم الله عليه وهو لا يعلم، ورب مغرور بستر الله عليه وهو لا يعلم، ورب مفتون بثناء الناس عليه وهو لا يعلم)[٥].

---

(١) انظر: صيانة الإنسان: (٢/ ٦٥) للسهسواني، قدم له: محمد رشيد رضا، ومحمد المقدم، اعتنى به: نبيل صلاح.

(٢) انظر: صيانة الإنسان: (٢/ ٧١)، للسهسواني، قدم له: محمد رشيد رضا، ومحمد المقدم، اعتنى به: نبيل صلاح.

(٣) صحيح مسلم: (١/ ١٨٨)، كتاب: الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: أنا أول الناس يشفع في الجنة، برقم: (١٩٦).

(٤) انظر: صيانة الإنسان: (٢/ ٧١)، للسهسواني، قدم له: محمد رشيد رضا، ومحمد المقدم، اعتنى به: نبيل صلاح.

(٥) الداء والدواء: (٤٢)، لابن القيم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

المبحث السادس: التوكل:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، **وقال:** ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

لقد تعددت الآيات الدالة على التوكل في كتاب الله ﷻ بوصفها عبادة قلبية بين العبد وربه، يحكمها صدق الالتجاء إلى الله في مختلف شؤون حياة المؤمن، وفي هذا المبحث سيتم عرض أبرز حقائق هذه العبادة: من معنى التوكل، وأدلته في قصة يوسف عليه السلام والسنة المطهرة، وأهم المسائل المتعلقة به.

والآية الثانية دالة على أن كمال التوكل سبب لتحقيق التوحيد بأنواعه الثلاثة، قال ابن القيم: «فجعل التوكل على الله شرطا في الإيمان»[(١)].

التوكل لغة:

كلمة مشتقة من الفعل وكل، وفي أسماء الله تعالى الوكيل: هو المقيم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته أنه يستقل بأمر الموكول إليه، والمتوكل على الله: الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره، وتوكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي ألجأته إليه، ووكل إلى رأيه وكلا ووكولا: تركه[(٢)].

التوكل اصطلاحا:

الثقة بما عند الله واليأس عمّا في أيدي الناس[(٣)].

---

(١) انظر: قرة عيون الموحدين: (١٧٢، ١٧٣)، لعبد الرحمن بن حسن، تصحيح وتعليق: إسماعيل الأنصاري.

(٢) لسان العرب: (١١/ ٧٣٤)، (مادة: وكل، حرف: ل) لابن منظور، دون ذكر المحقق، أساس البلاغة: (١/ ٦٨٨)، للزمخشري.

(٣) التعريفات: (١/ ٩٧) للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، التوقيف على مهمات التعريف: (١/ ٢١٧) للمناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

الأدلة على التوكل من قصة يوسف عليه السلام:

في القصة دليل واحد على التوكل جاء على لسان يعقوب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف: ٦٧].

والمراد أنّ يعقوب عليه السلام قد خشي على بنيه من العين إذا دخلوا جماعة بالإضافة لحسن هيأتهم وجمال صورهم، فأمرهم بالدخول من أبواب متفرقة متوكلا على الله واثقا به آخذا بالأسباب وإلا فإنه لن يدفع عنهم قضاء الله سبحانه الذي يفوض إليه المفوضون أمورهم(١).

وأما الدليل التالي فهو يتعلق بالتوكل ضمنا لا صراحة، قال تعالى: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يوسف: ٤٧].

وفيه دليل على أنّ جباية الأرزاق للسنين المجدبة غير مناقض للتوكل، بل هو من الأخذ بالأسباب(٢).

الأدلة من السنة:

١- ما رواه ابن عباس رضي الله عنه في حديث: السبعون ألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب وفيه قال رسول الله ﷺ: ((هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون، فقال عكاشة بن محصن أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: نعم، فقام آخر فقال أمنهم أنا؟ قال: سبقك بها عكاشة))(٣).

---

(١) انظر: تفسير جامع البيان: (١٦/ ١٦٥، ١٦٦) للطبري، تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) تفسير السعدي: (١/ ٤٠٧)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) انظر: صحيح البخاري: (٥/ ٢١٥٧)، كتاب: الطب، باب: من اكتوى أو كوى غيره، برقم: (٥٣٧٨)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، وذكر المعاني الآتية: (لا يسترقون) لا يفعلون الرقية اعتمادا كليا على الله عز و جل. (لا يتطيرون) لا يتشاءمون بالطيور. (لا يكتوون) أي لا يتداوون بالكي.

والشاهد في قوله: (يتوكلون) يفوضون الأمر إليه تعالى وإن تعاطوا الأسباب[١].

٢- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: ((لَو أَنَّكُم تَوَكَّلْتُم عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّله، لَرَزَقَكُم كَمَا يَرْزق الطَّيْر، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا))[٢].

قال المناوي: أي تغدو بكرة وهي جياع، وتروح عشاء وهي ممتلئة الأجواف، وأشار إلى أن التوكل ليس التبطل والتعطل بل لا بد فيه من التوصل بنوع من السبب لأن الطير ترزق بالسعي والطلب، وقال أبو القاسم القشيري[٣]: «اعلم أنّ التوكل محله القلب وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب بعد ما يحقق العبد أن الرزق من قبل الله تعالى فإن تعسر شيء فبتقديره وإن تيسر شيء فبتيسيره»[٤].

مسائل في التوكل:

١- أنواع التوكل:

التوكل على الله نوعان:

أحدهما: توكل على الله في جلب المنافع الدنيوية، ودفع المصائب والمكروهات.

الثاني: التوكل على الله فيما يحبه من الإيمان به والدعوة والجهاد وغيرها من الطاعات.

فإذا حقق العبد النوع الثاني من التوكل فإنه بلا شك سيجد عون الله له على النوع الأول.

---

(١) السابق: (٥/ ٢١٥٧).

(٢) سنن ابن ماجه: (٥/ ٢٦٦)، كتاب: الزهد، باب: التوكل واليقين، برقم: (٤١٦٤)، كتب حواشيه محمود خليل، وعند الترمذي: عن عمر رضي الله عنه بلفظ: (لو أنكم كنتم...)، ولفظ: (لرزقتم...)، (٤/ ٥٧٣)، كتاب: الزهد، باب: التوكل على الله، برقم: (٢٣٤٤)، وقال: حديث حسن صحيح، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون.

(٣) عبد الكريم بن هوازن الشافعي الصوفي، صاحب الرسالة في رجال الطريقة، برع في العمل بالسلاح، وتعلم الكتابة والعربية وجود، سمع الحديث من أبي الحسين الخفاف، وأبي نعيم الأسفراييني، وتفقه على يد أبي بكر الطوسي، وابن فورك، حدث عنه أولاده، (ت: ٤٦٥هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء: (١٨/ ٢٢٧-٢٢٨-٢٣٢) للذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ووفيات الأعيان: (٣/ ٢٠٦) لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس.

(٤) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: (٧/ ٧-٨)، لمحمد المباركفوري.

كما أن القيام بالأسباب المفضية إلى حصول الخير أمر مطلوب في تحقيق التوكل وإلا كان تمنيا ليس إلا[١].

٢- أقسام التوكل:

التوكل قسمان:

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالتوكل على الأموات والغائبين والطواغيت، وهذا شرك أكبر لا يغفر إلا بالتوبة.

الثاني: التوكل على الأحياء الحاضرين والسلطان ونحوهم فيما أقدرهم الله عليه من جلب المنافع ودفع الأذى، فهو شرك أصغر.

بل الواجب في القسم الثاني التوكيل بالإنابة في البيع والشراء ونحوهما من المصالح، وهذا لاشك في جوازه بالإجماع، مع التحرز في ألفاظه فلا يقول: توكلت عليه، بل وكلته، مع ضرورة التوكل على الله وحده والاعتماد عليه في ذلك[٢].

حقيقة التوكل:

قال ابن القيم: «وسر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها...»[٣].

وقال سعيد بن جبير[٤]: ((التوكل جماع الإيمان)).

وقال وهب بن منبه[٥]: «الغاية القصوى التوكل».

---

(١) انظر: الفوائد: (١٢٥، ١٢٦) لابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي.

(٢) انظر: قرة عيون الموحدين: (١٧٣)، لعبد الرحمن بن حسن، تصحيح وتعليق: إسماعيل الأنصاري.

(٣) الفوائد: (١٢٦)، لابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي.

(٤) سعيد بن جبير: إمام عابد،أسند عن علي وابن عمر وأبي هريرة، وغيرهم وأكثر رواياته عن ابن عباس، قتل: عام:٩٥هـ، انظر: صفة الصفوة: (٣/ ٨٦، ٨٧) لعبد الرحمن بن الفرج، تحقيق: محمود فاخوري، د. محمد قلعه جي.

(٥) وهب بن منبه: أخذ عن أبي هريرة وابن عباس وغيرهما، امتحن وحبس وضرب، ت: ١١٠وقيل: ١١٤هـ، سير أعلام النبلاء: (٤/ ٥٤٤، ٥٥٦) للذهبي، تحقيق: الأرناؤوط، محمد العرقسوسي.

وقال الحسن (ت: ١١٠هـ)[١]: ((إن توكل العبد على ربه أن يعلم أن الله هو ثقته))[٢].

وسئل عبد الله بن داود الخريبي[٣] عن التوكل فقال: «أرى التوكل حسن الظن بالله ﷻ».

والكلام في عبودية التوكل وبيان العلماء لحقيقته لا يحصى، ولكنّ ما تمّ عرضه نهر من فيض ولعلّ فيه بيانا للمريد واستخلاصا من جليل الفوائد للمستفيد.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء: (٨/ ١٥٨)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

(٢) جامع العلوم والحكم: (٤٣٥، ٤٣٦)، لابن رجب الحنبلي.

(٣) عبد الله بن داود الخريبي: إمام حافظ، لقب بالخريبي لنزوله محلة الخريبة، حدث عن الأوزاعي، وابن جريج وغيرهما، ت: ٢١٣هـ، انظر: سير أعلام النبلاء: (١٧/ ٣٥٥، ٣٦٤) للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين وبإشراف: الأرناؤوط.

المبحث السابع: الحَلِف بالله:

من المعلوم لدى أولي النهى أنّ الصدق من كريم الأخلاق وحسانها، وقد يحتاج المرء لتأكيد قوله لسامعه زيادة في الحرص منه على تصديق الطرف الآخر له، ويتخذ الحلف وسيلة لذلك، وفي الوقت ذاته لابد من ربط هذه اللفظ باسم الله سبحانه فهي عبادة لله ﷻ يثاب عليها العبد، مع التنبيه لعدم الإكثار من الحلف عامة وسيأتي بيانه لاحقا بالأدلة.

الحلف لغة:

كلمة مشتقة من الفعل: حلف: أي أقسم، والحلف القسم، يحلف حلفا ومحلوفا، وهو ما جاء من المصادر على مفعول، والواحدة حلفة، ويأتي بمعنى اليمين، وأصلها: العقد بالعزم والنية، والحلف بالكسر العهد يكون بين القوم، وتحالفوا أي: تعاهدوا(١).

الحلف اصطلاحا:

العهد بين القوم، والمحالفة المعاهدة والملازمة(٢).

الأدلة على الحلف من قصة يوسف عليه السلام:

الدليل الأول: قال تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣﴾ [يوسف: ٧٣].

أي ما جئنا بجميع أنواع المعاصي، ولا بالسرقة، التي هي من أكبر أنواع الفساد، ولا يقع ذلك منهم بعلم من اتهموهم حيث عاينوا عفتهم وحالهم، وهذا أبلغ في نفي التهمة عنهم.

الدليل الثاني: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥﴾ [يوسف: ٨٥].

---

(١) انظر: لسان العرب: (٩/ ٥٣)، لابن منظور: (مادة حلف، حرف: ف)، المعجم الوسيط: (١/ ١٩٢) لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

(٢) التوقيف على مهمات التعريف: (١/ ٢٩٣)، للمناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

أي لا تزال تذكر يوسف في جميع أحوالك حتى تفنى بلا حراك ولا كلام، ولا تترك ذلك مع قدرتك على ذكره.

الدليل الثالث: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١﴾ [يوسف: ٩١].

أي فضلك علينا بمكارم الأخلاق ومحاسنها مع إساءتنا إليك معترفين بجرمهم نحوه.

الدليل الرابع: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥﴾ [يوسف: ٩٥].

أي لا تزال تائها في بحر حبك ليوسف لا تدر ما تقول(١).

وعلى تعدد المقسمين في الآيات إلا إن الحرف المذكور للحلف أو القسم واحد وهو التاء في قوله: ﴿تَٱللَّهِ﴾، وللقسم حروف أخرى هي: الباء والواو واللام، وهذه الحروف تخفض المقسم به وهي صلات فعل مقدر كقولك: والله لأخرجن وبالله وتالله ولله لأنطلقن، والتقدير: أقسم بالله، فالفعل مقدر وإن لم ينطق به، وإن حذفت هذه الحروف نصبت المقسم به كقولك: الله لأخرجن، فأما الواو والباء فتدخلان على كل محلوف به، ولا تدخل التاء إلا على الله وحده ولا اللام إلا عليه في حال التعجب ولا بد للقسم من جواب، وجوابه في النفي ما ولا، وفي الإيجاب إن واللام.

وقد تدخل على ضروب من المقسم به لام الابتداء فيرتفع، كقولك: لعمرك لأخرجن هو مرفوع بالابتداء والخبر مضمر والتقدير: لعمرك ما أقسم به فموضع الجملة نصب قال الله تعالى: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٢﴾ [الحِجر: ٧٢].

وقيل في قولهم لعمرك: إنما هو قسم ببقائه ،كذلك لعمر الله: قسم ببقائه ﷻ ولم يستعمل في القسم إلا مفتوحا (٢).

---

(١) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: (٣/ ١٢)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، وكتاب اللامات: (١/ ٨٣، ٨٤)، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك.

الأدلة من السنة:

١- عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: رسول الله ﷺ: ((من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت))(١).

٢- عن عُمر بن الْخطَّاب ﷺ قال: قال رسول اللّهِ ﷺ: ((إنَّ اللّهَ ﷻ ينْهَاكُمْ أنْ تَحلفوا بِآبائِكُم، قال عُمرُ: فوَاللّه ما حَلَفت بها مُنذ سمعت رسُول اللّه ﷺ نهى عنها ذاكرًا ولا آثرًا))(٢).

مسائل في الحلف بالله:

١- الحلف بغير الله:

أ- ما يتعلق بانعقاد اليمين:

اتفق العلماء على أنه لا ينعقد اليمين بغير الله تعالى وهو الحلف بالمخلوقات فلو حلف بالكعبة أو بالملائكة أو بأحد من الشيوخ أو الملوك لم ينعقد يمينه ولا يشرع له ذلك بل ينهى عنه إما نهي تحريم وإما نهي تتريه.

ب- ما يتعلق بحكم الحلف بغير الله:

لا يجوز الحلف بشيء من المخلوقات إذ لا فرق في ذلك بين الملائكة والأنبياء والصالحين وغيرهم ولا فرق بين نبي ونبي، وقد سوى الله تعالى بين جميع المخلوقات في ذم الشرك بها وإن كانت معظمة قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا

---

(١) صحيح البخاري: (٢/ ٩٥١)، كتاب الشهادات، باب: كيف يستحلف بالله، رقم: (٢٥٣٣)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٢) صحيح مسلم: (٣/ ١٢٦٦)، كتاب الأيمان، باب: النهي عن الحلف بغير الله، رقم: (١٦٤٦)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٩– ٨٠].

وقد أقسم الله بالطور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور وبالصافات صفا وبالشمس وغيرها من مخلوقاته لأنها دليل على ربوبيته وألوهيته ووحدانيته وعلمه وقدرته ومشيئته ورحمته وحكمته وعظمته وعزته، وفي إقسامه بها تعظيم له سبحانه ونحن المخلوقات ليس لنا أن نقسم بها بالنص والإجماع، لأن ذلك من الشرك المنهي عنه.

والحالف بغير الله الذي لا يعتقد أن لغير الله تعالى من العظمة ما يماثل عظمة الله فهو مشرك شركا أصغر لا يخرج من الملة.

قال عبد الله بن مسعود، وعبد الله ابن عباس، وعبد الله بن عمر ﭫ: لأنْ أحلف بالله كاذبا أحبّ إلي من أن أحلف بغير الله صادقا، وذلك لأنّ الحلف بغير الله شرك، والشرك أعظم من الكذب[١].

ج– كفارة من حلف بغير الله:

كفارته قول: لا إله إلا الله كما أرشد النبي ﷺ لذلك في حديث أبي هريرة ﭬ بقوله: ((من حلَفَ فقال في حلفِهِ واللاَّتِ والْعُزَّى فلْيَقُلْ لا إِلهَ إلا الله ومَنْ قال لِصاحِبِهِ: تعَالَ أُقامِرْكَ فلْيَتَصَدَّقْ))[٢].

---

(١) انظر: فقرة (أ، ب): قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: (١/ ٥٠، ١٠٩، ١١٠، ١٤٠) لابن تيمية، تحقيق: زهير الشاويش، الإنصاف في حقيقة الأولياء: (١/ ١١٤) لمحمد الصنعاني، تحقيق: عبد الرزاق البدر، فتاوى مهمة لعموم الأمة) ١/ ٢٨) لابن باز وابن عثيمين، تحقيق: إبراهيم الفارس.

(٢) صحيح البخاري: (٤/ ١٨٤١)، كتاب التفسير، باب: (أفرأيتم اللات والعزى)، برقم: (٤٥٧٩)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

٢- كثرة الحلف بالله:

قال تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩]، عن الحلف بالله كاذبا، وعن كثرة الأيمان، واحفظوها إذا حلفتم عن الحنث فيها، إلا إذا كان الحنث خيرا، فتمام الحفظ: أن يفعل الخير، ولا يكون يمينه عرضة لذلك الخير[١].

ويلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث، مما يدل على الاستخفاف، وعدم التعظيم لله، مما ينافي كمال التوحيد الواجب أو عدمه[٢].

وقد ورد النهي عن كثرة الحلف والوعيد على ذلك[٣] في السنة المطهرة عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ، أَلِيمٌ: أُشَيْمِطُ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ بِضَاعَةً فَلا يَبِيعُ إِلاَّ بِيَمِينِهِ وَلاَ يَشْتَرِي إِلاَّ بِيَمِينِهِ))[٤].

٣- من لم يقنع بالحلف بالله:

عن ابن عُمَرَ رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رَجُلاً يَحْلِفُ بِأَبِيهِ فقال: ((لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، من حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ له بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لم يَرْضَ بِاللَّهِ فَلَيْسَ من اللَّهِ))[٥].

والمعنى: إذا حلف الحالف بالله فيجب[٦] على المستحلف تصديقه ولا يستحلفه لغير الله، وقوله: (ومن لم يرض بالله فليس من الله) أي ليس من دين الله بشيء[٧].

---

(١) تفسير السعدي: (١/ ٢١٨)، تحقيق: ابن عثيمين.

(٢) فتح المجيد: (٤٧٦)، لعبد الرحمن آل الشيخ، تعليق: عبد العزيز بن باز.

(٣) فتح المجيد: (٤٧٦)، لعبد الرحمن آل الشيخ، تعليق: عبد العزيز بن باز.

(٤) المعجم الصغير: (٢/ ٨٢، ٨٣) للطبراني، باب: من اسمه محمد، تحقيق: محمد شكور، صححه الألباني: في صحيح الجامع الصغير وزيادته: (الفتح الكبير): (١/ ٥٨٩) برقم: (٣٠٧٢)، دون ذكر المحقق.

(٥) سنن ابن ماجه: (١/ ٦٧٩)، برقم: (٢١٠١)، كتاب: الكفارات، باب: من حلف له بالله فليرض، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، صححه الألباني: صحيح ابن ماجه: (٢/ ١٩٦)، دون ذكر المحقق.

(٦) فيجب: كتبت في المرجع: (فيحبب) ولعله خطأ، فتم التنبيه.

(٧) انظر: شرح سنن ابن ماجه: (١/ ١٥٢) للسيوطي، والدهلوي، دون ذكر المحقق.

وأما الاعتذارات بين الناس والتي يقع فيها الحلف فمن حق المسلم على أخيه قبول حلفه إن جاء معتذرا فيه أو متبرئًا من التهمة، فضلا عما فيه من التواضع والمحبة وحسن الخلق[١].

وقد تمّ بهذا البيان الحديث عن بعض المسائل المتعلقة بالحلف بالله.

(١) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، (٤٠٦)، لعبد الرحمن آل الشيخ، تعليق: عبد العزيز ابن باز.

المبحث الثامن: دلالة القصة على نواقض توحيد الألوهية:

لقد اهتمّ العلماء قديما وحديثا ببيان نواقض الإسلام وأحصوا عددا منها لا يخطر ببال إدراكا منهم لأهمية حفظ الدين أحد الضروريات الخمس: النفس، والمال، والعرض، والعقل[(١)].

وقبل البدء في الحديث عن نواقض توحيد الألوهية التي وردت في قصة يوسف عليه السلام لابد من معرفة معنى النواقض في اللغة والاصطلاح.

النواقض لغة:

مفردها ناقض، مشتقة من الفعل نقض، نقضه ينقضه نقضا وانتقض وتناقض، والنقض هو: إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء أو حبل أو عهد، وهو أيضا ضد الإبرام، والمناقضة في القول: أن يتكلم بما يتناقض معناه[(٢)].

النواقض اصطلاحا:

النقض بيان تخلف الحكم المدعي ثبوته أو نفيه عن دليل المعلل الدال عليه في بعض من الصور[(٣)].

نواقض توحيد الألوهية:

لقد سبق تعريف توحيد الألوهية بأنه: العلم والاعتراف بأنّ الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده، وهذا النوع الذي دعت إليه الرسل وأنزلت به الكتب.

وهذا الذي عليه مدار دين الإسلام، فالمعرفة بالله وربوبيته وأسمائه وصفاته لا تكف دون العمل، لذا فنواقض الإسلام هي نفسها نواقض توحيد الألوهية، وهي مختصرة كالآتي:

---

(١) انظر: دروس في نواقض الإسلام (١٦)، لمحمد بن الوهاب، إلقاء: صالح الفوزان، إشراف: محمد الحصين.

(٢) انظر: لسان العرب: (٧/ ٢٤٢)، (مادة نقض، حرف: ض) لابن منظور، مختار الصحاح: (١/ ٦٨٨)، مادة: (ن. ق. ض)، للرازي، تحقيق: محمود خاطر.

(٣) التعريفات: (١/ ٣١٥) للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

١- الشرك في عبادة الله.

٢- من جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم، كفر إجماعا.

٣- من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

٤- من اعتقد أن هدي غير الرسول ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.

٥- من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر.

٦- من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر.

٧- السحر، ومنه: الصرف والعطف.

٨- مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين.

٩- من اعتقد أنّ بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، فهو كافر[١].

ومن النواقض التي وردت في قصة يوسف عليه السلام: الشرك في عبادة الله تعالى.

معنى الشرك لغة:

الشِّرْكة والشَّرَاكة: مخالطة الشريكين، يقال: اشتركا، بمعنى تشاركا، والشّرك: الاشتراك[٢].

معنى الشرك اصطلاحا:

أشرك بالله، جعل له شريكا في ملكه، وربوبيته، وإلاهيته، والشرك الكفر[٣].

---

(١) دروس في شرح نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب: (٣٥، ٥٨، وصفحات متفرقة...إلخ)، ألقاها: صالح الفوزان، أشرف عليها: محمد الحصين.

(٢) انظر: لسان العرب: (١٠/ ٤٤٨) لابن منظور، مادة (شرك، حرف: ك)، دون ذكر المحقق.

(٣) انظر: لسان العرب: (١٠/ ٤٤٨)، مادة (شرك، حرف: ك)، دون ذكر المحقق، عقيدة التوحيد، (٩٢) لصالح الفوزان.

الأدلة على البراءة من الشرك من قصة يوسف عليه السلام:

الدليل الوحيد في ثنايا القصة قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾ [يوسف: ٣٨].

في الآية يتابع يوسف عليه السلام حديثه مع صاحبي السجن، والشاهد من حديثه قوله: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾، أي: ما جاز لنا أن نجعل لله شريكًا في عبادته وطاعته، بل الذي علينا إفراده بالأُلوهة والعبادة، وجعل يوسف ذلك من فضل الله عليه وعلى الأنبياء من قبله، أن هداهم للإسلام[١].

الأدلة من السنة:

١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: (أن تجعل لله ندا وهو خلقك)))[٢].

٢- عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور وشهادة الزور - ثلاثا - أو قول الزور. فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت))[٣].

---

(١) انظر: جامع البيان: (١٦/ ١٠٣) للطبري، تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) صحيح البخاري: (٤/ ١٦٢٦)، كتاب: التفسير، سورة البقرة، باب: قوله تعالى: (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) ٢٢، برقم: (٤٢٠٧)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) صحيح البخاري: (٦/ ٢٥٣٥)، كتاب: استتابة المرتدين، باب: إثم من أشرك بالله وعقوبته، برقم (٦٥٢١)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

مسائل في الشرك:

١- حقيقة الشرك:

التشبه بالخالق والتشبيه بالمخلوق به، فالمشرك مشبّه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، كالتفرد بملك الضر والنفع والعطاء، مما يوجب الدعاء والخوف والرجاء والتوكل، فأزمة الأمور بيديه ومرجعها إليه، ومن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه به في خالص حقه[١].

وبالنظر لأنواع الشرك التي وقع فيها أقوام الرسل فهي تتلخص في نوعين:

النوع الأول: الشرك في عبادة الله وألوهيته، مع الإقرار بربوبيته: وهذا الغالب، وهو على نوعين:

أ- **شرك أكبر:** يخرج من الملة، ويخلد صاحبه في النار، ويبيح دمه، كصرف أي نوع من العبادة لغير الله.

ب - **شرك أصغر:** لا يخرج من الملة، ولا يخلد صاحبه في النار، ولا يبيح دمه، بل ينقص من التوحيد، ووسيلة للشرك الأكبر، وهو قسمان:

١- شرك ظاهر باللسان والجوارح: كالحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشئت، وبالجوارح: كلبس الحلقة والخيط لرفع البلاء، وتعليق التمائم خوفا من العين.

٢- شرك خفي: في الإرادات والنيات: كالرياء والسمعة، طلبا للمدح والثناء، والاجتهاد في عمل الآخرة لأجل الدنيا، مما يؤدي لإحباط العمل الذي خالطه.

النوع الثاني: إنكار وجود الله وتعطيله عن الربوبية: كحال فرعون والنمرود[٢].

٢- تفسير كلمة التوحيد: لا إله إلا الله:

المتضمنة لإثبات العبادة لله وحده، ونفيها عمن سواه.

لا: نافية للجنس، إله: اسم (لا) ومعناه معبود، وخبر (لا) مقدر، اختلف في تقديره:

---

(١) انظر: الداء والدواء: (١٧١، ١٧٢) لابن القيم، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

(٢) انظر: حقيقة التوحيد: (٤٠)، لعبد الرحيم السلمي، عقيدة التوحيد: (من٩٥إلى٩٩)، لصالح الفوزان.

- لا إله موجود إلا الله، وهذا باطل لأن الآلهة الموجودة غير الله كثيرة.
- لا إله خالق إلا الله، وفي هذا إقرار بالربوبية فقط، وهذا مذهب المتكلمين.
- لا إله معبود إلا الله، ورده من وجهين: الأول: كثرة المعبودات، الثاني: الحشو في الكلام فيصبح اسم (لا) وخبرها بمعنى واحد.
- وقيل: لا يُقدّر شيء، لأنّه أصرح في النفي والتوحيد، وهذا قول المعتزلة(١) المخالف لضرورة اللغة.
- أما أهل السنة فقدروا الخبر بقولهم: لا معبود حق إلا الله، أي لا عبادة إلا لله، فله العبادة وحدها، فلا نذر ولا سجود ولا ذبح إلا لله(٢).

والكفار في عهد النبي ﷺ يدركون هذا المعنى بأنه إفراد الله بالعبادة، لذا كان ردهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ...﴾ [ص: ٥](٣).

ولقد وردت كلمة التوحيد في قصة يوسف عليه السلام لكن بلفظ آخر وهي تحمل المعنى السابق الذي أشير إليه في تفسير لا إله إلا الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٠﴾ [يوسف: ٤٠].

فهي متضمنة للنفي في قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾، والإثبات في قوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

---

(١) المعتزلة: أصحاب واصل بن عطاء الغزال، وداعيهم إلى بدعتهم بعد معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، من منتابي مجلس الحسن البصري، وطرده لجعله الفسق متزلة بين الإيمان والكفر، فاعتزل عند سارية بمسجد البصرة، وقد افترقت المعتزلة على عشرين فرقة كل منها تكفر سائرها، منها: الجاحظية والجعفرية والواصلية، اتفقت على نفي الصفات الأزلية لله، واستحالة رؤية الله، وغيرها من العقائد. (انظر: الفرق بين الفرق: (١/ ٩٣، ٩٤، ٩٨، وغيرها)، للبغدادي.

(٢) انظر: التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٤١١، ٤١٢)، جمع وترتيب: فخر الدين المحسي، تقديم: محمد الخميس.

(٣) انظر: كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب: (١١)، شرح: حمد الحمد.

٣- أسباب عظم هذا الذنب (الشرك):

١- لأنّ فيه تشبيها للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: ١٣].

٢- أنّ الله أخبر بعدم المغفرة لصاحبه إن لم يتب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ...﴾ [النساء: ٤٨].

٣- حرمان صاحبه من الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ...﴾ [المائدة: ٧٢].

٤- إحباط عمل صاحبه، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾ [الأنعام: ٨٨].

٥- إباحة الدّم والمال، قال تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ...﴾ [التوبة: ٥].

٦- أنّه من أكبر الكبائر، كما مرّ في أدلة السنة السابقة الذكر.

٧- أنّ فيه تنقص لله عما نزّه نفسه عنه سبحانه، وهذا غاية المحادة لله(١).

قال ابن القيم رحمه الله: «...والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب فروعها الأعمال وثمرها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة، وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة، فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك، والشرك والكذب والرياء شجرة في القلب ثمرها في الدنيا الخوف والهم والغم وضيق الصدر، وثمرها في الآخرة الزقوم والعذاب المقيم...»(٢).

فاللهمّ اختم بالتوحيد أعمارنا، وأعذنا من الشرك وأهله إنّك على كل شيء قدير.

---

(١) انظر: عقيدة التوحيد: (من٩٢إلى٩٥)، لصالح الفوزان.

(٢) الفوائد: (٢٤٣، ٢٤٤)، لابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي.

الفصل الثالث

دلالة قصة يوسف عليه السلام على توحيد الأسماء والصفات

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دلالة قصة يوسف عليه السلام على أسماء الله عز وجل، وما تضمنته من صفات.

المبحث الثاني: دلالة قصة يوسف عليه السلام على صفات الله عز وجل.

المبحث الأول: دلالة قصة يوسف ﷺ على أسماء الله وما تضمنته من صفات:

إن هذا النوع من الأخبار قد تنوعت طرق معرفته واشتمل القرآن والكتب الإلهية عليه أكثر من غيره، مما يدل على شرفه، فالطرق لتحصيل العلم بالأسماء والصفات من أسهل الطرق وأبينها، لحاجة العباد إليه، فكل ما كانت الحاجة إليه أكثر كان الوصول إليه أسهل وأكثر، فالضرورة لمعرفة الله والتقرب إليه فوق كل ضرورة، فالله لم يذكر عن ملائكته وشأنهم عشر معشار ما ذكر من نعوت جلاله، وصفات كماله، وأسمائه، وأفعاله[1].

فضل العلم بأسماء الله وصفاته:

١- إنّ العلم بالله، وأسمائه، وصفاته أشرف العلوم، وأجلها وشرف العلم بشرف المعلوم، وهو الله سبحانه، وتعالى بأسمائه، وصفاته وأفعاله، فالاشتغال بفهم هذا العلم اشتغال بأعلى المطالب، وحصوله للعبد من أشرف المواهب.

٢- إنّ معرفة الله تعالى تدعو إلى محبته، وخشيته، وخوفه، ورجائه، ومراقبته، وإخلاص العمل له، وهذا هو عين سعادة العبد.

٣- إنّ معرفة الله ﷻ بأسمائه الحسنى سبب لزيادة الإيمان، لأن معرفتها يتضمّن أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبيّة، والألوهية، والأسماء، والصفات[2].

ويتعيّن على العبد المعرفة بخالقه سبحانه حق المعرفة، كي يعبده على علم وبصيرة، وهذا الباب واسع له ضوابطه وقواعده عند أهل السنة والجماعة مخالفين به غيرهم من أهل التعطيل والإلحاد.

وفيما يلي بيان موجز لأبرز قواعد السلف في باب الأسماء والصفات.

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة: (٩٤، ٩٥) لابن قيم الجوزية، ضبط وتعليق: محمد الأحمد، وراجع: الفوائد: (٢٩) لابن القيم: تحقيق: عصام الدين الصبابطي.

(٢) انظر: تفسير الأسماء الحسنى: (١/ ٢)، لابن سعدي، تحقيق: عبيد العبيد.

قواعد السلف في أسماء الله ﷻ:

القاعدة الأولى: أسماء الله كلها حسنى:

أي: بالغة في الحسن غايته، لكونها متضمنة للكمال بكل وجه من الوجوه.

فعلمه كامل غير مسبوق بجهل، ورحمته وسعت كل شيء.

القاعدة الثانية: أسماء الله أعلام وأوصاف(١):

فهي أعلام: باعتبار دلالتها على الذات فهي دالة على مسمى واحد وهو الله.

وأوصاف: باعتبار ما دلّت عليه من المعاني فلكل منها معناه الخاص.

القاعدة الثالثة: أسماء الله إن دلت على وصف متعد تضمنت الآتي:

١- ثبوت الاسم: مثاله: السميع.

٢- ثبوت الصفة: السمع.

٣- ثبوت الحكم ومقتضاه: من أنه يسمع السر والنجوى.

وإن دلت على وصف غير متعد تضمنت الآتي:

١- ثبوت الاسم لله: مثاله: الحيّ.

٢- ثبوت الصفة: الحياة.

القاعدة الرابعة: دلالة أسماء الله على ذاته وصفاته بالمطابقة، والتضمن، والالتزام:

فالخالق مثلا: اسم لله يدل على ذاته، ويتضمن صفة الخلق، ويلزم من ذلك القدرة والعلم.

القاعدة الخامسة: أسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها:

بمعنى أنّها ثابتة بالكتاب والسنة لا يمكن للعقل إدراك ما يستحقه الله من الأسماء.

---

(١) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: (٢١وما بعدها) لابن عثيمين، تعليق: أشرف عبد المقصود.

القاعدة السادسة: أسماء الله غير محصورة بعدد معين:

لقوله ﷺ: ((...أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك...)) الحديث(١)(٢).

وبالنسبة لما ذكر في عددها بأنّها: تسعة وتسعون اسما، فهذا ليس من باب الحصر بدليل الحديث السابق عند الجمع بين الحديثين، بل المراد به: حفظها وفهمها والتعبد بمقتضاها، وقد يراد بالإحصاء العقل والمعرفة كما هو معروف من لغة العرب(٣).

القاعدة السابعة: الإلحاد في أسماء الله:

وهو الميل بها عمّا يجب فيها، وهو أنواع:

١- التعطيل وهو كالإشراك بالله: وذلك بإنكارها أو إنكار ما دلت عليه من صفات، فالقول على الله بلا علم والشرك متلازمان، إذ في ذلك قدح في الربوبية وخصائص الربّ.

٢-التمثيل(٤): بجعلها دالة على صفات تشابه المخلوقين.

٣- تسمية الله بما لم يسمّ به نفسه: كتسمية النصارى: (الأب)، وتسمية الفلاسفة: (العلة الفاعلة).

٤- اشتقاق أسماء بعض الأصنام من أسمائه: كاشتقاق العزى من العزيز، واللات من الإله(٥).

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: (١/ ٣٩١) برقم: (٣٧١٢) مسند عبد الله بن مسعود، دون ذكر المحقق. صححه ابن حبان: (٣/ ٢٥٣)، كتاب: الرقائق، باب: الأدعية، ذكر الأمر لمن أصابه حزن، برقم (٩٧٢)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

(٢) انظر: القواعد المثلى: (٢١وما بعدها)، لابن عثيمين، تعليق: أشرف عبد المقصود.

(٣) انظر: القواعد المثلى: (٢١وما بعدها)، لابن عثيمين، تعليق: أشرف عبد المقصود.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: (١١/ ٤٨٣)، ابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٥) انظر: القواعد المثلى (٢١وما بعدها)، وانظر: الداء والدواء: (١٨١) لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

الأدلة على أسماء الله الحسنى الواردة في قصة يوسف عليه السلام:

وسيتمّ عرض الأسماء وفق ترتيب ورودها في القصة، مع الإشارة إلى أنّ الصفات التي يدل عليها كل اسم ستعرض في مبحث الصفات آنفا.

١- ربّ:

وقد ورد مجردا ومضافا مثل: ربي، ربك، ربه، متكررا في أكثر من موضع في القصة، منها على سبيل المثال.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٣].

استحبّ يوسف عليه السلام السجن والعذاب الدنيوي على لذة حاضرة توجب العذاب الشديد، مع كيد النسوة وإشارتهن عليه بمطاوعة سيدته[1].

وربّ كل شيء مالكه والرَّبُ: اسم من أسماء الله تعالى، لا يقال في غيره إلا بالإضافة وقد قالوه في الجاهلية للملك والرَّبَّانِيُّ المُتأله العارف بالله تعالى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ...﴾ [آل عمران: ٧٩][2].

المعنى العام للاسم:

الربّ: هو المربي جميع العالمين -وهم من سوى الله- بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء. فما بهم من نعمة، فمنه تعالى.

وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة:

١- العامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

---

(١) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٣٩٧)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) انظر: مختار الصحاح: (١/ ٢٦٧)، (حرف: ر، مادة: ر. ب. ب)، للرازي، تحقيق: محمود خاطر.

٢- الخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب. فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة[١].

الأدلة من السنة:

أما وروده في السنة المطهرة فهو مما لا يمكن حصره، ومما ورد على سبيل المثال:

١- عن عَائِشَةَ رضي الله عنها: ((أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ كان يقول في رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: (سبُّوحٌ قدُّوسٌ ربُّ الْمَلَائِكَةِ والرُّوحِ)))[٢].

٢- وعن جَابرِ بن عبد اللَّهِ ﵁قال: ((قال: رسول اللَّه ﷺ من قال: حين يَسمَعُ النّدَاءَ اللهم ربَّ هذه الدّعْوَةِ التّامَّةِ والصَّلَاةِ الْقَائمَةِ آت مُحمَّدًا الْوَسيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وابْعَثْهُ مقَامًا محْمُودًا الذي وعَدْتَهُ إلا حلَّتْ له الشّفَاعَةُ يوم الْقِيَامَةِ))[٣].

٢- العليم:

وقد ورد هذا الاسم في القصة مرة معرفا بـــ(أل) ومرة مجردا منها (عليم)، في ثمانية مواضع في الآيات رقم: (٦، ١٩، ٣٤، ٥٠، ٧٦، ٨٣، ١٠٠)، منها:

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾ [يوسف: ٥٠].

وموضع الشاهد في اسم الله: عليم.

(١) تفسير السعدي: (١/ ٣٩)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) صحيح مسلم: (١/ ٣٥٣)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، برقم: (٤٨٧)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) سنن الترمذي: (١/ ٤١٢، ٤١٣)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل إذا أذن المؤذن، باب آخر منه، برقم: (٢١١)، وقال الترمذي: حديث صحيح، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون.

وقد قال يوسف عليه السلام هذه المقولة عند إتيان رسول الملك إليه، حيث جعل علم الله سبحانه بما وقع عليه من الكيد منهن مغنيا عن التصريح(١).

وقوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ [يوسف: ٨٣].

عسى اللَّه أَن يَأْتِيَنِي بهم جميعا يعني: يوسف، وبنيامين، وأخاهم المقيم بمصر، إنَّه هو العليم بحزني ووجدي على فقدهم(٢).

المعنى العام للاسم:

الاسم العليم مشتق من: علم يعلم علما فهو أعلم.

ولم يزل الله عالمًا، ولا يزال عالِمًا بما كان وما يكون، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

ويجوز أن يقال للإنسان الذي علَّمه الله علِمًا من العلوم: عليم؛ كما ورد عن يوسف عليه السلام من تأويل الأحاديث الذي كان يقضي به على الغيب، فكان عليمًا بما علَّمه الله.

وذلك بأمر ربّه وأنّه واحد ليس كمثْله شيء؛ كما قال يوسُف للملِك: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف: ٥٥].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] فأخبر أن من عباده مَن يخشاه وأنهم العلماء(٣).

---

(١) انظر: فتح القدير: (٣/ ٣٤) للشوكاني، دون ذكر المحقق.

(٢) تفسير البغوي: (٤/ ٢٦٧)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٣) انظر: تهذيب اللغة: (٢/ ٢٥٣، ٢٥٥) للأزهري، باب: (ع. ل. م)، تحقيق: محمد عوض.

الأدلة من السنة:

١- عن ابن عبَّاسٍ ﵄قال: ((كان النبي ﷺ يقول عنْدَ الْكرْبِ: (لا إِلَهَ إلا الله الْعَليمُ الْحَليمُ لا إِلَهَ إلا الله ربُّ الْعرْشِ الْعَظيمِ لا إِلَهَ إلا الله ربُّ السماوات ورَبُّ الأرض ربُّ الْعرْشِ الْكَريم)))[1].

٢- وعن عثْمَانَ بن عفَّانَ﵁ قال: ((سمعت رسُولَ اللّهِ ﷺ يقول: (من قال بسْمِ اللّهِ الذي لا يضُرُّ مع اسْمهِ شيْءٌ في الأرض ولا في السّمَاءِ وهو السَّميعُ الْعَليمُ ثَلَاثَ مرَّاتٍ لم تُصبْهُ فجْأَةُ بلَاءٍ حتى يُصْبحَ ومَنْ قالَهَا حين يُصْبحُ ثَلَاثُ مرَّاتٍ لم تُصبْهُ فجْأَةُ بلَاءٍ حتى يُمْسيَ)))[2].

٣- الحكيم:

ورد هذا الاسم في قصة يوسف ﵇ في ثلاث مواضع من الآيات رقم: (٦، ٨٣، ١٠٠) معرفا بـــ(أل) في موضعين، ومجردا منها في الموضع التالي:

يقول تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف: ٦].

---

(١) صحيح البخاري: (٦/ ٢٧٠١)، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة هود، باب قوله تعالى: (وكان عرشه على الماء) (الآية: ٧)، برقم: (٦٩٩٠)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٢) سنن أبي داود: (٤/ ٣٢٣)، كتاب: الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح، برقم: (٥٠٨٨)، تحقيق: محمد محيي الدين، صححه ابن حبان: (٣/ ١٤٤)، باب: الأذكار، ذكر الشيء الذي يحترز المرء به، برقم: (٨٦٢)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

* (لم تصبه فجأة بلاء): بفتح الفاء وسكون الجيم، وفي بعض النسخ بضم الفاء ممدودا، فجأة الأمر وفجأه فجاء بالضم والمد وفجأة بالفتح وسكون الجيم من غير مد وفاجأه مفاجأة إذا جاءه بغتة من غير تقدم سبب، (انظر: عون المعبود: لمحمد آبادي، ١٣/ ٢٩٣)، دون ذكر المحقق.

يبين الله في الآية ما امتن به على يوسف من نعمة التمكين في الأرض، وتأويل الأحاديث، وأتمّ نعمته عليه بالنبوة كما امتن على إبراهيم وإسحاق وآل يعقوب، فالله عليم بما يعطيه حكيم في فعله(١).

المعنى العام للاسم:

الحَكَمُ والحَكِيمُ وهما بمعنى الحاكِم وهو القاضي فَهو فعِيلٌ بمعنى فاعَلٍ أو هو الذي يُحْكِمُ الأَشياءَ ويتقنها فهو فَعِيلٌ بمعنى مُفْعِلٍ وقيل الحَكِيمُ ذو الحِكمة(٢).

إذا فالحكيم له معنيان: أحدهما: الحاكم وهو القاضي العدل، والثاني: المحكم للأمر كي لا يتطرق إليه الفساد(٣).

الأدلة من السنة:

عَنْ سَعْد بن أبي وقاصﷺ قَالَ: ((جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺفَقَالَ عَلِّمْني كَلاَمًا أَقُولُهُ قَالَ: (قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّه كَثِيرًا سُبْحَانَ اللَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ). قَالَ فَهَؤُلاَءِ لِرَبِّى فَمَا لِي قَالَ: (قُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي)))(٤).

وغيرها من الأحاديث التي اشتملت على الاسم ضمن الآيات القرآنية الواردة في هذا الاسم.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: (٩/ ١٢٩)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش.

(٢) لسان العرب: (١٢/ ١٤٠)، لابن منظور، (حرف: م، مادة: حكم)، دون ذكر المحقق.

(٣) تفسير البغوي: (١/ ٨٠)، تحقيق: محمد النمر وآخرون.

(٤) صحيح مسلم: (٨/ ٧٠)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم: (٧٠٢٣)، دون ذكر المحقق.

٤ – الله:

تكرر هذا الاسم كثيرا في القصة، إما مجردا أو مسبوقا بحرف جر، ولا يتسع المقام لذكر جميع الآيات، والتي منها على سبيل المثال: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨]، والمعنى: والله أستعين على كفايتي شرّ ما تصفون من الكذب(١).

المعنى العام للاسم:

أما اشتقاق اسم الله تعالى في اللغة فهو من: إلاهٌ أُدخلت الأَلف واللام تعريفًا فقيل أَلإلاهُ ثم حذفت العرب الهمزة استثقالاً لها فلما تركوا الهمزة حَوَّلوا كسرتها في اللام التي هي لام التعريف وذهبت الهمزة أَصلاً فقالوا أَلِلاهٌ فحرَّكوا لام التعريف التي لا تكون إلاَّ ساكنة ثم التقى لامان متحركتان فأَدغموا الأُولى في الثانية فقالوا: الله، والتألُّه، التفعُّل من: أَلَه يأله، وأن معنى (أله) – إذا نُطق به: – عبد اللهَ.

والمعنى: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: ((هو الذي يَألَهه كل شيء، ويعبده كل خلْقٍ))، وقال: (الله ذو الألوهية والمعْبودية على خلقه أجمعين))(٢).

الأدلة من السنة:

وبالنسبة لوروده في السنة المطهرة فهو صعب الحصر، متنوع المواضع والموضوعات التي ذكر فيها في كل شأن من الشؤون التي اعتنت السنة بها، منها:

١– عن جنْدَب بن سفيان رضي الله عنه(٣) قال: ((صلى النبي ﷺ يوم النَّحرِ ثمَّ خطَبَ ثمَّ ذبَحَ فقال: (من ذبَحَ قبل أنْ يصلِّيَ فَليَذْبَحْ أخرَى مكَانَهَا ومَنْ لم يَذبَحْ فَليَذْبَحْ باسْمِ اللّهِ)))(٤).

---

(١) جامع البيان: (١٥/ ٥٨٤) للطبري، تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) انظر: لسان العرب: (١٣/ ٤٦٧) لابن منظور، (حرف: ه، مادة: أله)، دون ذكر المحقق، وجامع البيان للطبري: (١/ من ١٢٢إلى١٢٦)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٣) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ثم العلقي، أبو عبد الله، وقد ينسب إلى جده فيقال: جندب بن سفيان، يقال له: جندب الخير، وجندب الفاروق، وجندب بن أم جندب، كان على عهد رسول الله ﷺ غلاما جزورا، (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: (١/ ٥٠٩)، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي البجاوي).

(٤) صحيح البخاري: (١/ ٣٣٤)، كتاب: العيدين، باب: كلام الإمام والناس في خطبة العيد...إلخ، رقم: (٩٤٢)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

٢- وعن عَائشَةَ رضي الله عنها قالت: ((كان رسول اللّه ﷺ إذا أمَرَهُمْ أمَرَهُمْ من الْأعْمَالِ بمَا يُطيقُونَ قالوا إنَّا لسْنَا كَهَيْئَتكَ يا رسُولَ اللّه إنَّ اللّهَ قد غفرَ لك ما تقَدَّمَ من ذَنْبكَ وما تأَخَّرَ فيَغْضَبُ حتى يُعْرفَ الْغضَبُ في وَجْههِ ثُمَّ يقول إنَّ أتْقَاكُمْ وأَعْلَمَكُمْ باللّهِ أنا))[١].

٥- الغالب:

ورد هذا الاسم في السورة مجردا من أل التعريف، وهذا موضعه الوحيد في كتاب الله، **قال تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١].

ذكر القرطبي أنّ الهاء في قوله: ﴿أَمْرِهِۦ﴾ راجعة إلى الله تعالى، أي لا يغلب الله شيء، بل هو الغالب على أمر نفسه فيما يريده أن يقول له: كن فيكون، وقيل: راجعة إلى يوسف، أي الله غالب على أمر يوسف يدبره ويحوطه ولا يكله إلى غيره، حتى لا يصل إليه كيد كائد[٢].

المعنى العام للاسم:

اسم مشتق من الفعل: غلب، غَلَبه يَغْلِبُه غَلْبًا وغَلَبًا وهي أَفْصَحُ وغَلَبةً ومَغْلَبًا ومَغْلَبةً[٣].

ومن المعاني الواردة أيضا: أنّ الله غالب على أمره يفعل ما يشاء، لا يغلبه شيء ولا يردُّ حكمه رادّ[٤].

وأنّه لا يردّ ولا يمانع ولا يخالف، بل هو الغالب لما سواه.

قال سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ أي: فعّال لما يشاء[٥].

---

(١) صحيح البخاري: (١/ ١٦)، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: أنا أعلمكم بالله...إلخ، برقم: (٢٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبي: (٩/ ١٦٠، ١٦١)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش.

(٣) انظر: لسان العرب: (١/ ٦٥١)، لابن منظور، (حرف: ب، مادة: غلب)، دون ذكر المحقق.

(٤) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢٢٦)، تحقيق: محمد النمر وآخرون.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٧٨)، تحقيق: سامي سلامة.

الأدلة من السنة:

ورد في الأحاديث ما يدل على الصفة المشتقة من اسم الله الغالب، وهي الغلبة بلفظ: (وغلب...) وسيأتي بيانه - بإذن الله - عند الحديث عن هذه الصفة.

٦- السميع:

ورد الاسم مرة واحدة في القصة في **قوله تعالى:** ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٤].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾، دعاءَ يوسف حين دعاه بصرف كيد النسوة عنه، ودعاءَ كل داع من خلقه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾، بمطلبه وحاجته، وما يصلحه، وبحاجة جميع خلقه وما يُصْلحهم[1].

المعنى العام للاسم:

والسميع: هو الذي لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي، فأحاط سمعه بجميع المسموعات سرها وعلنها قريبها وبعيدها، فلا تختلط عليه الأصوات على اختلاف اللغات وتفنن الحاجات[2].

الأدلة من السنة:

عن أبي موسَى الأشعري ﷺ قال: ((كنّا مع النبي ﷺ في سفَرٍ فجَعَلَ الناس يجْهَرُونَ بالتَّكْبِيرِ فقال النبي ﷺ: (أيُّهَا الناس أربعوا على أَنْفُسكُمْ إنَّكُمْ ليس تدْعُونَ أصَمَّ ولا غَائبًا إنَّكُمْ تدْعُونَ سَميعًا قَريبًا وهو معَكُمْ)))[3].

---

(١) تفسير الطبري: (١٦/ ٩٠)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: (١٤٧)، لعبد العزيز السلمان.

(٣) صحيح مسلم: (٤/ ٢٠٧٦)، كتاب: الذكر والدعاء، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر، برقم: (٢٧٠٤)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٧- الواحد:

ورد هذا الاسم مرة واحدة في القصة، (مقترنا باسمين هما: الله والقهار)[١]، كما يظهر للمتأمل في كتاب الله في كل موضع يرد فيه.

قال تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف: ٣٩].

الواحد: في ذاته، وصفاته، وأفعاله، فلا شريك له في شيء من ذلك[٢].

المعنى العام للاسم:

التَوحيد الإيمانُ بالله وحدَهُ لا شريك له، والله الْوَاحدُ الأحد ذو الوحدانيَّة والتَّوَحّدِ[٣].

الأدلة من السنة:

عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: ((قال النبي ﷺ لأصحابه: (أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة)، فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: (الله الواحد الصمد ثلث القرآن)))[٤].

(الواحد الصمد)، كناية عن سورة: (قل هو الله أحد)[٥].

٨- القهار:

ورد هذا الاسم مرة واحدة مع اسمين هما: الله والواحد في الآية: ٣٩سابقة الذكر.

---

(١) مقتبس من: فقه الأسماء الحسنى: (٢٩٤)، لعبد الرزاق البدر.

(٢) تفسير السعدي: (١/ ٣٩٨)، تحقيق: محمد بن عثيمين.

(٣) تهذيب اللغة: (٥/ ١٢٥)، للأزهري، (حرف: ح. د، مادة: أحد)، تحقيق: محمد عوض.

(٤) صحيح البخاري: (٤/ ١٩١٦)، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل قل هو الله أحد، برقم: (٤٧٢٧)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٥) صحيح البخاري: (٤/ ١٩١٦)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (من تعليق المحقق).

المعنى العام للاسم:

ومعنى: القهار في الآية: الذي انقادت الأشياء لقهره وسلطانه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن[١].

وفي موضع آخر من كتاب الله يقول تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦].

والمعنى: يقول الربّ: لمن السلطان اليوم؟ وذلك يوم القيامة، فيجيب نفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ﴾ الذي لا مثل له ولا شبيه ﴿الْقَهَّارِ﴾ لكلّ شيء سواه بقدرته، الغالب بعزّته[٢].

الأدلة من السنة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨]، قالت: فقلت: أين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: (على الصراط)))[٣].

٩- الغفور:

ورد هذا الاسم مقترنا باسم الله الرحيم في كتاب الله كثيرا مما يزيد من رجاء العبد وإقباله على الله كلما أذنب، وفي هذه القصة في موضعين، مرة معرفا ومرة مجردا من التعريف، في الآيتين رقم: (٥٣، ٩٨).

---

(١) تفسير السعدي: (١/ ٣٩٨)، تحقيق: ابن عثيمين، تاج العروس: (١٣/ ٤٩٧) للزبيدي، (حرف: ق، مادة: ق. هـ. ر)، تحقيق: مجموعة من المحققين.

(٢) تفسير الطبري: (٢١/ ٣٦٦)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: (٦/ ٣٥)، باقي مسند الأنصار (حديث عائشة) برقم: (٢٤١١٥)، صححه ابن حبان: (٢٠/ ٤٠)، كتاب: البر، باب: الطاعات، ذكر الإخبار بأن الكافر وإن كثرت أعمال الخير منه...إلخ، برقم: (٣٣١)، ترتيب: علي بلبان، علاء الدين الفارسي.

قال تعالى: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف: ٥٣].

والمعنى في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، أن الله ذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه، بتركه عقوبته عليها وفضيحته بها، (رحيم)، به بعد توبته، أنْ يعذبه عليها[١].

المعنى العام للاسم:

غفر يغفره غفرًا: ستره، وأَنشد سيبَوَيْه:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لَستُ مُحْصِيَهُ   رَبَّ العِبَادِ إِلَيْهُ القَوْلُ والعَمَلُ

والغَفُورُ والغَفَّارُ والغافِر: من أَبْنِيَة الْمُبَالَغَة، ومعناهُما، السَّاتِرُ لِذُنوب عِبَاده، الْمُتَجَاوِزُ عن خَطاياهُمْ وذُنُوبهم. وغَفَرَ الأَمْرَ بِغُفْرَتِه، بالضَّمّ، وغَفيرَته: أَصْلَحَهُ بما يَنْبَغِي أَنْ يُصْلَحَ به[٢].

وقيل: الْغَفُورُ لجميع الزلات، الذي يوفق عبده لأسباب مغفرته، ثم إذا فعلها العبد، غفر الله ذنوبه، كبارها، وصغارها[٣].

الأدلة من السنة:

عن أبي بكر الصديقﷺ: أنه قال للنبي ﷺ: ((علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: (قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم)))[٤].

---

(١) جامع البيان: (١٦/ ١٤٣) للطبري، تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) انظر: تاج العروس: (١٣/ ٢٤٦، ٢٤٧)، للزبيدي، (فصل: غ. ر، مادة: غ. ف. ر)، تحقيق: مجموعة من المحققين.

(٣) تفسير السعدي: (١/ ٣٧٥)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) صحيح البخاري: (٥/ ٢٣٣١)، كتاب: الدعوات، باب: الدعاء في الصلاة، برقم: (٥٩٦٧)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

قال الكرماني: «هذا الدعاء من الجوامع لأنّ فيه الاعتراف بغاية التقصير وطلب غاية الإنعام فالمغفرة ستر الذنوب ومحوها، والرحمة إيصال الخيرات، ففي الأول طلب الزحزحة عن النار وفي الثاني طلب إدخال الجنة وهذا هو الفوز العظيم»[١].

١٠- الرحيم:

الآيات التي ورد فيها هذا الاسم في القصة هي الآيات المذكورة في الاسم قبله- الغفور-.

المعنى العام للاسم:

اسم مشتق من الفعلَ رحم، ورحِيمٌ فَعِيلٌ بمعنى فاعلٍ، كما قالوا سَمِيعٌ بمعنى سامِع، وقديرٌ بمعنى قادر.

وكثيرا ما يرتبط اسم الله: الرحمن بالرحيم في آيات الذكر الحكيم وفي معناهما يقول ابن عباس): هما اسمان رقيقان أَحدهما أَرق من الآخر فالرَّحْمن الرقيق والرَّحيمُ العاطف على خلقه بالرزق)[٢].

وقيل أيضا: الرَّحِيمُ: الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصل جوده إلى جميع الموجودات، بحيث لا تستغني عن إحسانه، طرفة عين، فإذا عرف العبد بالدليل القاطع، أن الله، هو المنفرد بالنعم، وكشف النقم، وإعطاء الحسنات، وكشف السيئات والكربات، وأن أحدًا من الخلق، ليس بيده من هذا شيء إلا ما أجراه الله على يده، جزم بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل[٣].

الأدلة من السنة:

ويلاحظ أنّ الرحيم مقترن بالغفور ليس في آيات القرآن بل في الأحاديث النبوية أيضا، كما ورد في الحديث السابق في اسم الله: (الغفور).

---

(١) فتح الباري: (١١/ ١٣١، ١٣٢)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: لسان العرب: (١٢/ ٢٣٠)، لابن منظور، (حرف: م، مادة: رحم)، دون ذكر المحقق.

(٣) تفسير السعدي: (١/ ٣٧٥)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

ومن الأدلة أيضا:

حديث أبي هريرة ﷺ أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((قال الله تعَالَى قَسَمتُ الصّلَاةَ بَيْني وَبَينَ عَبْدي نصْفَيْنِ وَلعَبْدي ما سأَلَ....))، وفيه: ((وإذا قال: (الرحمن الرَّحيمِ)، قال الله تعَالَى: أثْنَى علَيَّ عَبْدي...)) الحديث[١].

١١- الحافظ:

ورد هذا الاسم في القصة بلفظ (حافظا) مجردا من أل التعريف، وفي موضع واحد في القرآن الكريم، هو **قوله تعالى:** ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف: ٦٤].

قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿حَٰفِظًا﴾: بالألف على التفسير، كما يقال: هو خيرٌ رجلا، وقرأ الآخرون: (حفظا) بغير ألف على المصدر، يعني: خيركم حفظا، يقول: حفظه خير من حفظكم، والمعنى: يعلم حالي، وأرجو أن يرحمني، فيحفظه ويرده علي، وكأنه في هذا الكلام قد لان لإرساله معهم[٢].

المعنى العام للاسم:

لغة: الحافِظُ والحَفِيظُ الموكَّل بالشيء يَحْفَظه، والحفيظ الذي لا يَعْزُب عن حفظه الأَشْياء كلِّها مِثقالُ ذرّة في السموات والأرض وقد حفِظ على خلقه وعباده ما يعملون من خير أَو شرّ وقد حفِظ السمواتِ والأرضَ بقدرته ولا يؤُوده حفظهما وهو العليُّ العظيم[٣].

---

(١) صحيح مسلم: (١/ ٢٩٦)، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، برقم: (٣٩٥)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢٥٦)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون، تفسير السعدي: (١/ ٤٠١)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) انظر: لسان العرب (٧/ ٤٤٠) لابن منظور، (حرف: ظ، مادة: حفظ)، دون ذكر المحقق.

الأدلة من السنة:

عن ابن عباسﷺ قال: ((كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال: (يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله...))) الحديث[١].

والمعنى: احفظ الله في أمره ونهيه، يحفظك في الدنيا من الآفات والمكروهات، وفي العقبى من أنواع العقاب والدركات[٢].

والفعل يحفظك: دليل على الاسم الحافظ، وصفته وهي الحفظ.

١٢- الوكيل:

دلت عليه آية واحدة في القصة، مجردا من أل التعريف (وكيل)، **قال تعالى:** ﴿ **قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ** (٦٦)﴾ [يوسف: ٦٦].

والمعنى: تكفينا شهادته علينا، وحفظه وكفالته[٣].

المعنى العام للاسم:

الوَكِيلُ على وزن فَعِيل بمعنى مفعول، وهو الكفيل ونِعْمَ الكَفِيل بأَرزاقِنا، وحقيقته أَنه يستقلُّ بأَمر المَوْكول إِليه[٤].

وهو الرقيب والحفيظ، القائم بأرزاق عباده وأقواتهم، فالأشياء موكلة إليه يدبرها ويصرفها بقدرته دون مشارك له[٥].

---

(١) سنن الترمذي: (٤/ ٦٦٧)، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: ٥٩، وقال: حديث حسن صحيح، تحقيق: أحمد شاكر، وآخرون.

(٢) تحفة الأحوذي: (٧/ ١٨٥)، للمباركفوري، دون ذكر المحقق.

(٣) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٤٠٢)، تحقيق: ابن عثيمين.

(٤) انظر: لسان العرب: (١١/ ٧٣٤) لابن منظور، (حرف: ل، مادة: وكل)، دون ذكر المحقق.

(٥) انظر: تفسير الطبري: (١٢/ ١٣)، تحقيق: أحمد شاكر، وفتح القدير: (٤/ ٤٧٤)، للشوكاني.

الأدلة من السنة:

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه قال: ((حسْبُنَا اللهُ وَنعْمَ الْوَكيلُ قالَهَا إبْرَاهِيمُ عليه السلام حين ألقى في النّارِ وقَالَهَا مُحمَّدٌ ﷺ حين قالوا: إنَّ الناس قد جَمَعُوا لكُمْ فاخْشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إيمَانًا وقَالُوا حسْبُنَا اللهُ وَنعْمَ الْوَكيلُ))[1].

١٣- اللطيف:

دلّت آية واحدة في القصة على هذا الاسم العظيم، وجاء فيها مجردا من أل التعريف: (لطيف)، **قال تعالى:** ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف: ١٠٠].

(إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ) أي رفيق بعباده، واللطيف هو البرّ بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون، كقوله: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ﴾ [الشورى: ١٩]. وقيل: اللطيف العالم بدقائق الأمور، والمراد هنا الإكرام والرفق. قال قتادة: ((لطف بيوسف بإخراجه من السجن، وجاءه بأهله من البدو، ونزع عن قلبه نزغ الشيطان))[2].

المعنى العام للاسم:

اللطيف اسم مشتق من: لطف يلطف لطفا، واللّطيفُ: اسم من أسماءِ الله، ويقال: لطَف الله لك، أي: أوصل إليك ما تحِب برفْق[3].

قال أبو العالية (ت: ٩٣هـ)[4]: ((لطيف باستخراج الأشياء خبير بمكانها))[5].

---

(١) صحيح البخاري: (٤/ ١٦٦٢)، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة آل عمران، باب: (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم...) الآية: ١٧٣، برقم: (٤٢٨٧)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: (٩/ ٢٦٧)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش.

(٣) انظر: تهذيب اللغة: (١٣/ ٢٣٥) للأزهري، (حرف: ط، مادة: ط. ل. ف)، تحقيق: محمد عوض.

(٤) وقيل: توفي عام: ٩٠هـ، (انظر: سير أعلام النبلاء: (٧/ ٢٣٧)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: (٧/ ٥٧)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((حفي بهم))، وقال عكرمة (ت: ١٠٥هـ)[١]: ((بار بهم))، وقال السدي (ت: ١٢٧هـ)[٢]: ((رفيق بهم))، وقال القرطبي[٣]: ((لطيف بهم في العرض والمحاسبة))، وقيل:

غدا عند مولى الخلق للخلق موقف   يسائلهم فيه الجليـــل ويلطـــف[٤]

ومما أثر عن عمر بن عبد العزيز (ت: ١٠١هـ)[٥] حين كتب لولي العهد بعده، ((بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى يزيد بن عبد الملك...وفيه: فعليك بتقوى الله والرعية الرعية، فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلا حتى تلحق باللطيف الخبير))[٦].

وهذا مما يدل على عناية السلف بالأسماء الحسنى والإيمان بها واستشعار معانيها في شؤون حياتهم، فهي تحدث في قلوبهم الذكرى، وتزيد من إيمانهم وتقربهم إلى باريهم.

الأدلة من السنة:

حديث عائشة رضي الله عنها لما أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالاستغفار لأهل البقيع وفيه قال ﷺ: ((لَتُخبِرِينِي أو لَيُخبِرَنِّي اللَّطِيفُ الخَبِيرُ))[٧].

---

(١) وقيل: توفي عام: ١٠٤هـ، انظر: سير أعلام النبلاء: (٩/ ٣٣)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء: (٩/ ٣١٥)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

(٣) اختلف في وفاته فقيل: توفي عام: ١٧هـ، ١٩هـ، ١٠٨هـ، ١٢٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء: (٩/ ٧٠، ٧١)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

(٤) تفسير القرطبي: (١٦/ ١٦)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء: (٩/ ١٦٥)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

(٦) انظر: الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة: (١/ ٢٨٢)، لحياة محمد جبريل.

(٧) صحيح مسلم: (٢/ ٦٧٠)، كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند دخول القبور، والدعاء لأهلها، برقم: (٩٧٤)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٤- فاطر:

ورد هذا الاسم في القصة في موضع واحد، **قال تعالى:** ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف: ١٠١].

﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: خالقهما[١].

المعنى العام للاسم:

فاطر اسم مشتق من الفعل: فطَرَ، وفطر الشيءَ يَفْطُرُه فَطْرًا فانْفَطَر، وفطَّرَه شقه، وتَفَطَّرَ الشيءُ تشقق، والفَطْر الشّقّ، وجمعه فُطُور، قال تعالى: ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣﴾ [المُلك: ٣].

وفَطَرَ الله الخلق يَفْطُرُهم خلقهم وبدأهم، والفِطْرةُ الابتداء والاختراع، قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر: ١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((ما كنت أَدري ما فاطرُ السموات والأَرض حتى أَتاني أَعرابيّان يختصمان في بئر فقال أَحدهما أَنا فَطَرْتُها، أَي أَنا ابتدأْت حَفْرها))، وذكر أَبو العباس: «أَنّه سمع ابن الأَعرابي يقول: أَنا أَول من فَطَرَ هذا أَي ابتدأَه)، والفِطْرةُ بالكسر الخِلْقة»[٢].

الأدلة من السنة:

سئلت عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ الله ﷺ يَفْتَتِحُ صَلاَتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ فقَالَتْ: ((كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاَتَهُ: (اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِى مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)))[٣].

---

(١) تفسير البغوي: (٤/ ٢٨١)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٢) انظر: لسان العرب: (٥/ ٥٥)، لابن منظور، (حرف: ر، مادة: فطر)، دون ذكر المحقق.

(٣) صحيح مسلم: (٢/ ١٨٥)، كتاب: صلاة المسافرين، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم: (١٨٤٧)، دون ذكر المحقق.

١٥- الولي:

ورد هذا الاسم في القصة في موضع واحد بلفظ ﴿وَلِيِّۦ﴾ مضافا لياء المتكلم، قال تعالى: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف: ١٠١].

والمعنى في قوله: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ﴾ أي: معيني ومتولي أمري، ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا﴾[1].

المعنى العام للاسم:

الوليّ: الناصِرُ، وقيلَ: الْمُتَوَلِّي لأُمورِ العالَمِ القائمُ بها، والوَالِي: وهو مالِكُ الأَشْياءِ جَميعها الْمُتصَرِّفُ فيها[2].

ومن معانيه: أنّ الله وليّ عباده، ونصيرهم، فيتولاهم في تحصيل منافعهم، وينصرهم في دفع مضارهم، ومن ولايته لهم، أن يشرع لهم من الأحكام، ما تقتضيه حكمته ورحمته بهم[3].

الأدلة من السنة:

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ﵁ قَالَ: ((لاَ أَقُولُ لَكُمْ إِلاَّ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ كَانَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا)))[4].

---

(١) تفسير البغوي: (٤/ ٢٨١)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٢) انظر: تاج العروس: (٤٠/ ٢٥٣)، للزبيدي، (حرف: و، مادة: ولي)، تحقيق: مجموعة من المحققين.

(٣) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٦١)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) صحيح مسلم: (٨/ ٨١)، كتاب: الذكر والدعاء، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، رقم: (٧٠٨١)، دون ذكر المحقق.

وبهذا تمّ الحديث عن أسماء الله الحسنى الواردة في قصة يوسف عليه السلام، وعرضها بإيجاز، مع بسط الحديث في الصفات التي دلّت عليها هذه الأسماء، وغيرها- بإذن الله- في المبحث التالي.

المبحث الثاني: دلالة قصة يوسف ﷺ على صفات الله ﷻ:

في بداية هذا المبحث لابدّ من التنبيه على أهم القواعد المتعلقة بصفات الله تعالى، ليتضح النهج الذي سار عليه السلف الصالح في إثبات صفات الله تعالى والاستدلال عليها.

قواعد في صفات الله تعالى:

القاعدة الأولى: صفات الله صفات كمال لا نقص فيها:

كالسمع والقدرة والعلو...إلخ، دلّ على ذلك أدلة الكتاب والسنة فله المثل الأعلى، ودل العقل أيضا على كمال الرب المستحق للعبادة، كذلك الفطرة السليمة فالنفوس جبلت على تعظيمه سبحانه كامل الصفات، ونفي كل صفة تحمل النقص ولا كمال فيها، كالنسيان والعمى والعجز.

القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء:

.بمعنى أن كل اسم من أسماء الله لا يمكن إثباته إلا بنص من الكتاب والسنة، أما الصفات إما أن ترد صراحة أو تشتق من أسمائه سبحانه الواردة في نصوص الوحيين فأفعاله وأقواله سبحانه لا منتهى لها.

فمن صفاته سبحانه الإتيان والمجيء فلا نشتق اسما من ذلك ونقول من أسمائه: الآتي، والجائي...إلخ[1].

القاعدة الثالثة: أقسام صفات الله تعالى:

ثبوتية، وسلبية.

القسم الأول: الثبوتية:

وهذه تتعلق بما هو ثابت في الكتاب والسنة من صفات الله كالوجه واليدين والاستواء على العرش، وهي ثابتة بالعقل فالله أخبرنا بها وهو أعلم بذلك فوجب الإيمان بها وتصديق خبرها، وهي صفات مدح وكمال، ولها قسمان:

---

(١) انظر: القواعد المثلى: (٥٣إلى٥٨) لابن عثيمين، تعليق وتخريج: أشرف عبد المقصود.

أقسام الصفات الثبوتية:

١- الذاتية: وهي التي لم يزل الله متصفا ولا يزال متصفا.

أ-العقلية الخبرية: كالعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والحكمة...إلخ.

ب-الخبرية: كالوجه واليدين والعينين.

٢- الفعلية: وهي متعلقة بمشيئته وإرادته.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية: باعتبار أنّ الله لم يزل متصفا بها، ولا يزال كصفة الكلام وهي مرتبطة بمشيئته وإرادته أيضا.

وهي على نوعين:

أ-متعدية إلى مفعول: كالخلق والرزق.

ب-لازمة لا تتعدى إلى مفعول: كالضحك والغضب(١).

القسم الثاني: السلبية:

وهي صفات النقص التي نفاها الله عن نفسه في الكتاب والسنة، كالنوم والعجز والنسيان.

ولا بد عند نفيها من إثبات كمال ضدها، كالعجز مثلا ينفى عنه سبحانه ويثبت له الضد وهو كمال القدرة والعلم(٢).

القاعدة الرابعة: أصول النفي والإثبات عند السلف:

أولا: الإثبات:

يكون إثباتا مفصلا لكل صفة واردة، بلا تمثيل لصفات الله بالمخلوقين، أو تكييف: بمعنى اعتقاد أنّ كيفية صفات الله كذا وكذا، ويجب الكف عن ذلك تقديرا بالجنان أو تقريرا باللسان أو تحريرا بالبنان(٣).

---

(١) انظر: القواعد المثلى: (٥٩إلى٦٣)، لابن عثيمين، تعليق وتخريج: أشرف عبد المقصود، حقيقة التوحيد: (٢٦٩، ٢٧٠) لعبد الرحيم السلمي.

(٢) انظر: القواعد المثلى: ٦٠، ٦١)، لابن عثيمين، تعليق وتخريج: أشرف عبد المقصود.

(٣) انظر: التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٤٩، ٥٠) للمحسي، تقديم: محمد الخميس، والقواعد المثلى: (٦٤إلى ٦٦).

ولا بد من التنبيه على القدر المشترك بين صفات الله وصفات المخلوقين مما يبطل التمثيل والتشبيه، فهذا المشترك الكلي من لوازم الوجود لكن عند إثبات صفات الله كالحياة مثلا فإنها تثبت بخصائص مختلفة عن حياة المخلوق، فحياة الله يلزم منها الأولية والأزلية والأبدية، أما حياة المخلوق يلزم منها الحدوث والموت[1].

ثانيا: النفي:

ويأتي النفي مجملا وهو أبلغ في التعظيم، ولا يُفصّل النفي إلا في أحوال معينة في الصفات السلبية هي:

١- بيان عموم كماله: كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ...﴾ [الشورى: ١١].

٢- نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون: كقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ...﴾ [المؤمنون: ٩١].

٣- دفع توهم نقص من كماله في أمر معين: كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الدخان: ٣٨][2].

وهكذا تمّ الحديث بشيء من الإيجاز عن أبرز قواعد السلف في صفات الله سبحانه، والتي اعتنى العلماء ببيانها وتوضيحها بإسهاب جليل النفع قصرت الحيلة عن الإلمام به ولا يتسع المقام لذلك ولعلّ فيما ذكر الفائدة والمعالم البارزة في طريق من رجا الزيادة، وكان ما تقدم تهيئة للبدء في بيان صفات الله الواردة في قصة يوسف عليه السلام.

---

(١) انظر: التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٥٢، ٥٣، ٣٢٠، ٣٢١) للمحسي، تقديم: محمد الخميس.

(٢) انظر: التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٥٢، ٥٣، ٣٢٠، ٣٢١) للمحسي، تقديم: محمد الخميس، القواعد المثلى: (٦٢ إلى٦٥).

صفات الله تعالى الواردة في قصة يوسف عليه السلام.

الصفات في القصة منها ما وردت صراحة، ومنها ما دلت الأسماء عليها، وسيتم البدء بكل صفة دلت أسماء الله الحسنى عليها في المبحث الأول من هذا الفصل، ويليها باقي الصفات إلا ما كان منها ذا ارتباط بما سبقها.

الصفات التي دلت الأسماء عليها في قصة يوسف عليه السلام.

١- الربوبية: وهي صفة ذاتية، دل عليها اسم الله (الربّ).

٢- الألوهية: وهي صفة ذاتية، دل عليها اسمه سبحانه (الله).

وقد تمّ الحديث في الفصل الأول من هذا الباب عن هاتين الصفتين بالتفصيل.

٣- العلم: وهي صفة ذاتية[1]، دل عليها اسم الله: (العليم)، فهو سبحانه العليم، عالم الغيب والشهادة، وما ورد في القصة بصيغة الفعل: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ [يوسف: ٧٧].

وأيضا ما نسبه يوسف من علم أوتيه لله سبحانه: ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢﴾ [الأعراف: ٦٢].

وما نفاه إخوة يوسف عن أنفسهم من علم الغيب يدل على اختصاص الله به: ﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١﴾ [يوسف: ٨١].

ومن بعض أدلتها في مواضع أخرى من كتاب الله قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

---

(١) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: (١٣٣)، لعبد العزيز السلمان.

والله عنده علم مفاتح الغيب الخمس الواردة في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان: ٣٤].

كما أنّ السرّ والنجوى عنده سواء: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [التوبة: ٧٨].

وممّا ورد عن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: ((من حدثك أنّ محمدا ﷺ رأى ربه فقد كذب وهو يقول: لا تدركه الأبصار، ومن حدثك أنّه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول: لا يعلم الغيب إلا الله))[1].

وسيأتي مزيد من البيان عن هذه الصفة عند الحديث عن مراتب القدر: (العلم، الكتابة، ...) في الباب الخامس من هذه الرسالة بإذنه تعالى.

٤- الحكمة: وهي صفة ذاتية دل عليها اسم الله (الحكيم)، بأدلته السابقة، وأيضا قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [يوسف: ٨٠].

فلله الحكمة البالغة فلا يعذب المسيء إلا بحكمة وعدل كما أنّه لا يجزي المحسن إلا بحكمة ورحمة وفضل، وليس كما يزعم نفاة الحكمة الذين يثبتون مشيئة مجردة من الحكمة والتعليل، وهم الذين يستوي عندهم الأمرين، بمعنى أن الله يجوز عليه أن يعذب أهل الطاعة أشد العذاب، وينعم على أهل المعصية بجزيل الثواب[2].

---

(١) صحيح البخاري: (٦/ ٢٦٨٧)، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا)، برقم: (٦٩٤٥)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٢) انظر: الفوائد: (٢٣٦)، لابن القيم، تحقيق: عصام الصبابطي، وراجع: تلبيس الجهمية: (١/ ٢١٥) لابن تيمية، تعليق: محمد بن قاسم.

والحكمة تستلزم علم الحكيم بأن أحد الأمرين أولى من الآخر وأن يكون ذلك الراجح أحب إليه من الآخر وحينئذ فذلك يستلزم تفاصيل المعلومات المرادات وذلك يمنع تساويها وهو المطلوب[(١)].

وحكمة الله تتجلى أيضا فيما شرعه من أحكام تتعلق بالعبادات، كالصيام والحج والحدود والمعاملات، يلتمسها المسلم في حياته اليومية، ولا حصر لها، وإن خفت الحكمة في بعض الأحكام، فمن الواجب الإيمان بها والامتثال لها وإن خفت الحكمة من وراء تشريعها.

٥- الحُكم: صفة ذاتية لله، والله سبحانه هو الحَكم وله الحُكم، ومما ورد في القصة: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ...﴾ [يوسف: ٤٠].

وقوله: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾ [يوسف: ٦٧].

والحُكم مصدر، قال الأزهري: «هو القضاء بالعدل»[(٢)].

وحُكم الله سبحانه فيما أنزله من أحكام شرعية، وما اقتضته حكمته من سنن كونية، لابد أن يتلقاه المؤمن بالقبول والرضا، ويثق تمام الثقة بأنه عدل في حكمه، فإن منع فلحكمة، وإن أعطى فبفضل ومنة فهو الحَكم الحكيم وهو خير الحاكمين.

عن هانِئٍ بن يزيد النخعيرضي الله عنه[(٣)] أَنَّهُ لَمَّا وفَدَ إلى رسول اللّهِ ﷺ مع قَومِهِ سَمِعَهُمْ يَكنُونَهُ بِأَبِي الحَكَمِ فدَعَاهُ رسول اللّهِ ﷺ فقال: ((إِنَّ اللّهَ هو الحَكَمُ وَإِلَيهِ الحُكْمُ فلِمَ تُكنَى أَبَا الحَكَم؟ فقال: إِنَّ قَومِي إذا اختَلَفُوا فِي شَيءٍ أَتَونِي فَحَكَمتُ بَينَهُمْ فرَضِيَ كِلا الفَرِيقَيْنِ فقال رسول اللّهِ ﷺ

(١) درء تعارض العقل والنقل: (٢/ ٢٨١)، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم.

(٢) انظر: لسان العرب: (١٢/ ١٤٠) لابن منظور، (حرف: م، مادة: حكم)، دون ذكر المحقق.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة: (٦/ ٥٢٣)، لابن حجر، تحقيق: علي البجاوي.

ما أَحسَنَ هذا فما لك من الوَلَدِ قال لي شُرَيحٌ وَمُسلِمٌ وَعبد اللّهِ قال فمَنْ أَكبَرُهُمْ قلت شُرَيحٌ قال فَأَنتَ أبو شُرَيحٍ))[(١)].

٦- الغلبة: صفة ذاتية لله دل عليها اسمه الغالب، في آية واحدة من القصة، **قال تعالى**: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ...﴾ [يوسف: ٢١].

ومن الآيات في بيان هذه الصفة في غير قصة يوسف ﷺ، قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة: ٢١].

والمعنى هنا كما قال الزجاج: غلبة الرسل على نوعين: «من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب، ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة»[(٢)].

والله قويّ على نصر أوليائه غالب لأعدائه لا يغلبه أحد[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أن رسول الله ﷺ كان يقول: (لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده)))[(٤)].

٧- السمع: وهي صفة ذاتية لله ﷻ دل عليها اسم الله السميع في **قوله تعالى**: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤﴾ [يوسف: ٣٤].

وفي سورة طه يقول تعالى لموسى وهارون عند أمره الله لهما بالذهاب لفرعون: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه: ٤٦].

---

(١) سنن أبي داود: (٤/ ٢٨٩)، كتاب: الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، برقم: (٤٩٥٥)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، صحيحه ابن حبان: (٢/٢٥٧)، كتاب: البر..، باب: إطعام الطعام..، برقم: (٥٠٤)، ترتيب: علي بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وقال المحقق: إسناده جيد.

(٢) تفسير البغوي: (٨/ ٦٢)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٣) انظر: فتح القدير: (٥/ ١٩٣) للشوكاني.

(٤) صحيح البخاري: (٤/ ١٥٠٩)، كتاب: المغازي، باب: غزوة الخندق: (الأحزاب)، برقم: (٣٨٨٨)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ...﴾ [المجادلة: ١].

قال الأَزهري: «والعجب من قوم فسَّروا السميعَ بمعنى المُسْمِع فِرارًا من وصف الله بأَن له سَمْعًا وقد ذكر الله الفعل في غير موضع من كتابه فهو سَمِيعٌ ذو سَمْعٍ بلا تَكيِيفٍ ولا تشبيه بالسمع من خلقه ولا سَمْعُه كسَمْعِ خلقه ونحن نصف الله بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكييف»[1].

وسمعه سبحانه على نوعين:

الأول: سمع لجميع الأصوات، سرها وعلانيتها، قريبها وبعيدها.

الثاني: سمع منه ويكون إجابة للداعين، على اختلاف اللهجات وتفنن الحاجات[2].

٨- **الوحدانية**: وهي صفة ذاتية لله تعالى دل عليها اسمه الواحد، **قال تعالى**: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف: ٣٩].

وقال تعالى في سورة غافر: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦].

وما اختصّ الله به من توحّده في ذاته وصفاته هو مذهب السلف الصالح، فهم لا يقصدون سلب الصفات عنه سبحانه، ولا سلب الإدراك بالحواس، مخالفين بذلك غيرهم من أهل الأهواء الذين فسروا الواحد بأنه الذي لا ينقسم وأنه ليس بجسم، وكيف يقولون بذلك ولا يوجد في اللغة ذكر للواحد إلا على ذي صفة ومقدار[3].

---

(١) لسان العرب: (٨/ ١٦٢) لابن منظور، (حرف: ع، مادة: سمع)، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: (١٤٧)، لعبد العزيز السلمان.

(٣) انظر: تلبيس الجهمية: (١/ ٤٨٣، ٤٨٤) لابن تيمية، تعليق: محمد بن قاسم.

٩- القهر: صفة ذاتية لله سبحانه دلّ عليها اسمه القهار، كما تبين في الآية: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف: ٣٩].

وفي موضع آخر من كتاب الله يقول سبحانه: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

وهنا احتج الله على تفرّده بالإلهية بتفرّده بالخلق وعلى بطلان إلهية ما سواه بعجزهم عن الخلق وعلى أنّه واحد بأنه قهار والقهر التام يستلزم الوحدة فإن الشركة تنافي تمام القهر[١].

قال ابن القيم:

والقهر والتوحيد يـــشهد منـــهما ... كـــل لـــصاحبه هـمـــا عـــدلان

ولذلك اقترنـــا جميعـــا في صـــفا ... ت الله فـــانظر ذاك في القـــرآن

فالواحد القهار حقا لـــيس في ال ... إمكان أن تحظـــى بـــه ذاتـــان[٢]

١٠- المغفرة: صفة ذاتية لله سبحانه دل عليها اسمه الغفور بأدلة القصة التي سبق ذكرها، ومثلها كثير في كتاب الله، وممّا ورد فيه لفظ فعل المغفرة في غير قصة يوسف عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٩﴾﴾ [آل عمران: ١٢٩].

وفي نفس السورة أيضا: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة: (٢/ ٤٦٥، ٤٦٦)، لابن القيم، تحقيق: د. علي الدخيل الله.

(٢) توضيح المقاصد في شرح قصيدة ابن القيم: (١/ ٣٦٥)، لأحمد إبراهيم عيسى، تحقيق: زهير الشاويش.

والمعنى: إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار[(١)].

وعن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه يترل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل يعطي هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له حتى ينفجر الصبح))[(٢)].

ولا شك أنّ المغفرة تزيد من طمع العبد في رحمة ربه سبحانه، وتقوده لإحداث التوبة نظير كل ذنب، وعدم القنوط من رحمة الله، كيف والله يفرح بتوبة عبده، ويغفر ذنبه، ويستره، ولا يعاجله بالعقوبة، فهو العليم بعباده وضعفهم أمام شهواتهم ورغباتهم، والعليم بتقصيرهم ونقصهم، وفي فتحه لمجال التوبة والرجوع بالصفح والغفران لمن تاب وأناب لعطية لله الحمد عليها حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

١١- الرحمة: صفة ذاتية لله، سبحانه، دل عليها اسمه الرحيم بالأدلة آنفة الذكر، مع ما يوافقها من سور القرآن الأخرى، قال تعالى آخر سورة البقرة: ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فالعفو والمغفرة يحصل بهما دفع المكاره والشرور، والرحمة يحصل بها صلاح الأمور[(٣)].

والرحمة التي اتصف بها سبحانه، متعلقة بالمرحوم. فالنعم كلها، أثر من آثار رحمته[(٤)].

قال تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم: ٥٠].

---

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ١٢٣)، تحقيق: سامي سلامة.

(٢) صحيح مسلم: (١/ ٥٢١)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل...إلخ، برقم: (١٧٠)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ينفجر: وقد انْفَجَر الصبح وتَفَجَّر وانْفَجَر عنه الليلُ وأَفْجَرُوا دخلوا في الفَجْر، لسان العرب: (٥/ ٤٥)، لابن منظور (حرف: ر، مادة: فجر)، دون ذكر المحقق.

(٣) تفسير السعدي: (١/ ١٢٠)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٣٩)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

ورحمة الله شملت كلّ المخلوقات، قال تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ...﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وعن سلْمَانَ الفارسيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول اللّهِ ﷺ: ((إنَّ اللّهَ خلَقَ يوم خلَقَ السّمَاوَاتِ والْأَرْضَ مِائَةَ رحْمَةٍ كلُّ رحْمَةٍ طِباقَ ما بين السّمَاءِ والْأَرْضِ فجَعَلَ منها في الأرض رحْمَةً فبِهَا تعْطِفُ الْوالِدَةُ على ولَدِهَا والْوَحْشُ والطَّيْرُ بعْضُهَا على بَعضٍ فإذا كان يَومُ الْقِيَامَةِ أَكملَهَا بِهَذه الرَّحمَةِ))[1].

ولكنّ العبد وإنْ رجا رحمة الله لابدّ له من الموازنة بين الخوف والرجاء فلا يُغلّب جانبا على الآخر، كما سبق بيانه في مبحث الرجاء من الفصل الثاني لهذا الباب.

فاللهمّ رحمتك نرجو فلا تكلنا لأنفسنا طرفة عين.

١٢- الحفظ: صفة دل عليها اسم الله الحافظ، كما سبق التدليل على ذلك.

وممّا ورد أيضا، قوله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ [البروج: ٢١- ٢٢].

فإنّ القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحِجر: ٩]، وهو أمّ الكتاب، ومنه نسخ الكتب، محفوظ من الشياطين، ومن الزيادة فيه والنقصان[2].

وفي آية الكرسي يقول تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والمعنى: أنّ الله قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب، لا يثقله حفظهما، وهو ﴿ٱلۡعَلِيُّ﴾ بذاته فوق عرشه، العلي بقهره لجميع المخلوقات، العلي بقدره لكمال

---

(١) صحيح مسلم: (٤/ ٢١٠٩)، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه، برقم: (٢٧٥٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) تفسير البغوي: (٨/ ٣٨٩)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

صفاته ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ الذي يتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين))[٢].

أنواع حفظ الله لعباده:

١) العام: حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها ويحفظ بنيتها، وتمشي إلى هدايته، وإلى مصالحها بإرشاده، وهدايته العامة لكل مخلوق إلى ما قدر له وقضى له من ضروراته كالهداية للمأكل، والمشرب، والمنكح، والسعي في أسباب ذلك، وكدفعه المكاره، والمضار عنهم، وهذا يشترك فيه البرّ، والفاجر بل الحيوانات، وغيرها، فهو الذي يحفظ السماوات، والأرض أنْ تزولا، ويحفظ الخلائق بنعمه، وقد وُكل بالآدمي حفظة من الملائكة الكرام يحفظونه من أمر الله، أي يدفعون عنه كل ما يضره مما هو بصدد أن يضره لولا حفظ الله.

٢) الخاص: لأوليائه، بحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل إيقانهم من الشبه، والفتن، والشهوات فيعافيهم منها ويخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس فينصرهم[٣].

١٣- وكيل: صفة دل عليها اسم الله (الوكيل)، بالدليل المذكور سابقا، وممّا يدلّ عليها أيضا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ...﴾ [الطلاق: ٣].

---

(١) انظر: تفسير السعدي: (١/ ١١٠)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) صحيح البخاري: (٥/ ٢٣٢٩)، كتاب: الدعوات، باب: التعوذ والقراءة عند النوم، برقم: (٥٩٦١)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى: (١/ ٣٢)، للسعدي، تحقيق: عبيد العبيد.

وقال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣].

فمن اتقى الله فيما نابه كفاه ما أهمه[١].

والتوكل على اللّه، الاعتماد على الله، اعتماد من لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة، ولا نشورًا، في السلامة من الشرور، وإقامة الدين، والثقة باللّه في حصول ذلك على أي حال كان، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ توكل إليه الأمور، فيقوم بها، وبما هو أصلح للعبد، وذلك لعلمه بمصالح عبده، من حيث لا يعلم العبد، وقدرته على إيصالها إليه، من حيث لا يقدر عليها العبد، وأنه أرحم بعبده من نفسه، ومن والديه، وأرأف به من كل أحد، خصوصًا خواص عبيده، الذين لم يزل يربيهم ببره، ويُدرُّ عليهم بركاته الظاهرة والباطنة، خصوصًا وقد أمر بإلقاء الأمور إليه، ووعد، فهناك لا تسألَ عن كل أمر يتيسر، وصعب يسهل، وخطوب تهون، وكروب تزول، وأحوال وحوائج تقضى، وبركات تنزل، ونقم تدفع، وشرور ترفع.

وهناك ترى العبد الضعيف، الذي فوّض أمره لسيده، قد قام بأمور لا تقوم بها أمة من الناس، وقد سهل اللّه عليه ما كان يصعب على فحول الرجال[٢].

والمؤمن المتعبد لله باسمه الوكيل وصفته، يفوض أمره له سبحانه، ويثق في تحقق مطلوبه، وإنْ صرف عنه فذاك الخير الذي اختاره الله له، موقنا بأنّ أمر المؤمن كله خير.

وبيان التوكل بالتفصيل سبق ذكره في المبحث السادس من الفصل الثاني لهذا الباب.

١٤- اللّطف: صفة لله سبحانه دلّ عليها اسمه اللطيف بالدليل المذكور سابقا، وممّا يدلّ عليها أيضا قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى: ١٩].

وقال: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان: ١٦].

قال الليث: ((اللَّطَفُ: البِرُّ والتَّكْرِمة))[٣].

وقد ورد في لطف الله الكثير من المعاني منها:

---

(١) انظر: تفسير البغوي: (٨/ ١٥١)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٢) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٦٥٧)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) تهذيب اللغة: (١٣/ ٢٣٥) للأزهري، (حرف: ط، مادة: ط. ل. ف)، تحقيق: محمد عوض.

قيل: اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب، وقيل: هو الذي يقبل القليل ويبذل الجزيل.

وقيل: هو الذي يجبر الكسير وييسر العسير، وقيل: هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه.

وقيل: هو الذي لا يرد سائله ولا يوئس آمله، وقيل: هو الذي يعفو عمن يهفو[١].

١٥- الفَطْر: صفة لله تعالى دل عليها اسمه (فاطر)، بالدليل المذكور، وممّا ورد أيضا قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩].

ومعنى قوله: ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق[٢].

وقوله: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ...﴾ [الروم: ٣٠].

ومعناه: أنّه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك[٣].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: أنّه كان إذا قام إلى الصلاة قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩][٤] الحديث.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: (١٦/ ١٧)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش.

(٢) تفسير ابن كثير: (٣/ ٢٩١)، تحقيق: سامي سلامة.

(٣) تفسير ابن كثير: (٦/ ٣١٤)، تحقيق: سامي سلامة.

(٤) صحيح مسلم: (١/ ٥٣٤)، كتاب: صلاة المسافرين، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم: (٢٠١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٦- الوَلاية: صفة لله تعالى دلّ عليها اسمه (الولي)، بالدليل الذي سبق ذكره، وممّا يدلّ عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾ [الأعراف: ١٩٦].

وتكون ولاية الله للصالحين بنصرهم فلا يضرهم عداوة من عاداهم[١].

وقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧].

ذكر تعالى السبب الذي أوصلهم إلى ولاية الله لهم، وذلك بأن تولوه فلا يبغون عنه بدلا ولا يشركون به أحدا، قد اتخذوه حبيبا ووليا، ووالوا أولياءه وعادوا أعداءه، فتولاهم بلطفه ومنَّ عليهم بإحسانه، فأخرجهم من ظلمات الكفر والمعاصي والجهل إلى نور الإيمان والطاعة والعلم، وكان جزاؤهم أن سلمهم من ظلمات القبر والحشر والقيامة إلى النعيم المقيم والراحة والفسحة والسرور، أما الذين كفروا، فتولوا الشيطان وحزبه، واتخذوه من دون الله وليا ووالوه وتركوا ولاية ربهم وسيدهم، فسلطهم عليهم فكانوا يؤزونهم إلى المعاصي أزا، ويخرجونهم من نور الإيمان والعلم والطاعة إلى ظلمة الكفر والجهل والمعاصي، فكان جزاؤهم أن حرموا الخيرات، وفاتهم النعيم والبهجة[٢].

حقيقة ولاية الله:

قال ابن تيمية: «و أما الوَلاية المخالفة للعداوة فأنّه يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه ويرضى عنهم ويرضون عنه ومن عادى له وليا فقد بارزه بالمحاربة وهذه الولاية من رحمته وإحسانه ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجته إليه قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّ...﴾ [الإسراء: ١١١]، فالله تعالى ليس له ولي من

---

(١) انظر: تفسير البغوي: (٣/ ٣١٦)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٢) انظر: تفسير السعدي: (١/ ١١١)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

الذل بل هو القائل من كان يريد العزة فلله العزة جميعا بخلاف الملوك وغيرهم ممن يتولاه لذاته إذا لم يكن له ولي ينصره»[(١)].

وخلاصة القول في ولاية الله لعباده الصالحين، أنّ من كان تقيا كان لله وليا، فولاية الله لا تنال إلا بطاعته سبحانه.

١٧- المستعان: صفة لله ﷻ، قال تعالى في قصة يوسف عليه السلام على لسان يعقوب: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨]، والله أستعين على كفايتي شرّ ما تصفون من الكذب[(٢)].

وفي غيرها يقول تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥].

والاستعانة: هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك، والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما[(٣)].

وقد تمّ الحديث المفصل عن الاستعانة بأدلتها ومسائلها في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الباب.

١٨- المشيئة: صفة فعلية لله تعالى، دل عليها **الآيات رقم: (٥٦، ٧٦، ٩٩، ١٠٠) منها قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يوسف: ٩٩]، **وقوله:** ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: ١٠٠].

وممّا ورد أيضا في غير القصة قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ...﴾ [البقرة: ٢٥٥].

---

(١) منهاج السنة النبوية: (٧/ ١٩)، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم.

(٢) تفسير الطبري: (١٥/ ٥٨٤)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٣) تفسير السعدي: (١/ ٣٩)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

وقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

والمشيئة مشتقة من الفعل: شيئًا، وتعني: الإرادة، وشِئْتُ الشيءَ أَشاؤُه شَيْئًا ومَشِيئةً ومَشاءة ومَشايةً، والمَشِيئةُ مصدر شاءَ يَشاءُ مَشيئةً[١].

وكما ذُكر أنّ الْإِرَادَة هي المَشِيئَة، فكلُّ مَا كان بعد عدمه فَإِنَّمَا يكون بِمَشِيئَة اللَّه وقدرَته وهو سبحانه ما شَاءَ كان وما لم يَشَأْ لم يكنْ؛ فما شاء وَجَبَ كَوْنُه وَهو تحت مَشِيئَة الرَّبِّ وقدرته وما لم يَشَأْه امْتَنَع كَوْنُه مع قدرته عليه، كما قال تعالَى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا...﴾ [السجدة: ١٣][٢].

ولَا يكون في ملكه ما لَا يُريد وله في جميع خَلْقه حكمة بَالغَة وَهو يُبْغضُه وَيَكْرَهُه وَيَمْقُت فَاعلَه وَلَا يُحِبُّ الْفَسَاد وَلَا يَرْضَى لعباده الكفر وَلَا يُرِيده الْإِرَادَة الدِّينِيَّة الْمُتَضَمِّنَة لمَحَبَّته وَرِضَاه وَإِنْ أَرَادَه الإرادة الكَوْنِيَّة الَّتِي تَتَناول ما قَدَّرَه وقضاه[٣].

والمشيئة مرتبة من مراتب القدر سيتم الحديث عنها بعون الله ومشيئته في الباب الخامس بإذن الله.

وبالحديث عن مشيئته سبحانه تمّ الانتهاء من آخر صفة من صفات الله التي تضمنتها قصة يوسف عليه السلام.

ومما تجدر الإشارة إليه بعد معرفة أسماء الله وصفاته الواردة في القصة، بيان ثمرات الإيمان بأسماء الله تعالى.

ثمرات الإيمان بصفات الله:

للإيمان بصفات الله ثمرات كثيرة لا تحصى منها على سبيل المثال ما يلي:

---

(١) انظر: لسان العرب: (١/ ١٠٣)، لابن منظور، (حرف: أ، مادة: شيأ)، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (٦/ ٢٤٤، ٢٤٥)، ابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٣) مجموع الفتاوى: (٨/ ٨٢)، لابن تيمية، تحقيق: أنر الباز، عامر الجزار.

١- أنّ الله كما يحب أسماءه وصفاته، يحبّ آثارها وموجبها، فهو عليم يحبّ أهل العلم، عفو يحبّ العفو.

٢- كما أنّه له الحكم والإفراد بالألوهية فلا يُحكم إلا بما أنزل الله ولا يُتحاكم إلا لما أنزل الله.

٣- وإذا علم العبد بقوة الله وغلبته فإنه يكتسب قوته من الله فلا يعجز ولا يخنع للأعداء.

٤- وإذا علم العبد بحفظ الله له وأنّه الوكيل، فوض الأمور إليه، وتوكل عليه.

٥- وإذا علم العبد برحمة الله ومغفرته، استغفر وأناب ورجع دون يأس أو قنوط من رحمة الله[1].

٦- وإذا علم العبد بأنّ الله سميع قريب راقبه في حركاته وسكناته واتقاه، وكان أمينا على كل ما استُؤمن عليه، وكل من استرعاه الله عليهم.

٧- وإذا علم العبد بأنّ الله هو المستعان، استعان به، وتوكل عليه، وبذل جهده في تحقيق أهدافه، وأنّه لطيف به يسوق إليه الخيرات من حيث لم يحتسب.

٨- وإذا علم بأنّ الله يتولى بالنصر والتأييد من اتقاه، حرص على التزود بزاد التقوى لضمان صلاح الدنيا والآخرة.

إلى غيرها من الثمرات التي حرص أهل العلم على استخلاصها وبيانها.

وبهذا تمّ الباب الأول من هذه الرسالة وهو: (دلالة قصة يوسف عليه السلام على الإيمان بالله).

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].

(١) انظر: (١إلى ٥): صفات الله الواردة في الكتاب والسنة: (٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٨)، لعلوي السقاف.

الباب الثاني

دلالة قصة يوسف عليه السلام على الإيمان بالملائكة

ويشتمل على:

الفصل الأول: دلالة قصة يوسف عليه السلام على حسن صورة الملائكة.

الفصل الثاني: دلالة قصة يوسف عليه السلام على المفاضلة بين الملائكة والبشر.

الفصل الأول

دلالة قصة يوسف ﷺ على حسن صورة الملائكة

الملائكة عباد الله المقربين، ميزهم الله في خلقهم وفي عبادتهم وفي وظائفهم الموكلة إليهم، فهم من أعظم مخلوقات الله، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ــ ٢٧].

وهم عبيد مربوبون مدبّرون، ليس لهم من الأمر شيء، وإنما هم مكرمون عند الله، قد أكرمهم وصيّرهم من عبيد كرامته ورحمته، وذلك لما خصهم به من الفضائل والتطهير عن الرذائل، وهم في غاية الأدب مع الله، والامتثال لأوامره، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦][(١)].

التعريف بالملائكة لغة:

المَلَك واحد الملائكة إنما هو تخفيف المَلأَك واجتمعوا على حذف همزه وهو مَفْعَلٌ من الأَلُوكِ. والمَلَكُ أَصله مَأْلَكٌ بتقديم الهمزة من الأَلُوك وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل: مَلأَكٌ، ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل: مَلَكٌ فلما جمعوه رَدُّوها إِليه فقالوا مَلائكة ومَلائك أَيضًا[(٢)].

اصطلاحا:

الملك: جسم لطيف نوراني يتشكل بأشكال مختلفة[(٣)].

وممّا يدلّ عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((خلقت الملائكة من نور، وخلق الجانّ من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم))[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٥٢١)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) انظر: لسان العرب: (١٠/ ٤٩١)، لابن منظور، (حرف: ك، مادة: ملك)، دون ذكر المحقق.

(٣) التعريفات: (١/ ٢٩٦)، للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

(٤) صحيح مسلم: (٤/ ٢٢٩٤)، كتاب: الزهد، باب في أحاديث متفرقة، برقم: (٢٩٩٦)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

الأدلة من قصة يوسف عليه السلام على الإيمان بالملائكة وحسن صورهم:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: ٣١].

﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ أي معاذ الله، وعند الجمع بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]، يقال أن قولهن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تبرئة ليوسف عما رمته به امرأة العزيز من المراودة، أي بعد يوسف عن هذا، وقولهن: ﴿لِلَّهِ﴾ أي لخوفه، أي براءة لله من هذا، فقد نجا يوسف من ذلك، فليس هذا من الصورة في شي، والمعنى: أنه في التبرئة عن المعاصي كالملائكة، فعلى هذا لا تناقض. وقيل: المراد تنزيهه عن مشابهة البشر في الصورة، لفرط جماله. وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ تأكيد لهذا المعنى، فعلى هذا المعنى قالت النسوة ذلك ظنا منهن أن صورة الملك أحسن، وما بلغهن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾، فإنه من كتابنا، وأيضا أهل العرف قد يقولون في القبيح كأنّه شيطان، وفي الحسن كأنّه ملك، أي لم ير مثله، لأن الناس لا يرون الملائكة، فهو بناء على ظن في أن صورة الملك أحسن، أو على الإخبار بطهارة أخلاقه وبعده عن التهم(١).

وقد ورد الدليل على حسن صورة الملائكة، أيضا في قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾﴾ [النجم: ٦].

والمراد في الآية جبريل عليه السلام، وانقسم المفسرون في معنى المرة لقسمين: فمنهم من فسرها بحسن المنظر، والبعض بالقوة، ولا يمتنع الجمع بين المعنيين كما ذكر بعض المفسرين، فجبريل أمين الوحي القوي، ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ٢٠]، وقد ميزه الله بحسن الصورة والمنظر.

فعن ابن عباس رضي الله عنه، في قوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قال: ((ذو منظر حسن)).

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: (٩/ ١٨١، ١٨٢، ١٨٣)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: «ذو قوّة وشدة في خلقه».

وقيل: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: «قوة، وخلق حسن، وجمال ظاهر وباطن».

وقال مقاتل: ((ذو خلق طويل حسن))[(١)].

الإيمان بالملائكة:

لا شكّ أنّ الإيمان بهم واجب، دلّت عليه نصوص الوحيين، قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ...﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ذكر البيهقي في شعب الإيمان: «والإيمان بالملائكة ينتظم معاني، **أحدها:** التصديق بوجودهم. **والآخر:** إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله، وخلقه كالإنس، والجن مأمورون مكلفون لا يقدرون إلا على ما قدرهم الله تعالى عليه، والموت عليهم جائز، ولكن الله تعالى جعل لهم أمدا بعيدا، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى جده، ولا يدعون آلهة كما ادعتهم الأوائل. **والثالث:** الاعتراف بأن منهم رسل الله يرسلهم إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش، ومنهم الصافون، ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، وقد ورد القرآن بذلك كله»[(٢)].

وفي حديث جبريل الطويل عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، عندما سأل جبريل النبي ﷺ قائلا: ((فأخبرني عن الإيمان قال: أنْ تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال: صدقت))[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: (٢٢/ ٤٩٩)، تحقيق: أحمد شاكر، والبغوي: (٧/ ٤٠٠)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون، وتفسير السعدي: (١/ ٨١٨)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) شعب الإيمان: (١/ ٢٩٦)، للبيهقي، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد.

(٣) صحيح مسلم: (١/ ٣٦)، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام...إلخ، برقم: (١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

صفات الملائكة:

وذكر الصفات يتضمن قسمين هما:

الصفات الخِلقية، والخُلقية[١]:

أولا: الصفات الخِلقية:

وهي الصفات المتعلقة بهيئتهم التي خلقهم الله عليها، من خلال الوارد من أدلة الكتاب والسنة.

١- أنّهم أولي أجنحة، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: ١].

٢- قدرتهم على التمثل في صورة البشر، لقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: ١٧].

والمراد هنا جبريل عليه السلام، فتشبّه لها في صورة آدميّ سويّ الخلق، «معتدل الخلق»[٢].

ومما يدل على تمثل الملائكة في صورة البشر، حديث جبريل الطويل السابق الذكر حيث أتى النبي ﷺ في صورة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر...إلخ من الصفات المذكورة في الحديث[٣].

وأيضا قوله تعالى عن ضيوف إبراهيم عليه السلام من الملائكة: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الذاريات: ٢٥].

وهم: الملائكة، الذين أرسلهم الله، لإهلاك قوم لوط، وأمرهم بالمرور على إبراهيم، فجاؤوه في صورة أضياف[٤].

---

(١) الإيمان بالملائكة وبيان صفاتهم (٦، وما بعدها، أستفيد منه كرؤوس أقلام للصفات)، جمع وإعداد: علي الشحود.

(٢) انظر: تفسير الطبري: (١٨/ ١٦٣)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٣) صحيح مسلم: (١/ ٣٦)، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام...إلخ، برقم: (١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٤) تفسير السعدي: (١/ ٨٠٩)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

٣- أنّهم لا يعجزون عن العبادة ولا يفترون، قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩ــ ٢٠].

٤- إمداد الله لهم بالقوة، وتعدد أعمالهم: من تبليغ الوحي للرسل، وقد اختص الله جبريل[١] عليه السلام بذلك، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الشورى: ٧]، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣ــ ١٩٤]، وإحصاء الأعمال على العباد، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، والمقاتلة مع المؤمنين في المعارك كما حدث في عهده ﷺ، قال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [آل عمران: ١٢٤]، وحضور مجالس الذكر، والاستغفار للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الشورى: ٥]، ومنهم خزنة جهنم الموكلين بتعذيب الكافرين، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ...﴾ [الزُّمَر: ٧١]، وخازن النار اسمه مالك: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزُّخرُف: ٧٧]، وحفظ العباد، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ...﴾ [الرعد: ١١]، عن ابن عباس رضي الله عنه: ((يحفظونه من أمر الله)) قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدره خلوا عنه[٢].

---

(١) انظر: شرح ثلاثة الأصول: (٩٢)، لابن عثيمين، (أستفيد منه فيما يتعلق ببعض أسماء الملائكة: جبريل، مالك، إسرافيل: ملك الموت، ميكائيل: الموكل بالقطر)، إعداد: فهد السليمان.

(٢) تفسير الطبري: (١٦/ ٣٧١)، تحقيق: أحمد شاكر.

ومنهم الموكلون بقبض الأرواح، والنفخ في الصور واسم الملك المختص بذلك إسرافيل، والملك الموكل بالقطر وهو ميكائيل، وغيرها من الأعمال التي وردت الأدلة عليها.

٥- تأذيهم مما يتأذى منه ابن آدم، عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكراث فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها فقال: ((من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تأذى مما يتأذى منه الإنس))(١).

٦- أنّ الملائكة لا يأكلون، وورد ذلك في قصة أضياف إبراهيم عليه السلام من الملائكة، قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات: ٢٦- ٢٧].

٧- نفي الله للأنوثة عنهم، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزُّخرُف: ١٩].

٨- قابليتهم للموت والفناء، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: ٨٨].

٩- كثرة عددهم، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ [المدَّثر: ٣١].

١٠- أنّهم مخلوقون من نور كما ذُكر آنفا.

١١- عظم خلقهم، عَنْ جَابِرِ بْنِ عبد اللَّه رضي الله عنه عن النَّبِي ﷺ قَالَ ((أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ: إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِه إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعمائَةِ عَامٍ))(٢).

---

(١) صحيح مسلم: (١/ ٣٩٤)، كتاب: المساجد، باب: نهي من أكل ثوما أو بصلا...إلخ، برقم: (٥٦٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) سنن أبي داود: (٤/ ٣٧٠)، كتاب: السنة، باب في الجهمية، برقم: (٤٧٢٩)، صححه الألباني.

الصفات الخُلقية:

١- أدبهم مع الله ﷻ، قال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٧].

٢- امتثالهم لأمر الله دون استكبار، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦]، وقوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنبياء: ١٩].

٣- الكرم، ٤- البر، لقوله تعالى: ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٦].

٥- الحياء، لحديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعا في بيتي كاشفا عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال...إلى أن قالت: ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال: ((ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة))[١].

٦- التعفف عن أماكن المعاصي، عن أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري ﷺ: عن النبي ﷺ قال: ((لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة))[٢].

ومما ورد عن عمر بن عبد العزيز أنّه كتب إلى منصور بن غالب حين بعثه على قتال أهل الحرب كتابا وفيه: ((واعلموا أن معكم من الله حفظة عليكم يعلمون ما تفعلون في مسيركم ومنزلكم فاستحيوا منهم وأحسنوا صحابتهم ولا تؤذوهم بمعاصي الله...))[٣].

كانت هذه أبرز الصفات الخلقية، والخلقية التي اتصف بها الملائكة الأبرار، والذين يجب على كل عبد الإيمان بوجودهم وإثبات ما أثبته الله لهم من صفات، وما أوكله الله إليهم من

---

(١) صحيح مسلم: (٤/ ١٨٦٦)، كتاب: الفضائل، باب: فضائل عثمان بن عفان ﷺ، برقم: (٢٤٠١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) صحيح مسلم: (٣/ ١٦٦٥)، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان...إلخ، برقم: (٢١٠٦)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) انظر: الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة: (١/ ٣٦٤)، تأليف: حياة محمد جبريل.

أعمال، ويستشعر مراقبتهم له وإحصائهم عليه أعماله، ويتخلق بأخلاقهم الطاهرة من امتثال أمر الله، وعدم الاستكبار عنها، والتعفف عن مواطن المعاصي والبعد عنها، ويقتدي بهم في حيائهم وأدبهم.

الفصل الثاني

دلالة قصة يوسف عليه السلام على المفاضلة بين الملائكة والبشر

إن الحديث في مسألة التفاضل بين الملائكة والبشر طويل ومتشعب، تم بيانه بإيجاز في هذا الفصل من باب دلالة قصة يوسف على الإيمان بالملائكة.

والكلام في هذه المسألة إمّا أن يكون في التفضيل بين الجنس: الملك والبشر؛ أو بين صالحي الملك والبشر. أما الأول وهو أن يقال: أيهما أفضل: الملائكة أو البشر؟ فهذه كلمة تحتمل أربعة أنواع هي كالآتي:

أنواع المفاضلة بين الملائكة والبشر في الجنس تحديدا:

النوع الأول: متعلق بهذا التساؤل: هل كل واحد من آحاد الناس أفضل من كل واحد من آحاد الملائكة؟ فهذا لا يقوله عاقل فإن في الناس: الكفار والفجار والجاهلين والمستكبرين والمؤمنين وفيهم من هو مثل البهائم والأنعام السائمة بل الأنعام أحسن حالا من هؤلاء كما نطق بذلك القرآن في مواضع مثل قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: ٢٢].

والمراد بالدوابّ: جمع دابة وهو كل ما دبّ في سماء وأرض من إنس وجنّ وملك وبهيمة.

وفضل البهائم عليهم من وجوه:

أحدها: أنّ البهيمة لا سبيل لها إلى كمال وصلاح والإنسان له سبيل لذلك فإذا لم يبلغ الذي خلق له بان نقصه وخسرانه.

ثانيها: أنّ البهائم لها أهواء وشهوات: بحسب إحساسها وشعورها و لم تؤت تمييزا وفرقانا بين ما ينفعها ويضرها والإنسان قد أوتي ذلك، والملائكة لهم عقول بلا شهوات، فمن غلب عقله شهوته فهو أفضل من الملائكة أو مثل الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه[1].

ثالثها: أنّ هؤلاء لهم العقاب والنكال والخزي على ما يأتونه من الأعمال الخبيثة فهذا يقتل وهذا يعاقب وهذا يقطع وهذا يعذب ويحبس هذا في العقوبات المشروعة.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (٤/ ٣٥٠إلى٣٥٢)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

وأما العقوبات المقدرة فقوم أغرقوا وقوم أهلكوا بأنواع العذاب وقوم ابتلوا بالملوك الجائرة: تحريقا وتغريقا وتمثيلا وخنقا وعمى، والبهائم في أمان من ذلك.

رابعها: أنّ لفسقة الجن والإنس في الآخرة من الأهوال والنار والعذاب والأغلال وغير ذلك مما أمنت منه البهائم ما بين فضل البهائم على هؤلاء إذا أضيف إلى حال هؤلاء.

خامسها: أنّ البهائم جميعها مؤمنة بالله ورسوله ﷺ مسبحة بحمده قانتة له: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ...﴾ [الإسراء: ٤٤].

النوع الثاني: وفيه يقول ابن تيمية: «أنّه يقال: مجموع الناس أفضل من مجموع الملائكة من غير توزيع الأفراد.

وهذا على القول بتفضيل صالحي البشر على الملائكة فيه نظر؛ لا علم لي بحقيقته».

النوع الثالث: عند مقابلة الفاضل بالفاضل والذي يلي الفاضل بمن يليه من الجنس الآخر فأي القبيلين أفضل؟ فهذا مع القول بتفضيل صالحي البشر يقال: لا شك أنّ المفضولين من الملائكة أفضل من كثير من البشر وفاضل البشر أفضل من فاضليهم لكن التفاوت الذي بين (فاضل الطائفتين) أكثر والتفاوت بين (مفضولهم) هذا غير معلوم والله أعلم بخلقه»[١].

وهنا يمكن إيراد هاتين المسألتين.

المسألة الأولى: التفضيل بين خواص الملائكة، وأولياء البشر:

وأولياء البشر، هم من عدا الأنبياء فلا خلاف في تفضيل خواص الملائكة عليهم، وقد نُقل الإجماع على ذلك[٢].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (٤/ ٣٥٢، ٣٥٣)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٢) انظر: الحبائك في أخبار الملائك: (١/ ٢٠٣، ٢٠٤)، للسيوطي، تحقيق: محمد سعيد زغلول.

المسألة الثانية: التفضيل بين أولياء البشر، وغير الخواص من الملائكة:

وفي هذه المسألة قولان:

الأول: تفضيل جميع الملائكة على أولياء البشر:

وهو قول أكثر العلماء.

الثاني: تفضيل أولياء البشر على أولياء الملائكة:

وجزم به الصفار (ت: ٣٢٦هـ)[١] من الحنفية في أسئلته، والنسفي (٥٣٧هـ)[٢] في عقائده، وذكر البلقيني (٨٠٥هـ)[٣] أنّه المختار عند الحنفية، ومال إلى بعضه وهو أنه قد يوجد من أولياء البشر من هو أفضل من غير الخواص من الملائكة[٤].

حجج القائلين بتفضيل الأنبياء على الملائكة:

الحجة الأولى: أنّ آدم عليه السلام كان مسجود الملائكة، والمسجود أفضل من الساجد[٥].

الحجة الثانية: أنّ آدم عليه السلام كان أعلم من الملائكة، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٣١ـ ٣٢]، والأعلم أفضل، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

الحجة الثالثة: أنّ طاعة البشر أشقّ والأشقّ أفضل.

وأوجه دلالة المشقّة في الطاعة عند البشر:

---

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: (١/ ٧٨)، لأبي الوفاء القرشي، دون ذكر المحقق.

(٢) لسان الميزان: (٦/ ١٣٩)، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

(٣) الأعلام: (٥/ ٤٦)، للزركلي، دون ذكر المحقق.

(٤) انظر: الحبائك: (١/ ٢٠٤)، للسيوطي، تحقيق: محمد سعيد زغلول.

(٥) انظر: السابق: (١/ ٢٠٧)، للسيوطي، تحقيق: محمد سعيد زغلول.

الأول: ما يعتري الطاعات من موانع كالشهوة، والحرص، والغضب، والهوى، وهذه الصفات موجودة في البشر ومفقودة في الملائكة، والفعل مع المانع أشق منه مع غير المانع.

الثاني: أنّ تكاليف الملائكة مبنية على النصوص قال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، وتكاليف الشريعة بعضها مبنية على النصوص وبعضها على الاستنباط، قال تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ٢]، وقال: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، والتمسك بالاجتهاد والاستنباط في معرفة الشيء أشق من التمسك بالنص.

الثالث: أنّ الإنسان مبتلى بوسوسة الشيطان، وهذه الآفة غير حاصلة للملائكة.

الرابع: أنّ شبهات البشر أكثر، ومن جملة الشبهات القوية ربط الحوادث الأرضية بالاتصالات الفلكية، والمناسبات الكوكبية، والملائكة ليس لهم هذا النوع من الشبهة، لأنّ سكان السموات مشاهدون لأحوالها فيعلمون بالضرورة أنها ليست بأحياء ولا ناطقة، بل هي مفتقرة إلى التدبير كافتقار الأرضيات، فثبت بهذه الوجوه أنّ الطاعات للبشر أشقّ(١).

الحجة الرابعة: قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣]، والعالم عبارة عن كل ما سوى الله، والآل: يراد به الرجل نفسه فيبقى معمولا في حق الأنبياء.

الحجة الخامسة: الملائكة لهم عقول بلا شهوة، والبهائم لهم شهوة بلا عقل، والآدمي له عقل وشهوة، ثم إنّ الآدمي إنْ رجّح شهوته على عقله كان أخسّ من البهيمة قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) انظر: الحبائك: (١/ ٢٠٨، ٢٠٩)، للسيوطي، تحقيق: محمد سعيد زغلول.

كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فعلى هذا القياس لو رجح عقله على شهوته، وجب أن يكون أفضل من الملك[١].

هذا إيجاز لحجج من فضل الأنبياء على الملائكة.

أوجه تفضيل أرواح الأنبياء على أرواح الملائكة:

لا ريب أنّ أجساد الملائكة أشرف وأفضل من أجساد البشر المركبة من الأخلاط، وإن فوضل بين أرواح البشر وأرواح الملائكة مع قطع النظر عن الأجساد التي هي مساكن الأرواح. فأرواح الأنبياء أفضل من أرواح الملائكة وبيان ذلك من وجوه:

الوجه الأول: الإرسال ورسل الملائكة قليل؛ ولأن رسول الملائكة يأتي إلى نبي واحد ورسول البشر يأتي إلى الأمم وإلى أمة واحدة فيهديهم الله على يديه فيكون له أجر بتبليغه ومثل أجر من اهتدى على يديه وليس مثل هذا للملائكة.

الوجه الثاني: القيام بالجهاد في سبيل الله.

الوجه الثالث: الصبر على مصائب الدنيا ومحنها والله يحب الصابرين.

الوجه الرابع: الرضا بحلو القضاء ومره[٢].

الوجه الخامس: نفع العباد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودفع المكاره وجلب المنافع، وليس للملائكة شيء من هذا.

الوجه السادس: ما أعده الله لعباده في الآخرة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، و لم ينسب للملائكة شيء من هذا.

---

(١) انظر: الحبائك: (١/ ٢٠٩، ٢١٠)، للسيوطي، تحقيق: محمد سعيد زغلول.

(٢) انظر: الحبائك: (١/ ٢٢٨)، للسيوطي، تحقيق: محمد سعيد زغلول.

الوجه السابع: ما أعد الله لهم في الآخرة من النعيم الروحاني كالأنس والرضا والنظر إلى وجهه الكريم[١].

تفضيل الملائكة على الأنبياء:

وقد ذكر القائلون بتفضيل الملائكة على الأنبياء اثنتين وعشرين حجة لإثبات ذلك أوردها السيوطي في كتابه الحبائك في ستة عشر صفحة ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١- عبادات الملائكة أشقّ فتكون أفضل قلنا: وذلك من وجوه، الأول: أنّهم آمنون من الآفات التي يكون البشر خائفين عليها مثل الغرق والحرق والقتل والمرض والحاجة والشقاوة والكفر والمعصية، **الثاني**: أنّ السموات التي هي مساكنهم وأماكنهم كالجنان والبساتين الطيبة بالنسبة إلى الأرض وكل من كان بنعمة أكثر وخوفه أقل كان تمرده أشد، ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥]، ثم إنّ الملائكة مع كثرة أسباب النعم والتمرد منذ خلقوا بقوا مشتغلين بالعبادة.

٢- أنّ عبادات الملائكة أدوم فوجب أن تكون أفضل، ويدل على دوامها قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠][٢].

٣- قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠]، ومخلوقات الله تعالى: المكلفون وما عداهم، ولا شك أن المكلفين أفضل من غيرهم، وأما المكلفون فهم أربعة أنواع: الملائكة والجن والإنس والشياطين؛ ولا شك أن الإنس أفضل من الجن والشياطين، فلو كانوا أيضا أفضل من الملائكة لزم أن يكونوا أفضل من جميع المخلوقات فكان ينبغي أن يقول: وفضلناهم على من خلقنا، وعلى هذا التقدير يصير لفظ كثير ضائعا، وذلك غير جائر، فعلمنا أنه ليس أفضل من الملك.

(١) انظر: الحبائك: (١/ ٢٢٨)، للسيوطي، تحقيق: محمد سعيد زغلول.

(٢) انظر: الحبائك: (١/ ٢١٣، ٢١٤)، للسيوطي، تحقيق: محمد سعيد زغلول.

وأردف السيوطي، (ت: ٩١١هـ)[١]: بعد هذا البيان قائلا: «هذه الحجج التي احتج بها من فضل الملائكة لا نقول بمقتضاها في تفضيلهم على الأنبياء لأدلة أخرى قامت على تفضيل الأنبياء عليهم، لكنها تنفع في تفضيل الملائكة على غير الأنبياء من البشر».

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام، (ت: ٦٦٠هـ)[٢]: «...والفضل منحصر في أوصاف الكمال والكمال إما بالمعارف والطاعات والأحوال وإما بالأفراح واللذات، فإذا أحسن إلى أجساد الأنبياء بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأحسن إلى أرواحهم بالمعارف الكاملة والأحوال المتوالية وأذاقهم لذة النظر إليه وسرور رضاه عنهم وكرامة تسليمه عليهم فأين للملك مثل هذا؟ ...»[٣].

وبقي من أنواع التفضيل بين الملائكة والبشر تحديدا بعد ذكر الأنواع الثلاثة، هذا النوع الأخير وهو.

النوع الرابع: ويتعلق بحقيقة الملك والطبيعة الملكية هل هي أفضل أم حقيقة البشر والطبيعة البشرية؟ وكما يعلم أن حقيقة الحي إذ هو حي أفضل من الميت وحقيقة القوة والعلم من حيث

---

(١) جلال الدين السيوطي: أبو الفضل عبد الرحمن الخضيري الأسيوطي الشافعي، ولد عام: ٨٤٩هـ، ، من أكابر المحدثين والفقهاء في تاريخ مصر، كتب في الفقه والتفسير والحديث واللغة والتاريخ والأدب، أخذ من شهاب الدين الشارمساحي، وعلم الدين البلقيني، وشرف الدين المناوي، وكان في سرعة الكتابة والتأليف آية كبرى، من مصنفاته: الإتقان في علوم القرآن، الجامع في الفرائض، طبقات الحفاظ، الديباج على صحيح مسلم، عقود الجمان في المعاني والبيان، شرح ألفية ابن مالك، ت: ٩١١هـ، انظر: (الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: (١/ ٢٢٧، ٢٢٨، وما بعدها)، لنجم الدين الغزي، تحقيق: خليل منصور، ومؤرخو مصر الإسلامية: (١٤٢، ١٤٣، ١٤٦)، لمحمد عبد الله عنان.

(٢) عز الدين بن عبد السلام: اسمه: عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، لقبه تلميذه ابن دقيق العيد بعز الدين سلطان العلماء، إمام عصره، ولد سنة: سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة، تفقه على ابن عساكر، والآمدي، وحنبل الرصافي،من تصانيفه: القواعد الكبرى، مجاز القرآن، مختصر صحيح مسلم، الفرق بين الإيمان والإسلام، ت: ٦٦٠هـ، انظر: طبقات الشافعية الكبرى: (٢٧/ ٢٠٩، ٢١٤، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨)، للسبكي، والأعلام للزركلي: (٤/ ٢٢٨)، دون ذكر المحقق.

(٣) انظر: الحبائك: (١/ ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٧)، للسيوطي، تحقيق: محمد سعيد زغلول.

هي كذلك أفضل من حقيقة الضعف والجهل، وكان في نوع المفضول ما هو خير من كثير من أعيان النوع الفاضل: كالحمار والفأرة والفرس الزمن والمرأة الصالحة مع الرجل الفاجر والقوي الفاجر مع الضعيف الزمن(١).

وقد رجّح ابن تيمية- والله أعلم بالصواب - أنّ حقيقة الملك أكمل وأرفع وحقيقة الإنسان أسهل وأجمع. وتفسير ذلك: أنه إذا اعتبرنا الحقيقتين وصفاتهما النفسية والتبعية: اللازمة الغالبة الحياة والعلم والقدرة: في اللذات والشهوات وجدنا أن خلق الملك أعظم صورة ومحله أرفع وحياته أشد وعلمه أكثر وقواه أشد وطهارته ونزاهته أتم ونيل مطالبه أيسر وأتم وهو عن المنافي والمضاد أبعد لكن تجد هذه الصفات للإنسان - بحسب حقيقته - منها أوفر حظا ونصيبا من الحياة والخلق والعلم والقدرة والطهارة وغير ذلك(٢).

وله أشياء ليست للملك من إدراكه دقيق الأشياء: حسا وعقلا وتمتعه بما يدركه ببدنه وقلبه وهو يأكل ويشرب وينكح ويتمنى ويتغذى ويتفكر إلى غير ذلك من الأحوال التي لا يشاركه فيها الملك، لكنّ حظ الملك من القدر المشترك الذي بينهما أكثر وما اشتركا فيه من الأمور أفضل بكثير مما اختص به الإنسان(٣).

أقوال بعض الفرق في المسألة:

تعددت الأقوال في المسألة ومحل الخلاف في غير نبينا ﷺ، أما هو فأفضل الخلق بلا خلاف، لا يفضل عليه ملك مقرب ولا غيره(٤).

وهذه الأقوال كالآتي:

١-ذكر جماعة من المنتسبين إلى السنة: أن الأنبياء وصالح البشر أفضل من الملائكة.

٢-أما المعتزلة فقد ذهبت إلى تفضيل الملائكة على البشر.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (٤/ ٣٥٣)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (٤/ ٣٥٤)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: (٤/ ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٤) انظر: الحبائك في أخبار الملائك: (١/ ٢٠٣)، للسيوطي، تحقيق: محمد سعيد زغلول.

وأتباع الأشعري على قولين:

منهم من يفضل الأنبياء والأولياء، ومنهم من يقف ولا يقطع فيهما بشيء.

وحكي عن بعض متأخريهم أنه مال إلى قول المعتزلة وربما حكي ذلك عن بعض من يدعي السنة ويواليها.

٣- بعض من تكلم في أعمال القلوب فضل الملائكة المدبرون للسموات والأرض وما بينهما والموكلون ببني آدم، على الملائكة.

٤- والبعض فضّل الكروبيين: (الذين هم حول العرش وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش).

فلا أحد أفضل منهم وربما خص بعضهم نبينا ﷺ. واستثناؤه من عموم البشر إما تفضيلا على جميع أعيان الملائكة أو على المدبرين منهم أمر العالم[1].

ومما أثر عن عمر بن عبد العزيز فيما ذكره أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص أنّه حضر مجلسا لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة فقال عمر: ((ما أحد أكرم على الله من كريم بني آدم))، واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧﴾ [البيّنة: ٧]، ووافقه على ذلك أمية بن عمرو بن سعيد، فقال عراك بن مالك: ((ما أحد أكرم على الله من ملائكته هم خدمة داريه ورسله إلى أنبيائه)).

واستدل بقوله تعالى: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠﴾ [الأعراف: ٢٠]، فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي ما تقول أنت يا أبا حمزة؟ فقال: (قد أكرم الله آدم فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة وجعل من ذريته الأنبياء والرسل ومن يزوره الملائكة)، فوافق عمر بن عبد العزيز في الحكم واستدل بغير دليله.

ويلاحظ ضعف دلالة ما صرح به من الآية وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾، حيث تتضمن عدم اختصاصها بالبشر فحسب، فإنّ الله قد وصف الملائكة

(١) انظر: البداية والنهاية: (١/ ٥٢، ٥٨)، لابن كثير، تحقيق: علي شيري، وانظر: مجموع الفتاوى: (٤/ ٣٥٧).

بالإيمان في قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ...﴾ [غافر: ٧]، وكذلك الجانّ: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ...﴾ [الجن: ١٣]، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ [الجن: ١٤](١).

خلاصة ما ذهب إليه السلف في مسألة المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر:

وحصيلة ما انتهى إليه السلف الأولون وكانوا يتناقلون بينهم: أنّ صالحي البشر أفضل من الملائكة من غير نكير منهم لذلك ولم يخالف أحد منهم في ذلك إنما ظهر الخلاف بعد تشتت الأهواء بأهلها وتفرق الآراء فقد كان ذلك كالمستقر عندهم(٢).

وقد وردت أحاديث في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، لكن ضعف العلماء بعضها، وتوقف على صحة إسنادها، والبعض استدل ببعضها ولا يدل صراحة على مسألة المفاضلة، لذا لم تتم الإشارة إليها(٣).

وبهذا تمّ بحمد الله الحديث عن الباب الثاني من هذه الرسالة وهو: (دلالة قصة يوسف عليه السلام على الإيمان بالملائكة).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (٤/ من٣٦٩إلى ٣٧١)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (٤/ من٣٦٩إلى ٣٧١)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٣) راجع الأحاديث والحكم عليها وبيان أوجه الاستدلال بها: مجموع الفتاوى: (٤/ ٣٦٨، ٣٧٠)، وشرح الطحاوية: (٢/ ٧٠٤، ٧٠٨)، لابن أبي العز الحنفي، ترتيب وتعليق: خالد فوزي.

الباب الثالث

دلالة قصة يوسف عليه السلام على الإيمان بالرسل

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: دلالة قصة يوسف عليه السلام على الوحي.

الفصل الثاني: دلالة قصة يوسف عليه السلام على صفات الأنبياء عليهم السلام وأحوالهم. وفيه أحد عشر مبحثا:

المبحث الأول: الاصطفاء والاجتباء.

المبحث الثاني: العصمة.

المبحث الثالث: حكم الصدقة على الأنبياء.

المبحث الرابع: العفو.

المبحث الخامس: كمال الخلقة.

المبحث السادس: الإحسان.

المبحث السابع: العلم.

المبحث الثامن: الصدق.

المبحث التاسع: القوة.

المبحث العاشر: الأمانة.

المبحث الحادي عشر: الكرم.

الفصل الثالث: دلالة قصة يوسف عليه السلام على نبوة بعض الأنبياء. وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثاني: إسحاق عليه السلام.

المبحث الثالث: يعقوب عليه السلام.

المبحث الرابع: يوسف عليه السلام.

المبحث الخامس: الأسباط عليهم السلام.

المبحث السادس: محمد صلى الله عليه وسلم.

الفصل الأول

دلالة قصة يوسف عليه السلام على الوحي

لقد أرسل الله سبحانه أنبيائه ورسله رحمة للبشرية، يدلون على الخير والفضيلة وكريم وطيب الأخلاق، ويخرجون الناس من ظلمات الجهل والضلال ورق العبودية لغير الله إلى عبادة الله وحده لا شريك له، أتوا مبشرين برحمة الله جنة النعيم، ومحذرين من عقاب الله نار الجحيم.

هم حجة الله على خلقه، لم يتركوا خيرا إلا دعوا إليه، ولا شرا إلا حذروا منه، اختارهم الله واصطفاهم فكانوا خيرة الخلق، وأكرمهم على الله.

ومما يحسن البدء به في هذا الباب المتعلق بالإيمان بالرسل، بيان الفرق بين النبي والرسول.

فقد ذكر هذين اللفظين في القرآن، وقد ذكر العلماء لكل منهما فرقا عن الآخر، وتعددت الأقوال في ذلك، والبعض جمع بين هذه الأقوال.

الفرق بين النبي والرسول:

أولا: أنّ الرسالة أعمّ من جهة نفسها، إذ النبوة جزء من الرسالة، والرسالة تتناول النبوة وغيرها.

فالرسل لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، على العكس من الأنبياء.

ثانيا: أنّ الرسول من أرسل بشرع جديد، والنبي من بعث بشريعة سابقة.

ثالثا: أنّ الرسول من الإرسال، حيث يرسل لقوم سواء بشرع جديد أو بشريعة سابقة(١).

والرسول يُسمّى رسولاً على الإطلاق؛ لأنّه يُرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة؛ فإنّ يوسف عليه السلام كان رسولاً، وكان على ملة إبراهيم عليه السلام، وداود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة.

رابعا: أنّ الرسول كل من أرسل للمخالفين بشريعة جديدة ليبلغهم أمر الله.

---

(١) انظر: النبوات: (٢٢/ ٦٦، ٦٧)، لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، شرح الطحاوية: (٢/ ٧٧٨، ٧٧٩)، لابن أبي العز الحنفي، تعليق: خالد فوزي.

خامسا: أنّ كل من نبأه الله بخبر السماء فهو نبي، فإنْ أُرسل برسالة مخصوصة فهو رسول، وكذلك أنبياء بني إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة، وقد يوحى إلى أحدهم وحي خاص في قضية معينة، ولكن كانوا في شرع التوراة كالعالم الذي يفهمه الله في قضية ما معنى يُطابق القرآن، فالأنبياء يُنبئهم الله؛ فيخبرهم بأمره، ونهيه، وخبره، وهم ينبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله من الخبر، والأمر، والنهي[1]، والذي يظهر-والله أعلم- أنّ القول الرابع هو الراجح في التّفريق بين النبيّ والرسول.

التعريف بالوحي:

أصل الكلمة مشتق من الفعل (وحى) والوَحْيُ الإِشارة والكتابة والرِّسالة والإِلْهام والكلام الخَفِيُّ وكلُّ ما أَلقيته إِلى غيرك يقال وحَيْتُ إِليه الكلامَ وأَوْحَيْتُ ووَحَى وَحْيًا وأَوْحَى أَيضًا أَي كتب.

والوَحْيُ ما يُوحِيه اللهُ إِلى أَنْبيائه، قال ابن الأَنباري: «...سمي وَحْيًا لأَنَّ الملك أَسَرَّه على الخلق وخَصَّ به النبيِّ ﷺ المبعوثَ إِليه...».

هذا أَصل الحرف ثم قُصِرَ الوَحْيُ للإِلهامِ ويكون للأَمر ويكون للإِشارة[2].

إطلاقات لفظ الوحي:

ورد لفظ الوحي في القرآن وأريد به معان عدة.

١- **قوله:** ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

ألقى إلي بمجيء جبريل عليه السلام به إليّ من عند الله عز وجل.

٢- **قال تعالى:** ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص: ٧].

---

(١) انظر: النبوات: (٢٢/ ٦٦، ٦٧)، لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، شرح الطحاوية: (٢/ ٧٧٨، ٧٧٩)، لابن أبي العز الحنفي، تعليق: خالد فوزي.

(٢) انظر: لسان العرب: (١٥/ ٣٧٩)، لابن منظور، (مادة: وحى، حرف: و، ي)، والتوقيف على مهمات التعريف: (١/ ٧٢٢)، للمناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾: قذفنا في قلبها.

وقيل: ألهمت في سرها، وألقي في خلدها، ونفث في روعها(١).

وعن قَتادة: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ وحيًا جاءها من الله، فقذف في قلبها، وليس بوحي نبوة، أنْ أرضعي موسى.

٣- **قال تعالى:** ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [النحل: ٦٨].

قوله تعالى ذكره: وألهم ربك النحل إيحاء إليها ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ﴾، الآية.

وعن مجاهد ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾قال: ألهمها إلهاما.

وعن ابن عباس ﷺ قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ...﴾ الآية، قال: أمرها أن تأكل من الثمرات، وأمرها أن تتبع سبل ربها ذللا.

٤- **وكما قال:** ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ...﴾[المائدة: ١١١].

بمعنى: ألقيت إليهم علمَ ذلك إلهامًا، وكما قيل: أَوْحَى لَهَا القَرَارَ فاسْتَقَرَّتِ.

وكما قال جل ثناؤه: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾[مريم: ١١].

بمعنى: فألقى ذلك إليهم إيماء.

ويكون بكتاب.

٥- **ومن ذلك قوله:** ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ...﴾[الأنعام: ١٢١].

يلقون إليهم ذلك وسوسةً(٢).

---

(١) انظر: تفسير الطبري: (٦/ ٤٠٥، ٤٠٦، ١٧/ ٢٤٧، ١٩/ ٥١٩)، تحقيق: أحمد شاكر، وتفسير ابن كثير: (٦/ ٢٢٢)، تحقيق: سامي سلامة.

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٦/ ٤٠٥، ٤٠٦، ١٧/ ٢٤٧، ١٩/ ٥١٩)، تحقيق: أحمد شاكر، وتفسير ابن كثير: (٦/ ٢٢٢)، تحقيق: سامي سلامة.

أنواع الوحي:

قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١].

لقد جمعت هذه الآية أنواع الوحي، وبيانها كالآتي:

١- إما أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ وَحْيًا بأنْ يلقي الوحي في قلب الرسول، من غير إرسال ملك، ولا مخاطبة منه شفاها، يوحي إليه في المنام أو بالإلهام.

٢- أو يكلمه منه شفاها، لكن ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾، كما حصل لموسى بن عمران، كليم الرحمن.

٣- أو يكلمه الله بواسطة الرسول الملكي، فــيُرْسِلَ رَسُولا كجبريل أو غيره من الملائكة[1].

وقد تضمنت السنة المطهرة بيانا من النبي ﷺ لما يتعلق بكيفية تلقيه الوحي، منها:

١- عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ ﷺ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ[2]، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ)) قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ((وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا))[3].

٢- وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أيضا أَنَّهَا قَالَتْ: ((أَوَّلُ مَا بُدِئَ به رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ

---

(١) تفسير البغوي: (٧/ ٢٠٠، ٢٠١)، تحقيق: محمد النمر وآخرون، وتفسير السعدي: (١/ ٧٦٢)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) صلصلة الجرس: الصلصلة بمهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ثم أطلق على كل صوت له طنين وقيل: هو صوت متدارك لا يدرك في أول وهلة، **والجرس**: الجلجل الذي يعلق في رؤوس الدواب واشتقاقه من الجرس بإسكان الراء وهو الحس وقيل: الجرس ناقوس صغير أو سطل في داخله قطعة نحاس يعلق منكوسا على البعير فإذا تحرك تحركت النحاسة فأصابت السطل فحصلت الصلصلة، انظر: فتح الباري: (١/ ٢٠)، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب.

(٣) صحيح البخاري: (١/ ٢)، كتاب الوحي، برقم: (٢)، دون ذكر المحقق.

الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: (مَا أَنَا بِقَارِئٍ))، قَالَ: (فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي...)))[1] الحديث.

الأدلة على الوحي من قصة يوسف ﷺ:

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ٣﴾ [يوسف: ٣].

﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا﴾ أي: بسبب إيحائنا إليك هذا القرآن، وبما اشتمل عليه هذا القرآن الذي أوحيناه إليك، وفضلناك به على سائر الأنبياء، وذاك محض منَّة من الله وإحسان، فنخبرك فيه عن الأخبار الماضية، وأنباء الأمم السالفة والكتب التي أنزلناها في العصور الخالية.

﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ أي: ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، لا تعلمه ولا شيئا منه قبل أن يوحي الله إليك، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا[2].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾.

باعتبار الرؤيا الصالحة نوعا من أنواع الوحي كما تقدم.

وبهذا تمّ الحديث عن دلالة قصة يوسف ﷺ على الوحي، وتمّ بيان معناه وإطلاقاته، وأنواعه، والأدلة عليه من السنة المطهرة.

---

(١) صحيح البخاري: (١/ ٣)، كتاب بدء الوحي، برقم: (٣)، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: تفسير الطبري: (١٥/ ٥٥١)، تحقيق: أحمد شاكر، وتفسير ابن كثير: (٤/ ٣٦٦)، تحقيق: سامي سلامة، وتفسير السعدي: (١/ ٣٩٣)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

الفصل الثاني

دلالة قصة يوسف عليه السلام على صفات الأنبياء عليهم السلام وأحوالهم

وفيه أحد عشر مبحثا:

المبحث الأول: الاصطفاء والاجتباء.

المبحث الثاني: العصمة.

المبحث الثالث: حكم الصدقة على الأنبياء.

المبحث الرابع: العفو.

المبحث الخامس: كمال الخلقة.

المبحث السادس: الإحسان.

المبحث السابع: العلم.

المبحث الثامن: الصدق.

المبحث التاسع: القوة.

المبحث العاشر: الأمانة.

المبحث الحادي عشر: الكرم.

لقد مضت سنة الله أنْ يرسل رسله وأنبيائه من البشر من جنس المبعوثين إليهم، واصطفاهم واختارهم من خيرتهم، وحلاهم بكريم الخصال والخلال التي تقرب الناس منهم وتزيد ثقتهم بهم وتحببهم فيهم، فيحرصون على اتباعهم والاقتداء بهم ونصرتهم، لإحقاق الحق وإبطال الباطل بتأييد من رب العالمين، ولعل هذا الاصطفاء كان من أهم أسباب معاندة ومكابرة أعدائهم لهم.

يقول ابن تيمية رحمه الله: (...فالنبي يختص بصفات ميزه الله بها على غيره في عقله ودينه واستعد بها لأنْ يخصه الله بفضله ورحمته كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ﴾ [الزُّخرُف: ٣١ــ٣٢]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة: ١٠٥]، وقال تعالى لما ذكر الأنبياء: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام: ٨٤ــ٨٧])[1].

وفي هذا الفصل سيتمّ الحديث عن بعض صفات الأنبياء، وأحوالهم الواردة في قصة يوسف عليهم الصلاة والسلام جميعا.

---

(١) منهاج السنة النبوية: (٢/ ٢٥١، ٢٥٢)، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم.
وردت عبارة: وفي عقله، والأصح بحذف الواو، وتم حذفها، لعدم تناسق المعنى بإضافتها.

المبحث الأول: الاصطفاء والاجتباء:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «...والحاصل أنّ النبوة فضل من الله وموهبة، ونعمة من الله تعالى يمنّ بها سبحانه ويعطيها لمن يشاء أن يكرمه بالنبوة فلا يبلغها أحد بعلمه، ولا يستحقها بكسبه، ولا ينالها عن استعداد ولايته...»[(١)].

معنى الاصطفاء والاجتباء:

الكلمتان مترادفتان في معناهما، وإنْ اختير الاجتباء مثلا، فهي كلمة مشتقة من الفعل (جبي)، واجْتَبَى الشيءَ اختاره وقوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا... ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، وقيل معناه: جئت بها من نفسك،وقيل: هلا اجْتَبَيْتَها هلا اخْتَلَقْتَها وافْتَعَلْتها من قِبَل نفسك وهو في كلام العرب جائز أَن يقول لقد اختار لك الشيءَ واجْتَباه وارْتَجَله وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ... ﴾، [يوسف: ٦]،وقيل: وكذلك يختارك ويصطفيك وهو مشتق من جبيت الشيءَ إذا خلصته لنفسك[(٢)].

دلالة قصة يوسف عليه السلام على الاصطفاء والاجتباء:

١- **قال تعالى:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ [يوسف: ٦].

يقول تعالى مخبرا عن قول يعقوب لولده يوسف: إنّه كما اختارك ربك، وأراك هذه الكواكب مع الشمس والقمر ساجدة لك، كذلك يختارك ويصطفيك لنبوته، ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾، قال مجاهد وغير واحد: يعني تعبير الرؤيا.

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بإرسالك والإيحاء إليك؛ ولهذا قال: ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾[(٣)].

---

(١) لوامع الأنوار البهية: (٢/ ٢٦٨)، لمحمد السفاريني، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: لسان العرب: (١٤/ ١٢٨)، لابن منظور، حرف: (و، ي، مادة: جبي)، دون ذكر المحقق.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٧١)، تحقيق: سامي سلامة.

فالآية لم تثبت نبوة يوسف ﷺ فحسب، بل أثبتت نبوة آبائه يعقوب، وإبراهيم، وإسحاق.

وهذا النسب الجليل ليوسف ﷺ سليل الأنبياء، شرف وفضل من الله امتن به على يوسف ﷺ، فهو الكريم ابن الكريم.

٢- وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾ [يوسف: ٩١].

يقولون معترفين له بالفضل والأثرة عليهم في الخلق والخلق، والسعة والملك، والتصرف والنبوة أيضا -على قول من لم يجعلهم أنبياء -وأقروا له بأنهم أساءوا إليه وأخطئوا في حقه[1].

وفي هذه الأدلة إشارة إلى أنّ النبوة اصطفاء واجتباء واختيار من الله ﷻ، وليست ادعاء وأكاذيبَ وأوهاما أو تنصيبا من قبل البشر كالملك والحكم.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٤٠٨)، تحقيق: سامي سلامة.

المبحث الثاني: العصمة:

معنى العصمة:

الكلمة مشتقة من الفعل: (عصم)، والعصمة في كلام العرب: المنع، وعصمة الله عبده: أنْ يعصمه مما يوبقه، عصمه يعصمه عصما: منعه ووقاه.

والعاصم: المانع الحامي، والاعتصام: الامتساك بالشيء، افتعال منه، واعتصم فلان بالله إذا امتنع به. واستعصم إذا امتنع وأبى(١).

دلالة قصة يوسف عليه السلام على العصمة:

وفي ذلك عدة مسائل:

أولا: مسألة الهم الذي جاء في القصة:

قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٣ـــ٢٤].

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ أي: حاولته على نفسه، ودعته إليها، وذلك أنها أحبته حبًا شديدًا لجماله وحسنه وبهائه، فحملها ذلك على أن تجملت له، وغلقت عليه الأبواب، ودعته إلى نفسها، ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ﴾ فامتنع من ذلك أشد الامتناع(٢).

﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾.

*عن مجاهد قال: ((حلَّ سراويله وجعل يعالج ثيابه))، وهذا قول أكثر المتقدمين مثل سعيد بن جبير والحسن.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة: (٢/ ٣٤)، للأزهري، (باب: ع. ص. م)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ولسان العرب: (١٢/ ٤٠٣، ٤٠٤)، لابن منظور، (حرف: م)، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢٢٨، ٢٣٠)، تحقيق: محمد النمر وآخرون، وتفسير ابن كثير: (٤/ ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٨١)، تحقيق: سامي سلامة.

*وقال بعضهم: إنّ القدر الذي فعله يوسف عليه السلام كان من الصغائر، والصغائر تجوز على الأنبياء عليهم السلام.

*وقال بعضهم: المراد بهمّه بها هَمّ خَطَرات حديث النفس.

*وقيل: همّ بضربها.

*وقيل: تمنّاها زوجة.

* وقيل: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ أي: فلم يهمّ بها.

وأما البرهان الذي رآه ففيه أقوال منها:

*قيل: رأى آية من كتاب الله في الجدار تنهاه عن ذلك.

*وقيل: رأى صورة أبيه يعقوب، عليه السلام، عاضا على أصبعه بفمه.

*وقيل: فضرب في صدر يوسف.

*وعن ابن عباس رضي الله عنه: رأى خيال الملك، يعني: سيده.

**قال ابن جرير: والصواب أنْ يقال: إنه رأى من آيات الله ما زجره عما كان هم به، وجائز أن يكون صورة يعقوب، أو صورة الملك، أو ما رآه مكتوبا من الزجر عن ذلك. ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك، فالصواب أن يطلق كما قال الله تعالى[1].

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ أي: كما أريناه برهانا صرفه عما كان فيه، كذلك نقيه السوء والفحشاء في جميع أموره.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي: من المجتبين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار، صلوات الله وسلامه عليه[2].

(١) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢٢٨، ٢٣٠)، تحقيق: محمد النمر وآخرون، وتفسير ابن كثير: (٤/ ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٢)، تحقيق: سامي سلامة.

(٢) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢٣٠، ٢٢٨)، تحقيق: محمد النمر وآخرون، وتفسيرابن كثير: (٤/ ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٢)، تحقيق: سامي سلامة.

ثانيا: مسألة: إطلاق لفظ الضلال في الآيتين:

١- قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾[يوسف: ٨].

٢- وقال تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾[يوسف: ٩٥].

هل يصدق على يعقوب عليه السلام؟ وما المقصود به؟:

يمكن مناقشة المسألة من ناحيتين:

الأولى: إيرادات لفظ الضلال في اللغة:

١- الضلال كلمة من أصل الفعل: (ضلل) الضَّلالُ والضَّلالةُ ضدُّ الهُدَى والرَّشاد.

٢- ويقال أَضْلَلْت الشيءَ إِذا غَيَّبْتَه وأَضْلَلْت المَيِّتَ دَفَنْته.

٣- وضَلَلْت المَسْجدَ والدارَ والطريقَ إِذا لم تعرف موضعهما وكلَّ شيء مقيم ثابت لا تَهْتَدي له.

٤- تطلق الضالة على التائهة من بهيمة الأنعام، وقد تطلق الضَّالَّة على المعاني ومنه، (الكلمة الحكيمةُ ضالَّةُ المؤمن).

٥- والضَّلال النِّسْيان وفي التنزيل: ﴿**مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ**﴾ [البقرة: ٢٨٢]، أَي: تَغيب عن حِفْظها.

٦- ومن الضَّلال الضياع ومنه قوله تعالى: ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[الكهف: ١٠٤].

٧- وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾[القمر: ٤٧]، أَي: في هلاك[1].

٨- وأَصل الضَّلالِ الغَيْبوبة يقال ضَلَّ الماءُ في اللبن إِذا غاب وضَلَّ الكافرُ إِذا غاب عن الحُجَّة وضَلَّ الناسي إِذا غابَ عنه حِفْظه وأَضْلَلْت بَعيري وغيرَه إِذا ذهَب منك. وضَلَّ فلان عن القَصْد إِذا جار[2].

---

(١) انظر: لسان العرب: (١١/ ٣٩٠)، لابن منظور، مادة: (ضلل، حرف: ل)، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: لسان العرب: (١١/ ٣٩٠)، لابن منظور، مادة: (ضلل، حرف: ل)، دون ذكر المحقق.

الثانية: معنى الضلال في الآية:

﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: لفي خطأ بيِّن، حيث فضلهما علينا من غير موجب نراه، ولا أمر نشاهده، يقصدون: يُوسُفُ وشقيقه بنيامين.

وليس المراد من الضلال، الضلال عن الدين، ولو أرادوه لكفروا به، بل المراد منه: الخطأ في تدبير أمر الدنيا، يقولون: نحن أنفع له في أمر الدنيا وإصلاح أمر معاشه ورعي مواشيه، فنحن أولى بالمحبة منه، فهو مخطئ في صرف محبته إليه[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾، يقول: ((خطئك القديم)).

وعن قتادة: أي: ((من حبّ يوسف لا تنساه ولا تسلاه. قالوا لوالدهم كلمةً غليظة، لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم، ولا لنبيّ الله ﷺ)).

وعن السدي قال: ((في شأن يوسف))[٢].

ثالثا: مسألة: في حقيقة معنى قوله تعالى: ﴿۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يوسف: ٧٧].

﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ يعنون: يوسف عليه السلام، ومقصودهم تبرئة أنفسهم وأنّ هذا وأخاه قد يصدر منهما ما يصدر من السرقة، وهما ليسا شقيقين لنا[٣].

عن سعيد بن جبير: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾، قال: (سرق يوسف صَنَمًا لجده أبي أمه، كسره وألقاه في الطريق، فكان إخوته يعيبونه بذلك)[٤].

وقال مجاهد: ((وقد كان يوسف عليه السلام في حضانة عمته ابنة إسحاق وكانت أكبر ولد إسحاق، وكان لها به وَلَهٌ فلم تُحبّ أحدًا حبّها إيّاه، حتى عندما ترعرع وبلغ سنوات

(١) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢١٧، ٢١٨)، تحقيق: محمد النمر وآخرون، تفسير السعدي: (١/ ٣٩٤)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) تفسير الطبري: (١٦/ ٢٥٧)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٣) تفسير السعدي: (١/ ٤٠٢)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) تفسير الطبري: (١٦/ ١٩٥)، تحقيق: أحمد شاكر.

وتاقت إليه نفس يعقوب لم تستطع أنْ يغيب عنها ساعة واحتالت لبقائه عندها بأنْ عمدت لمنطقة إسحاق فحزمتها على يوسف، وكان لهذه المنطقة مَزِيّة ـــ حيث كان من اختبأها ممّن وليها كان له سلمًا لا ينازع فيه يصنع ما يشاء ـــ وادّعت فقدها فكشفوا أهل البيت ووجدوها مع يوسف فقالت: والله إنّه لي لسلم أصنع فيه ما شئت، فأمسكت يوسف وما قدر يعقوب أن يأخذه حتّى ماتت))[1].

رابعا: مسألة: في كذب إخوة يوسف الطَّيْكِلاً:

قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٧ــ ١٨].

وقالوا معتذرين عما وقع فيما زعموا: (إِنَّا ذَهَبْنَا نترامى، وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ ثيابنا وأمتعتنا)، (فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ) وهو الذي كان قد جزع منه، وحذر عليه.

وقولهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ تلّطفٌ عظيم في تقرير ما يحاولونه، والمعنى: ونحن نعلم أنك لا تصدقنا –والحالة هذه –لو كنا عندك صادقين، فكيف وأنت تتهمنا في ذلك، لأنك خشيت أن يأكله الذئب، فأكله الذئب، فأنت معذور في تكذيبك لنا؛ لغرابة ما وقع، وعجيب ما اتفق لنا في أمرنا هذا.

وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ مكذوب مفترى. وهذا من الأفعال التي يؤكدون بها ما تمالئوا عليه من المكيدة، وهو أنهم عمدوا إلى سَخْلة فذبحوها، ولطخوا ثوب يوسف بدمها، موهمين أن هذا قميصه الذي أكله فيه الذئب، وقد أصابه من دمه، ولكنهم نسوا أن يخرقوه، فلهذا لم يَرُج هذا الصنيع على نبي الله يعقوب، بل قال لهم معرضًا عن كلامهم ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

(١) انظر تفسير ابن كثير: (٨١٩)، قدّم له: يوسف المرعشلي.

عن ابن عباس ﷺ: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قال: ((لو أكله السبع لخرق القميص))). وكذا قال الشعبي، والحسن، وقتادة، وغير واحد[1].

خامسا: خلاصة القول في عصمة الأنبياء عليهم السلام:

أ- مذاهب الفرق في عصمة الأنبياء عليهم السلام:

فيما يتعلق بالكفر:

قال أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ)[2]: منعت الأمة وقوع الكفر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

أمّا الفضيلية[3] من الخوارج[4]: فالذنب عندهم كفر.

وأجاز الإمامية[5] إظهار الكفر منهم على سبيل التقية.

فيما يتعلق بالمعاصي:

والأكثر على أنّه لا يمتنع عقلا على الأنبياء معصية.

وخالف الروافض، وخالف المعتزلة إلا في الصغائر، ومعتمدهم التقبيح العقلي[6]، والإجماع على عصمتهم بعد الرسالة من تعمد الكذب في الأحكام، لدلالة المعجزة على الصدق[1].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٧٥)، تحقيق: سامي سلامة.

(٢) انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: (٦/ ١٤٥)، لعبد الحي العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، شعيب الأرناؤوط.

(٣) الفضيلية: فرقة من فرق الصفرية من الخوارج أتباع زياد بن الأصفر، ويقول الصفرية: بإشراك أصحاب الذنوب، أمّا الفضيلية: فيعتبرون النطق بالشهادتين كاف للإسلام ولو اعتقد المرء الكفر، (انظر: الفرق بين الفرق: (١/ ٧٠)، لعبد القاهر البغدادي، دون ذكر المحقق، وانظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٤/ ١٤٥)، لابن حزم الظاهري، دون ذكر المحقق.

(٤) **الخوارج**: فرق كثيرة، منها: الأزارقة. النجدات، المعلومية، المجهولية، الإبراهيمية، ويجمعهم على افتراق مذاهبهم، إكفار علي وعثمان، والحكمين وكل من رضي بتحكيمهما، وأصحاب الجمل، وقالوا: بتكفير مرتكب الذنوب، ووجوب الخروج على الإمام الجائر، انظر: الفرق بين الفرق: (١/ ٥٤، ٥٥)، للبغدادي، دون ذكر المحقق.

(٥) **الإمامية**: سيتم التعريف بهم في الباب السابع عند الحديث عن الإمامة.

(٦) **التقبيح العقلي**: وهو متعلق بمسألة: التحسين والتقبيح، ويكون بجعل الْحُسن وَالْقُبْح صفات ذَاتِيَّة لِلْفعل لَازمة =

خلاصة القول: وَحَاصِلُ كَلَامِ الْأُصُولِيِّينَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ:

أ- عِصْمَتُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَفِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّبْلِيغِ بِدَلِيلِ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ وَالْإِجْمَاعِ.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٢ـــ ٥٤]، فإِنَّ نَسْخَ اللَّه لِمَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ وَإِحْكَامَهُ آيَاته إِنَّمَا يَكُونُ لِرَفْعِ مَا وَقَعَ فِي آيَاتِهِ وَتَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنْ الْبَاطِلِ حَتَّى لَا تَخْتَلِطَ آيَاتُهُ بِغَيْرِهَا.

ب- وأيضا عصمتهم من الكَبائر وصغائر الْخِسَّة كَسَرِقَة لُقْمَة وَتَطْفِيف حبَّة، وَأَكْثر أَهل الأصول على جَوَازِ وُقُوع الصَّغَائر غَيْرَ صَغَائِر الْخِسَّة مِنْهم.

الاختلاف في وقت العصمة:

*قول الرافضة: من وقت مولدهم.

*وقال كثير من المعتزلة: من وقت النبوة.

لَلعقل ولَا يجعل الشَّرع إلَّا كَاشفًا عن تلك الصِّفَات لَا سَبَبًا لِشَيْءٍ مِنْ الصِّفَات، وهذه المسألة فيهَا نِزَاعٌ مَشْهُورٌ بَيْن أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة من الطَّوَائف الْأَرْبَع وَغَيْرِهِمْ، فَالْحَنَفيَّة وَكَثِيرٌ مِنْ الْمَالكيَّة وَالشَّافعيَّة وَالْحَنْبَليَّة يَقُولُونَ بِتَحْسِين الْعَقْل وَتَقْبِيحه وهُوَ قول الكَرَّامِيَة وَالْمُعْتَزِلَة وهو قَوْل أَكْثَر الطَّوَائف من الْمُسلمين وَالْيَهُود وَالنَّصَارى وَالْمَجُوس وَغَيْرِهِمْ، وَكَثِيرٌ مِنْ الشَّافعيَّة وَالْمَالكيَّة وَالْحَنْبَليَّة يَنْفُون ذلك وَهُوَ قَوْلُ الْأَشْعَرِيَّة؛ لَكنَّ أَهل السُّنَّة مُتَّفِقُونَ عَلَى إثْبَات الْقَدَر، وَأَنَّ اللَّه على كُلِّ شَيْءٍ قَدير، خَالق كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَفْعَال الْعبَاد وَغَيْرِهَا وَأَنَّ مَا شَاء كَان وما لَم يَشَأْ لم يكن، مع الإشارة إلى أنّ مَسأَلَة التَّحْسِين وَالتَّقْبِيح لَيْسَت مُلَازِمَةً لِمَسْأَلَة الْقَدَر، (انظر: مجموع الفتاوى: (٨/ ٤٢٨، ٤٣١)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار).

(١) انظر: منهاج السنة: (٢/ ٢٣٦إلى٢٤٢)، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، وانظر: مجموع الفتاوى: (١٠/ ٢٩٠إلى٢٩٧و١٥/ ١١٧، ١١٩)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، وانظر: النبوات: (٣/ ٣٣) لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، وانظر: أضواء البيان: (٤/ ١١٧إلى١١٩)، لمحمد المختار الشنقيطي، دون ذكر المحقق.

*ومن الناس من قال: بأنّه لم يصدر عنهم ذنب حالة النبوة ألبتّة لا الكبيرة، ولا الصَّغِيرَةُ. لِأَنَّهُمْ لَوْ صَدَرَ عَنْهُمُ الذَّنْبُ لَكَانُوا أَقَلَّ دَرَجَةٍ مِنْ عُصَاةِ الْأُمَّةِ(١).

واتفاق المسلمين على أنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله لا يستلزم عدم حدوث الذنب منهم قبل النبوة، فالنبوة لا تستلزم هذا، والخطأ منهم لا يتنافى مع حصول الثقة بهم فيما يبلغونه عن الله وأهل السنة: متفقون على أنهم لا يقرون على خطأ في الدين أصلاً، ولا على فسوق، ولا كذب. فكل ما يقدح في نبوتهم وتبليغهم عن الله، فهم متفقون على تنزيههم عنه.

فإنّ منْ آمن وتاب حتى ظهر فضله وصلاحه ونبأه الله بعد ذلك وأيده الله تعالى بما يدل على نبوته فإنه يوثق فيما يبلغه كما يوثق بمن لم يفعل ذلك وقد تكون الثقة به أعظم إذا كان بعد الإيمان والتوبة قد صار أفضل من غيره والله يبدّل السيئات بالحسنات للتائب ومعلوم أنّ الصحابة ﷺ من عهد الرسول ﷺ وقبل أن يصدر منهم ما يدعونه من الأحداث كانوا من خيار الخلق وكانوا أفضل من أولادهم الذين ولدوا بعد الإسلام(٢).

أما وجوب كون النبي لا يتوب إلى الله فينال محبة الله وفرحه بتوبته وترتفع درجته بذلك فهذا مع ما فيه من التكذيب للكتاب والسنة غض من مناصب الأنبياء وسلبهم هذه الدرجة ومنع إحسان الله إليهم وتفضله عليهم بالرحمة والمغفرة(٣).

والْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُمْ مَا يُزْرِي بِمَرَاتِبِهِمُ الْعَلِيَّةِ، وَمَنَاصِبِهِمُ السَّامِيَةِ. قال تَعَالَى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه:

(١) انظر: منهاج السنة: (٢/ ٢٣٦إلى٢٤٢)، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، وانظر: مجموع الفتاوى: (١٠/ ٢٩٠إلى٢٩٧و١٥/ ١١٧، ١١٩)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، وانظر: النبوات: (٣/ ٣٣) لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، وانظر: أضواء البيان: (٤/ ١١٧إلى١١٩)، لمحمد المختار الشنقيطي، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: منهاج السنة: (٢/ ٢٣٦إلى٢٤٢)، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، وانظر: مجموع الفتاوى: (١٠/ ٢٩٠إلى٢٩٧و١٥/ ١١٧، ١١٩)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، وانظر: النبوات: (٣/ ٣٣) لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، وانظر: أضواء البيان: (٤/ ١١٧إلى١١٩)، لمحمد المختار الشنقيطي، دون ذكر المحقق.

(٣) انظر: السابق.

١٢١ــ١٢٢]. وأَيَّ أَثَرٍ يَبْقَى لِلْعِصْيَانِ وَالْغَيِّ بَعْدَ تَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، واصْطِفَائه إِيَّاهُ، وَهِدَايَتِه لَهُ، ولا شك أنّ بعض الزلات ينال صاحبها بالتوبة منها درجة أعلى من درجته قبل ارتكاب تلك الزلة[١].

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وَقَالَ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

وثَبت فِي حَدِيث التَّوْبَة عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عن رسول اللّه ﷺ أنّه قال: ((قال الله ﷻ: أنا عنْد ظنِّ عَبْدي بي وأنا معه حيْثُ يَذْكُرُنِي والله للَّهُ أفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ من أَحَدِكُمْ يَجدُ ضَالَّتَهُ بالْفَلَاة...))[٢]، الحديث.

وَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَذْكُر فِي الْقُرْآن شَيْئًا مِنْ ذَلكَ عَنْ نَبِيٍّ مِنْ الْأَنْبِيَاء إلاَّ مَقْرُونًا بِالتَّوْبَة وَالِاسْتِغْفَار كَقَوْل آدَم وَزَوْجَته: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣]، وَقَوْل نُوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: ٤٧]، وَقَوْل الْخَلِيل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١]، وَقَوْله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٨٢]، وَقَوْل موسى عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥ــ١٥٦]، وقَوْله تَعَالَى عن دَاوُد: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ص: ٢٤ــ ٢٥]، وقد كَانَ دَاوُد عليه السلام بَعْدَ التَّوْبَةِ خَيْرًا مِنْهُ قَبْلَ الْخَطِيئَة.

وقَوْله تَعَالَى عَن سلَيْمَان عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: ٣٥].

---

(١) انظر: السابق.

(٢) صحيح مسلم: (٤/ ٢١٠٢)، كتاب: التوبة، باب: الحض على التوبة والفرح بها، برقم: (٢٧٤٤)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

وَأَمَّا يُوسُف الصِّدِّيق عليه السلام فَلَمْ يَذْكُرْ اللَّهُ عَنْهُ ذَنْبًا فَلِهَذا لَمْ يَذْكُر اللَّهُ عَنْهُ مَا يُناسِب الذَّنْب مِنْ الِاسْتِغْفَار بَل قَال: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف: ٢٤]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ صَرَفَ عَنْهُ السُّوء وَالْفَحْشَاء وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّه لَمْ يَصْدُرْ منْه سُوء ولَا فَحْشَاء[1].

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤].

فَالْهَمُّ اسْمُ جِنْسٍ تَحْتَهُ (نَوْعَان) كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَد الْهَمُّ هَمَّان:

هَمُّ خَطَرَاتٍ وَهَمُّ إصْرَارٍ وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ عن أبي هُرَيْرَةَ عنِ النبي ﷺ قال: ((قال الله عز وجل: إن همَّ عبدي بِحسَنَة فاكْتُبُوهُ فإِنْ عملَهَا فاكْتُبُوهَا بِعشَرَة أَمْثَالِهَا وإن همَّ بِسيِّئَةٍ فلاَ تكْتُبُوهَا فإِنْ عملَهَا فاكْتُبُوهَا بِمثْلِها فإِنْ تركَهَا فاكْتُبُوهَا حسَنَةً))[2].

ويوسف ﷺ هم هما تركه لله، ولذلك صرف الله عنه السوء والفحشاء لإخلاصه، وذلك إنما يكون إذا قام المقتضي للذنب وهو الهم، وعارضه الإخلاص الموجب لانصراف القلب عن الذنب لله، فيوسف عليه السلام لم يصدر منه إلا حسنة يثاب عليها، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١]، أما ما ينقل: من أنّه حل سراويله وجلس مجلس الرجل من المرأة وأنّه رأى صورة يعقوب عاضّا على يده وأمثال ذلك فكله مما لم يخبر الله به ولا رسوله وما لم يكن كذلك

---

(١) انظر: منهاج السنة: (٢/ ٢٣٦إلى٢٤٢)، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، وانظر: مجموع الفتاوى: (١٠/ ٢٩٠إلى٢٩٧و١٥/ ١١٧، ١١٨)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، وانظر: النبوات: (٣/ ٣٣) لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، وانظر: أضواء البيان: (٤/ ١١٧إلى١١٩)، لمحمد المختار الشنقيطي، دون ذكر المحقق.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: (٢/ ٢٤٢)، في مسند أبي هريرة رضي الله عنه، برقم: (٧٢٩٤)، دون ذكر المحقق، والحديث صححه ابن حبان: (٢/ ١٠٤)،كتاب:البر والإحسان،باب:ما جاء في الطاعات،برقم:(٣٨٠)، ترتيب: علي بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.،وقال المحقق:إسناده صحيح.

فإنّما هو مأخوذ عن اليهود الذين هم من أعظم الناس كذبا على الأنبياء وقدحا فيهم وكل من نقله من المسلمين فعنهم نقله؛ لم ينقل من ذلك أحد عن نبينا ﷺ حرفا واحدا[(١)].

و (المقصود) أن يوسف لم يفعل ذنبا ذكره الله عنه وهو سبحانه لا يذكر عن أحد من الأنبياء ذنبا إلا ذكر استغفاره منه، ولم يذكر عن يوسف استغفارا من هذه الكلمة، كما لم يذكر عنه استغفارا من مقدمات الفاحشة؛ فعلم أنه لم يفعل ذنبا في هذا ولا هذا؛ بل هم همًّا تركه لله؛ فأثيب عليه حسنة.

وأما ما يكفره الابتلاء من السيئات فذلك جوزي به صاحبه بالمصائب المكفرة، عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: ((ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته))[(٢)].

وقد كان معه من خوف الله ما يزعه عن الفاحشة ولو رضي بها الناس وقد دعا ربه ﷻ أن يصرف عنه كيدهن. وقوله: ﴿ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ...﴾[يوسف: ٣٣].

أما نبينا محمد ﷺ، فقد فالسنة النبوية المطهرة لم تخل من ذكر حاله مع التوبة والاستغفار والإنابة إلى الله، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[(٣)].

فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ في حديث الشفاعة الطويل وفيه: أنّ رسُولَ اللّه ﷺ قال: ((أنا سيِّدُ الناس يوم الْقِيامَةِ وهَلْ تدْرُونَ ممَّ ذلك يجْمَعُ الله الناس الْأوَّلِينَ والْآخرينَ في صعِيدٍ واحدٍ يسْمِعُهُمْ الدّاعِي ويَنْفُذُهُمْ الْبصَرُ وتَدْنُو الشّمْسُ فيَبْلُغُ الناس من الْغمِّ والْكَرْبِ مالا يطِيقُونَ

(١) انظر: منهاج السنة: (٢/ ٢٣٦إلى٢٤٢)، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، وانظر: مجموع الفتاوى: (١٠/ ٢٩٠إلى٢٩٧و١٥/ ١١٧، ١١٩)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، وانظر: النبوات: (٣/ ٣٣) لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، وانظر: أضواء البيان: (٤/ ١١٧إلى١١٩)، لمحمد المختار الشنقيطي، دون ذكر المحقق.

(٢) صحيح مسلم: (٤/ ١٩٩٢)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض...إلخ، برقم: (٢٥٧٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) انظر: منهاج السنة: (٢/ ٢٣٦إلى٢٤٢)، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، وانظر: مجموع الفتاوى: (١٠/ ٢٩٠إلى٢٩٧و١٥/ ١١٧، ١١٩)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، وانظر: النبوات: (٣/ ٣٣) لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، وانظر: أضواء البيان: (٤/ ١١٧إلى١١٩)، لمحمد المختار الشنقيطي، دون ذكر المحقق.

ولا يحْتَمِلُونَ فيقول الناس ألا ترَوْنَ ما قد بلَغَكُمْ ألا تنْظُرُونَ من يشْفَعُ لكُمْ إلى ربِّكُمْ فيقول بعْضُ الناس لِبعْضٍ علَيْكُمْ بآدمَ فيَأْتُونَ آدمَ عليه السلام فيَقُولُونَ له أنت أبو الْبشَرِ خلَقَكَ الله بيده ونَفَخَ فيكَ من روحِهِ وأَمَرَ الْملَائِكَةَ فسَجَدُوا لك اشْفعْ لنا إلى ربِّكَ، وذكر خطيئته وقال: اذْهبُوا إلى نوحٍ، ثم إلى إبراهيم وموسى وكل يذكر خطيئته، فيَأْتُونَ عيسَى فيَقُولُونَ يا عيسَى أنت رسول اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مرْيَمَ ورُوحٌ منه وكَلَّمْتَ الناس في الْمهْدِ صَبِيًّا اشْفعْ لنا ألا ترَى إلى ما نحْنُ فيه فيقول عيسَى إنَّ رَبِّي قد غَضبَ الْيوْمَ غضَبًا لم يغْضَبْ قبْلَهُ مثله قطُّ ولَنْ يغْضَبَ بَعدَهُ مثله ولم يذكر ذَنبًا، ثم يذهبون لمحمد ﷺ فيَقُولُونَ: يا محمد أنت رسول اللَّهِ وخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ وقد غفَرَ الله لك ما تقَدَّمَ من ذَنبِكَ وما تأَخَّرَ اشفَعْ لنا...))[(١)]، الحديث.

وقد كان سبب قبول شفاعته كمال عبوديته وكمال مغفرة الله له[(٢)].

وعن أبي مُوسى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنَّهُ كان يدْعُو بهذا الدُّعاءِ: ((اللهم اغْفرْ لي خَطيئَتي وَجَهْلي وَإِسْرَافِي في أَمْرِي وما أنت أعْلَمُ به منِّي اللهم اغْفرْ لي جدِّي وَهَزْلي وَخَطَئي وَعَمْدي وكُلُّ ذلك عنْدِي اللهم اغْفرْ لي ما قَدَّمتُ وما أَخَّرتُ وما أَسرَرْتُ وما أَعلَنْتُ وما أنت أَعلَمُ بهِ منِّي أنت الْمُقَدِّمُ وَأَنتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنتَ على كل شَيءٍ قدِيرٌ))[(٣)].

وبهذا تمّ الحديث عن عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بالأدلة من الكتاب والسنة، مع إجماع سلف الأمة على عصمتهم فيما يبلغونه عن الله، وعصمتهم من الكبائر وصغائر الخسة كما سبق بيانه.

---

(١) صحيح البخاري: (٤/ ١٧٤٥، ١٧٤٦)، كتاب: التفسير، باب: (ذرية من حملنا مع نوح...)، (الآية: الإسراء: ٣)، برقم: (٤٤٥)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

(٢) انظر: منهاج السنة: (٢/ ٢٣٦إلى٢٤٢)، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، وانظر: مجموع الفتاوى: (١٠/ ٢٩٠إلى٢٩٧و١٥/ ١١٧، ١١٩)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، وانظر: النبوات: (٣/ ٣٣) لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، وانظر: أضواء البيان: (٤/ ١١٧إلى١١٩)، لمحمد المختار الشنقيطي، دون ذكر المحقق.

(٣) صحيح مسلم: (٤/ ٢٠٨٧)، كتاب: الذكر والدعاء، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، برقم: (٢٧١٩)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

المبحث الثالث: حكم الصدقة على الأنبياء:

إنّ ما يتعلق بهذا المبحث في قصة يوسف عليه السلام **قوله تعالى**: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [يوسف: ٨٨].

ومن منطلق هذه الآية يتضح حكم الصدقة على الأنبياء، وذلك فيما بينه المفسرون في المراد بها.

فَلَمَّا دَخَلُوا على يوسف قَالُوا متضرعين إليه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ أي: قد اضطررنا نحن وأهلنا وَجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مدفوعة مرغوب عنها لقلتها، وعدم وقوعها الموقع، ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾ أي: مع عدم وفاء العرض.

وموضع الشاهد في قوله: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾، ومما ورد في هذا المعنى:

قول ابن جريج: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ برَدِّ أخينا إلينا.

وقول سعيد بن جبير والسدي: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ تصدق علينا بقبض هذه البضاعة المزجاة، وتجوّز فيها.

وسُئل سفيان بن عُيَيْنَة (ت: ١٩٦هـ)[(١)]: هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء قبل النبي ﷺ؟ فقال: ألم تسمع قوله: ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾.

وذُكر في المعنى: تصدق علينا بالزيادة عن الواجب، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ بثواب الدنيا والآخرة[(٢)].

---

(١) سير أعلام النبلاء: (١٥/ ٤٩٨)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٤٠٧)، تحقيق: سامي سلامة، وفتح القدير: (٣/ ٥١)، وتفسير السعدي: (١/ ٤٠٤)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

الأقوال في مسألة الصدقة على الأنبياء:

لقد اختلف الناس في الصدقة على الأنبياء.

فقيل: إنها كانت حلالا، ثم حرمت على النبي محمد ﷺ.

وقيل: كانت حراما على جميع الأنبياء، عن سعيد بن جبير قال: (ما سأل نبيٌّ قطُّ الصَّدقَة، ولكنهم قالوا: ﴿وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ﴾ [يوسف: ٨٨]، لا تنقصنا من السعر)[١].

وقيل: إنّما سأل هؤلاء المسامحة، لا الصدقة بعينها في قوله: ﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ﴾[٢].

مواريث الأنبياء:

وبالنسبة لما يتعلق بميراث الأنبياء فمما ورد في ذلك قول عمر لعبد الرحمن وسعد وعثمان وطلحة والزبير ﷺ: (أنشدكم بالله الذي قامت له السماوات والأرض سمعتم النبي ﷺ يقول: ((إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة))، قالوا: اللهم نعم)[٣].

وعن أبي بكر ﷺ أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال))[٤].

وقوله: (لا نورث...) هو بالرفع أي المتروك عنا صدقة، وادعى الشيعة أنّه بالنصب على أنّ ما نافية، ورد عليهم بأن الرواية ثابتة بالرفع وعلى التنـــزل فيجوز النصب على تقدير: ما تركنا مبذول صدقة[٥].

---

(١) تفسير الطبري: (١٦/ ٢٤١، ٢٤٢)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: (٥/ ٣٦٢٧)، لأبي محمد مكي القيرواني، بإشراف: أ. د. الشاهد البوشيخي.

(٣) سنن النسائي الكبرى: (٤/ ٦٤)، كتاب: الفرائض، ذكر مواريث الأنبياء، برقم: (٦٣٠٩)، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري، سيد كسروي. صححه ابن حبان بنحو هذا اللفظ،: (١٤/ ٥٧٦)، كتاب: التاريخ، باب: بدء الخلق، ذكر الخبر المدحض...إلخ، برقم: (٦٦٠٨)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

(٤) صحيح البخاري: (٦/ ٢٤٧٤)، كتاب: الفرائض، باب قوله: (لا نورث ما تركنا صدقة)، برقم: (٦٣٤٦)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٥) انظر: فتح الباري: (١٢/ ٧، ٨)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

وقيل: ووجه كون الأنبياء لا يورثون والله أعلم أنّ الله بعثهم مبلغين رسالته وأمرهم أنْ لا يأخذوا على ذلك أجرا كما قال: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال نوح وهود وغيرهما نحو ذلك فكانت الحكمة في أن لا يورثوا لئلا يظن أنهم جمعوا المال لوارثهم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦]، حمله أهل العلم بالتأويل على العلم والحكمة وكذا قول زكريا: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى﴾ [مريم: ٥ـ ٦][٢].

وقد حكى ابن عبد البر أنّ للعلماء في ذلك قولين، وأنّ الأكثر على أنّ الأنبياء لا يورثون ولا معارض من القرآن لقول نبينا ﷺ: ((لا نورث ما تركنا صدقة)) فيكون ذلك من قول عمر يريد نفسه يؤيد اختصاصه بذلك[٣].

وأما عموم قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ...﴾ [النساء: ١١] فالآية عامة فيمن ترك شيئا كان يملكه وإذا ثبت أنه وقفه قبل موته فلم يخلف ما يورث عنه فلم يورث، وعلى تقدير أنّه خلّف شيئا ممّا كان يملكه فدخوله في الخطاب قابل للتخصيص لما عرف من كثرة خصائصه وقد اشتهر عنه أنه لا يورث فظهر تخصيصه بذلك دون الناس[٤].

وقيل الحكمة في كونه لا يورث حسم المادة في تمني الوارث موت المورث من أجل المال وقيل لكون النبي كالأب لأمته فيكون ميراثه للجميع وهذا معنى الصدقة العامة[٥].

وبهذا تمّ الحديث عن حكم الصدقة على الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) انظر: فتح الباري: (١٢/ ٧، ٨)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: فتح الباري: (١٢/ ٧، ٨)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

(٣) انظر: فتح الباري: (١٢/ ٧، ٨)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

(٤) انظر: فتح الباري: (١٢/ ٨، ٩)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

(٥) انظر: فتح الباري: (١٢/ ٨، ٩)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

المبحث الرابع: العفو:

إنّ العفو من كريم الصفات ومن أنبلها، كيف لا وقد اتصف به أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، رغم طغيان أقوامهم وتجبرهم، مما يدل على سلامة صدورهم ونقائها وحبهم للخير والهداية للمدعوين.

العفو لغة:

هو التَّجاوُزُ عن الذنب وتَرْكُ العِقابِ عليه وأَصلُه المَحْوُ والطَّمْس(١).

وكتب النعمان بن المنذر إلى أكثم بن صيفي: أنْ اعهد إلينا أمرا نعجب به فارس ونرغبهم به في العرب، فكان مما كتب: (...والأدب رفق، والرفق يمن، والخرق شؤم، وخير السخاء ما وافق الحاجة، وخير العفو ما كان مع القدرة، ومن سوء الأدب كثرة العتاب...)(٢).

والقرآن والسنة المطهرة مشتملة على الكثير من النصوص المرغبة في العفو والتسامح والصفح والتجاوز عن الآخرين واحتساب أجر ذلك على الله جل في علاه ومما ورد على سبيل المثال:

قال تعالى: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وقال: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [النور: ٢٢].

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عن رسول اللّهِ ﷺ قال: ((ما نقَصَتْ صدَقَةٌ من مالٍ وما زادَ الله عبْدًا بعَفْوٍ إلا عزًّا وما توَاضَعَ أحَدٌ للّهِ إلا رفَعَهُ الله))(٣).

وغيرها من النصوص التي تتضمن التجاوز عن الحقوق ابتغاء الأجر والعز عند الله.

---

(١) لسان العرب: (١٥/ ٧٢)، لابن منظور، مادة: (عفا)، حرف: (و، ي)، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: المعمرون والوصايا: (١/ ١٩)، لأبي حاتم السجستاني، تحقيق: محمد الكتبي.

(٣) صحيح مسلم: (٤/ ٢٠٠١)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، برقم: (٢٥٨٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

وأما ما ورد في قصة يوسف عليه السلام من عفو فهو نموذج للبشرية من ضمن عدة نماذج ستذكر لاحقا ظلت عنوانا للعفو وشعارا، ففي القصة للمتأمل العديد من المواقف التي ابتلي فيها يوسف وامتحن من الإلقاء في الجب والبعد عن والده وأهله ووطنه، وتعرضه لفتنة امرأة العزيز، وإلقائه في السجن، وكانت الحلقة الأولى في سلسلة هذه الابتلاءات هي كيد إخوته له وإلحاقهم الضرر به، لكن ما كان منه تجاههم عندما أتوه وهو في ملكه وعرفهم بنفسه فعرفوه إلا أنْ قال لهم:

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: ٩٢].

قَالَ يوسف وكان حليما: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أي: لا تعيير عليكم اليوم، ولا أذكر لكم ذنبكم بعد اليوم، ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1].

وأمّا أبوهم يعقوب الذي اعتصر قلبه على فراق يوسف وأخيه، فقد اتخذ من الصفح والغفران عن أبناءه المخطئين في حقه وحق أخيهم إلا أن قال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [يوسف: ٩٨].

فلما انتهى يعقوب إلى الموعد قام إلى الصلاة بالسحر، فلما فرغ منها رفع يديه إلى الله عز وجل وقال: اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه، واغفر لأولادي ما أتوا إلى أخيهم يوسف، فأوحى الله تعالى إليه أني قد غفرتُ لك ولهم أجمعين[2].

وقد اتصف نبينا محمد ﷺ بالعفو أيضا وضرب فيه أروع الأمثلة، ومنها على سبيل المثال ما ورد عن عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوجَ النبي ﷺ أنّها قالت للنَّبيِّ ﷺ: هل أتى عَلَيكَ يَومٌ كان أشَدَّ من يَومِ أحُدٍ قال: ((لقد لَقيتُ من قَوْمكِ ما لَقيتُ وكان أشَدَّ ما لَقيتُ منهم يوم العَقَبَةِ إذْ عَرَضتُ نَفْسي على بن عبد يا ليل بن عبد كلَالٍ فلم يجِبْني إلى ما أَرَدتُ فَانطَلَقْتُ وأنا مَهْمومٌ على وَجْهي فلم أَسْتَفقْ إلا وأنا بقَرْنِ الثَّعَالبِ فَرَفَعتُ رَأْسي فإذا أنا بسَحَابَةٍ قد أَظَلَّتْني فَنَظَرتُ فإذا فيها جبْرِيلُ فَنَادَاني فقال إنَّ اللّهَ قد سمع قَولَ قَوْمكَ لك وما رَدّوا عَلَيكَ

(١) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢٧٤)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٢) تفسير البغوي: (٤/ ٢٧٧)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

وقد بعَثَ الله إلَيْكَ ملَكَ الْجبَالِ لتَأْمرَهُ بمَا شئْتَ فيهِمْ فَنَادَاني ملَكُ الْجبَالِ فسَلَّمَ علَيَّ ثمَّ قال يا محمد فقال ذلك فيمَا شئْتَ إن شئْتَ أنْ أطْبقَ عليهم الأَخْشَبَيْنِ فقال النبي ﷺ بلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ الله من أَصْلَابِهِمْ من يعبد اللّهَ وحْدَهُ لا يُشْرِكُ بهِ شيئا))[1].

وكل هذه الأمثلة من عفو الأنبياء لا بدّ وأنْ تورث في النفوس العفو والصفح عن عباد الله والتجاوز عن زلاتهم، فكل بني آدم خطاؤون ويحتاج كل إنسان للعفو والتجاوز من قبل أخيه، مع ما يتركه العفو من محبة في النفوس ورضا وراحة وطمأنينة.

فمن عفا عمن ضربه أو شتمه أو قطع رحمه أو قتل ولده، فقد احتسب جزاء ذلك عند الله، وطلب العوض منه سبحانه، والعزة عنده.

مع التنبيه على أنّ الشرع في أحكامه لا يتعارض مع أخذ العبد لحقه ممن ظلمه، إلا أنّه ينبه لجانب العفو والإحسان، وتأليف القلوب وترضيتها.

(١) صحيح البخاري: (٣/ ١١٨٠)، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين...إلخ، برقم: (٣٠٥٩)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

المبحث الخامس: كمال الخلقة:

لقد أكمل الله خلق الإنسان وميّزه بتمام الخلقة، ومتّعه بالعقل وحسن التدبير عن باقي المخلوقات، فكان ذلك من أعظم المنن.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ [الانفطار: ٧].

أي: الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ في أحسن تقويم، ﴿فَعَدَلَكَ﴾ ركبك تركيبا قويما معتدلا في أحسن الأشكال، وأجمل الهيئات[١].

وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين: ٤].

عن عكرمة، في قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ قال: (الشاب القويّ الجَلْد).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: (شبابه أوّل ما نشأ).

وقيل: أعدل قامة وأحسن صورة[٢].

أمّا الأنبياء عليهم السلام فقد اختصهم الله بكمال الخلقة فهم أشرف أفراد النوع الإنساني بما حباهم الله به من كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي ولو في الصبا كعيسى ويحيى عليهما السلام، والسلامة من كل ما نفّر عن الاتباع كدناءة الآباء وعهر الأمهات والغلظة والعيوب المنفّرة للطباع كالبرص والجذام، والأمور المخلة بالمروءة كأكل على الطريق، والحرف الدنية كالحجامة، وكل ما يخل بحكمة البعثة ونحو ذلك[٣].

وفي قصة يوسف عليه السلام ذكر الله ما امتنّ به على يوسف عليه السلام من تمام الخلقة وحسن الصورة.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝٣١﴾ [يوسف: ٣١].

---

(١) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٩١٤)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) تفسير الطبري: (٢٤/ ٥٠٨)، تحقيق: أحمد شاكر، وتفسير البغوي: (٨/ ٤٧٢)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٣) انظر: (لوامع الأنوار البهية: (٢/ ٢٦٧)، لمحمد السفاريني، دون ذكر المحقق.

عن ربيعة الجرشي (ت: ٦٤هـ)[١] قال: ((قسم الحسن نصفين: فقسم ليوسف وأمه النصف، والنصف لسائر الناس))[٢].

وفي حديث ليلة الإسراء الذي يرويه أنس بن مالك ﷺ، مرّ رسول الله ﷺ بيوسف عليه السلام في السماء الثالثة وفيه يقول ﷺ: ((فإذا أنا بيوسف ﷺ إذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير...)) الحديث[٣].

ومعناه: أنّ يوسف كان على النصف من حسن آدم، عليه السلام، فإن الله خلق آدم بيده على أكمل صورة وأحسنها، ولم يكن في ذريته من يوازيه في جماله، وكان يوسف قد أعطي شطر حسنه[٤].

وهذا يدل على أنّ يوسف عليه السلام أعطي من الجمال الفائق والنور والبهاء، ما كان به آية للناظرين، وعبرة للمتأملين[٥].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: (٢/ ٤٧٢)، لابن حجر، تحقيق: علي البجاوي.

(٢) تفسير الطبري: (١٦/ ٨١)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٣) صحيح مسلم: (١/ ١٤٥)، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات...إلخ، برقم: (٢٥٩)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٤) تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٨٦)، تحقيق: سامي سلامة.

(٥) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٣٩٧)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

المبحث السادس: الإحسان:

الإحسان من الأخلاق التي يحبها الله ويحب فاعلها، ففي هذه الصفة من الرحمة بالناس وتلمس حاجاتهم ما لا يخفى على أولي النهى، وقد جاءت الشرائع السماوية بالحثّ على كل فضيلة والنهي عن كل رذيلة، وإن من أولى الناس بتحقيق الإحسان بلا شك رسل الله وأنبياؤه عليهم الصلاة والسلام، ليتحقق المقصود من الدعوة إلى الله، فالناس يميلون بفطرهم لكل من يحسن إليهم ويرعى حقوقهم ويكرمهم.

تعريف الإحسان:

الإحسان لغة:

الإحسانُ: ضدُّ الإساءة[١].

الإحسان اصطلاحا:

وقد ورد في حديث جبريل الطويل عن ابن عمر ﷺ: ((أنْ تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك))[٢].

الإحسان في المعاملة:

قال الغزالي: «ونعني بالإحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم»[٣].

وقد جعل الله الإحسان سمة بارزة في الشرائع السماوية، في العبادات والمعاملات وتطبيق الحدود والأحكام.

ونصوص الوحيين زاخرة بالدعوة للإحسان في كل شيء ومنها:

---

(١) تهذيب اللغة: (٤/ ١٨٣)، للأزهري، مادة (ح. س. ن)، تحقيق: محمد مرعب.

(٢) صحيح مسلم: (١/ ٣٦)، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، برقم: (١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) إحياء علوم الدين: (٢/ ٧٩)، لمحمد الغزالي، دون ذكر المحقق.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾[البقرة: ٨٣].

وقوله: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

وورد عن شداد بن أوس ﷺ أنّه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته))[1].

وعاقبة الإحسان الجنة والنظر لوجه الله سبحانه: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[يونس: ٢٦][2].

وقد اشتملت قصة يوسف ﷺ على عدة صور من الإحسان، من أهمها العفو عن إخوته، واستغفار يعقوب لبنيه والذي سبق الحديث عنه في المبحث الرابع من هذا الفصل.

أما الآيات التي وردت في القصة بلفظ الإحسان صراحة فهي:

١- **قوله تعالى:** ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف: ٢٢].

إنّ يوسف من المحسنين في عبادة الخالق ببذل الجهد والنصح فيها، وإلى عباد الله ببذل النفع والإحسان إليهم، نؤتيهم من جملة الجزاء على إحسانهم علما نافعا[3].

٢- **وقوله:** ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف: ٣٦].

---

(١) صحيح مسلم: (٣/ ١٥٤٨)، كتاب الصيد...إلخ، باب: الأمر بإحسان الذبح...إلخ، برقم: (١٩٥٥)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٣٦٢)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٣٩٥)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

وقولهما: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: من أهل الإحسان إلى الخلق، فأحسن إلينا في تعبيرك لرؤيانا، كما أحسنت إلى غيرنا، فتوسلا ليوسف بإحسانه(١).

٣- وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف: ٥٦- ٥٧].

﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: ويوسف عليه السلام من سادات المحسنين، فله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ولهذا قال: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ أي: لمن جمع بين التقوى والإيمان، فبالتقوى تترك الأمور المحرمة من كبائر الذنوب وصغائرها، وبالإيمان التام يحصل تصديق القلب، بما أمر الله بالتصديق به، وتتبعه أعمال القلوب وأعمال الجوارح، من الواجبات والمستحبات(٢).

٤- وقوله: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [يوسف: ٧٨].

إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ في أفعالك، وقيل: من المحسنين إلينا في توفية الكيل، وحسن الضيافة، ورد البضاعة، وقيل: يعنون إن فعلت ذلك كنت من المحسنين(٣).

قال الغزالي: والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة فلا ينبغي للعبد أنْ يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع أبواب الإحسان وقد قال الله: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦](٤).

---

(١) تفسير السعدي: (١/ ٣٩٧)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) تفسير السعدي: (١/ ٤٠٠)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) تفسير البغوي: (٤/ ٢٦٤)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٤) انظر: إحياء علوم الدين: (٢/ ٧٩)، لمحمد الغزالي، دون ذكر المحقق.

المبحث السابع: العلم:

العلم هبة من الله يهبها الله من يشاء، ومع تعدد العلوم وتشعبها يبقى على هامتها العلم بأشرف العلوم وهو ما يتعلق بالله، هذا العلم الذي وهبه الله للخاصة من خلقه، وأطلعهم فيه على أسمائه وصفاته، وعلى بعض المغيبات وأمور المعاد وما سيحصل للمخلوقات وما هو مصيرها، والغاية من الخلق، فالأنبياء عليهم السلام قد خصهم الله بهذا العلم لينقلوه لأقوامهم الذين بعثوا إليهم، ليزول الجهل ويستنير القلب وتقوم الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥].

ومن المسلّمات أنْ تكون أول صفات النبي العلم، الذي يبلغه عن الله، مع ما يحمله من الأدلة على تصديق خبره، من معجزات وعلامات.

والعلم قرين التقوى، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة: ٢٨٢]، كما أنّه يُورث الخشية، ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨]، وقد أوتي الأنبياء العلم والعمل بكل ما يبلغونه عن الله، ليتحقق مبدأ القدوة الحسنة ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد دلت قصة يوسف عليه السلام على ما امتن الله به على أنبيائه المذكورين في القصة من العلم به سبحانه وتقواه، وذلك في الآيات التالية:

١- قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١].

عن مجاهد: ﴿مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ قال: عبارة الرؤيا[1].

والعلم بتعبير الرؤى مما اختص الله به يوسف عليه السلام عن سائر الأنبياء.

---

(١) تفسير الطبري: (١٥/ ٢٠)، تحقيق: أحمد شاكر.

٢- وقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف: ٢٢].

دلّ هذا، على أنّ يوسف وفّى مقام الإحسان، فأعطاه الله الحكم بين الناس والعلم الكثير والنبوة[١].

٣- وقوله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يوسف: ٦٨].

والمراد بعلم يعقوب في الآية:

((لذو عمل بعلمه))،وقيل: ((لذو علم لتعليمنا إياه))[٢].

٤- وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف: ٨٦].

والمراد: أعلم من حياة يوسف ما لا تعلمون.

٥- وقوله: ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١].

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾، يعني: من ملك مصر﴿وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾، يعني من عبارة الرؤيا، تعديدًا لنعم الله عليه، وشكرًا له عليها[٣].

وَعَنْ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ (ت: ١٣٥هـ)[٤]: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص: ٤٥]، قَالَ: ((أولو القوة في العبادة والبصر والعلم بأمر الله، وعن مجاهد وروي عن قتادة قال: أعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين))[٥].

---

(١) تفسير السعدي: (١/ ٣٩٥)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) تفسير ابن كثير: (٤/ ٤٠٠)، تحقيق: سامي سلامة.

(٣) تفسير الطبري: (١٦/ ٢٧٨)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٤) عطاء بن أبي مسلم الخراساني، المحدث الواعظ، أصله من بلخ، عده الذهبي في الطبقة الخامسة لرواة الحديث، روى عن: ابن المسيب، وعطاء بن أبي رباح، وروى عنه: شعبة وسفيان، وعدد كثير، وثقه ابن معين، ووصفه ابن حبان بكثرة الوهم ورداءة الحفظ، أما البخاري فقد وصف بقوله: (عامة أحاديثه مقلوبة)، (انظر: سير أعلام النبلاء٦/ ١٤٠، ١٤١، ١٤٢)، للذهبي، بإشراف شعيب الأرناؤوط).

(٥) مجموع الفتاوى: (١٩/ ١٧٠، ١٧١)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

قال ابن قتيبة (ت. ٢٧٦هـ)[1]: «...فالعلم النافع هو الإيمان، والعمل الصالح هو الإسلام، العلم النافع من علم الله، والعمل الصالح هو العمل بأمر الله، هذا تصديق الرسول فيما أخبر، وهذا طاعته فيما أمر»[2].

وبهذا تم الحديث عن صفة العلم، فاللهم إنا نسألك علما نافعا وعملا متقبلا.

---

(١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي، له تصانيف مفيدة منها: (المعارف، أدب الكاتب، غريب القرآن، غريب الحديث، إعراب القراءات...إلخ)، حدّث عن ابن راهويه، وأبي حاتم السجستاني وغيرهما، (انظر: وفيات الأعيان: (٣/ ٤٢، ٤٣)، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس.

(٢) مجموع الفتاوى: (١٩/ ١٧٠، ١٧١)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

المبحث الثامن: الصدق:

معنى الصدق:

الصدق ضد الكذب[١].

لم تخل نصوص الكتاب والسنة من امتداح الصادقين وذكر عظيم جزاءهم وما أعده الله لهم من النعيم المقيم، ولم تكن قصة يوسف عليه السلام إلا أنموذجا من بيان صدق أنبياء الله ورفعة مقامهم وتأييد الله لهم.

ومما ورد: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩].

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣ـ ٢٤].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزمر: ٢٣ـ ٣٥].

وفي هذه الآية عدة وقفات:

الأولى: أن الصدق يكون في القول والعمل، ويدخل في ذلك الأنبياء ومن قام مقامهم، ممن صدق فيما قاله عن خبر الله وأحكامه، وفيما فعله من خصال الصدق.

الثانية: أن الإنسان قد يجيء بالصدق، ولكن قد لا يصدق به، بسبب استكباره، أو احتقاره لمن قاله وأتى به، فلا بد في المدح من الصدق والتصديق، فصدقه يدل على علمه وعدله، وتصديقه يدل على تواضعه وعدم استكباره.

الثالثة: أن جميع خصال التقوى ترجع إلى الصدق بالحق والتصديق به.

---

(١) تهذيب اللغة: (٨/ ٢٧٦)، للأزهري، مادة: (ق. ص. د)، تحقيق: محمد عوض مرعب.

الرابعة: جزاء الصادقين: أن لهم ما يشاءون عند ربهم من الثواب، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فكل ما تعلقت به إرادتهم ومشيئتهم، من أصناف اللذات والمشتهيات، فإنه حاصل لهم، معد مهيأ.

الخامسة: أن الصادقين قد نالوا مقام الإحسان: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

السادسة: امتنان الله عليهم بتكفير ذنوبهم الصغار بسبب إحسانهم وتقواهم: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[1].

ومما صح عنه ﷺ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قوله: ((بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه...)) الحديث[2].

وقد دلت القصة على وصف يوسف عليه السلام بالصدق:

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾ [يوسف: ٢٧ـــ ٢٨].

جعل الله تعالى للحق والصدق علامات وأمارات تدل عليه، قد يعلمها العباد وقد لا يعلمونها، فمن الله في هذه القضية بمعرفة الصادق منهما، تبرئة لنبيه وصفيه يوسف عليه السلام، فانبعث شاهد من أهل بيتها، يشهد بقرينة من وجدت معه، فهو الصادق، فقال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾، لأن ذلك يدل على أنه هو المقبل عليها، المراود لها المعالج، وأنها أرادت أن تدفعه عنها، فشقت قميصه من هذا الجانب.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ لأن ذلك يدل على هروبه منها، وأنها هي التي طلبته فشقت قميصه من هذا الجانب.

---

(١) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٧٢٤)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) صحيح البخاري: (٣/ ١٢٧٨)، كتاب: الأنبياء، باب: (أم حسبت أنّ أصحاب الكهف والرقيم...)، (الآية: الكهف، ٩)، برقم: (٣٢٧٨)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ عرف بذلك صدق يوسف وبراءته، وأنها هي الكاذبة[١].

وقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف: ٤٦].

وصف رسول الملك يوسف بالصديق، وهو أحد الفتيين، والذي رأى أنه يعصر خمرا، وقد أوصاه يوسف أن يذكره عند ربه، فنسي ولم يعنفه يوسف على نسيانه، بل استمع ما يسأله عنه، وأجابه، والمراد بالصديق: كثير الصدق في أقواله وأفعاله[٢].

وأيضا قوله تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف: ٥١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وغير واحد: تقول الآن: تبين الحق وظهر وبرز.

﴿رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي: في قوله: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾[٣].

وقد وصف القرآن الأنبياء بالصدق تحديدا في آيات عديدة منها:

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم: ٤١].

وقوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم: ٥٤].

وقوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ [مريم: ٥٦].

وكل ما يجريه الله على يد أنبيائه من العلامات والآيات، وكذلك ما يحل بأقوامهم من العقوبات والإهلاك، وذكر أشراط الساعة هو من دلائل صدقهم[٤].

---

(١) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٣٩٦)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٣٩٩)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٩٤)، تحقيق: سامي سلامة.

(٤) انظر: النبوات: (١٥/ ٩، ١٣، ١٤)، لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان.

المبحث التاسع: القوة:

القوة صفة المؤمن وهي من ضمن الصفات التي يحبها الله سبحانه، لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف...))[(١)].

فإن كان المؤمن مطالبا بالاتصاف بالقوة، التي رغب الله فيها لكونها من محابه تعالى، فالأنبياء المبلغين عن الله مطالبين بها من باب أولى، وهم من أسبق الناس وأحرصهم لنيل محبة الله.

قال الله تعالى لموسى عليه السلام حين كتب له الألواح: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾[الأعراف: ١٤٥].

وقال الله جل وعز ليحيى عليه السلام: ﴿خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ﴾[مريم: ١٢].

معنى القوة لغة:

القوة من تأليف: (قوي)، ولكنها حملت على فعلة، فأدغمت الياء في الواو كراهية تغير الضمة، والفعالة منها قواية، يقال ذلك في الحزم دون البدن.

ويقال: أقويت حبلك، وهو حبل مقوى، وهو أن ترخى قوة وتغير قوة، فلا يلبث الحبل أن يتقطع)، ومنه الإقواء في الشعر.

وقيل: القوة: الخصلة الواحدة من قوى الحبل[(٢)]، والقوة نقيض الضعف[(٣)].

ويدل على ذلك من قصة يوسف عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾[يوسف: ٢٢].

والمعنى: بلغ منتهى شدته وقوته في شبابه وحده، وذلك فيما بين ثماني عشرة إلى ستين سنة، وقيل إلى أربعين سنة.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٤/ ٢٠٥٢) برقم: ٢٦٦٤، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) تهذيب اللغة: (٩/ ٢٧٤)، للأزهري، مادة: (قوى)، تحقيق: محمد عوض مرعب.

(٣) لسان العرب: (١٥/ ٢٠٧)، لابن منظور، مادة: (قوا)، دون ذكر المحقق.

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى يوسف لما بلغ أشده حكما وعلما، و (الأشد): هو انتهاء قوته وشبابه، وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثماني عشرة سنة أو عشرين سنة أو ثلاث وثلاثين سنة، ولا دلالة له في كتاب الله، ولا أثر عن الرسول ﷺ، ولا في إجماع الأمة، على أي ذلك كان[١].

ويعتبر فيمن أكرمه الله تعالى بالنبوة أن يكون قويا بأعباء ما حمل من ثقل النبوة، والقوة الطاقة، وتكون في البدن والعقل، ولا بد من أن يكون النبي ذا عقل صحيح، وفهم رجيح، وعلم بالأمور الدينية حسن الخلق والخلق[٢].

---

(١) انظر تفسير الطبري: (١٥/ ٢١، ٢٣)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) انظر: لسان العرب: (١٥/ ٢٠٧)، لابن منظور، مادة: (قوى)، وانظر: لوامع الأنوار البهية: (٢/ ٢٦٦)، لمحمد السفاريني، دون ذكر المحقق.

المبحث العاشر: الأمانة:

عن أنس بن مالك ﷺ قال ما خطبنا نبي الله ﷺ إلا قال: ((لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له))(١).

ففي الحديث عد النبي ﷺ الأمانة من الإيمان، وعلامة من علاماته.

وقد وصف الله أنبيائه في كتابه سبحانه بالأمانة في آيات كثيرة منها:

قال تعالى على لسان نوح ﷺ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الشعراء: ١٠٦ــ ١٠٧].

وقد تكررت هذه الآية: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على ألسنة عديد من الأنبياء في سورة الشعراء.

وجاء على لسان هود ﷺ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف: ٦٨].

وعن موسى ﷺ يقول تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الدخان: ١٧ــ ١٨].

وقد ذكرت القصة ما اتصف به يوسف ﷺ ﷺ من الأمانة.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف: ٤٥ــ ٥٥].

والمراد: بالمكانة: المكانة في الجاه، والأمانة: الصدق(٢).

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ﴾ قيل: على خراج مصر ودخله.

﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ أي: حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها، وقيل: كاتب حاسب. وقيل: حفيظ لما استودعتني، عليم بما وليتني.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: (٣/ ٢١٠)، مسند: أنس بن مالك، برقم: (١٣٢٢٢)، دون ذكر المحقق. صححه ابن حبان: (١/ ٤٢٢)، كتاب: الإيمان، باب: فرض الإيمان، برقم: (١٩٤)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

(٢) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢٥٠)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

فولاه الملك ذلك وقال له: إنك اليوم لدينا ذو مكانة ومترلة، أمين على الخزائن[١].

والأنبياء أمناء على كل ما يبلغونه عن الله ﷻ لعباده، ومعلوم أن بني إسرائيل كانوا أكثر الأمم أنبياء بعث إليهم موسى ﷺ وبعث إليهم بعده أنبياء كثيرون حتى قيل: إنهم ألف نبي وكلهم يأمرون بشريعة التوراة ولا يغيرون منها شيئا، ثم جاء المسيح بعد ذلك بشريعة أخرى غير فيها بعض شرع التوراة بأمر الله ﷻ[٢].

وقد كان رسول الله ﷺ أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارا وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تترها وتكرما حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين[٣].

ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدوا للقتال، فاقترح عليهم أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله- وكان عامئذ أسن قريش كلها-، أن يجعلوا بينهم فيما يختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد للقضاء بينهم ففعلوا، وكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمد[٤].

---

(١) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢٥١)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/ ١٠٠)، لابن تيمية، تحقيق: د. علي حسن، وآخرون.

(٣) انظر: السيرة النبوية: (١/ ٣٢٣)، لابن هشام الحميري، تحقيق: طه عبد الرؤوف.

(٤) انظر: السيرة النبوية: (٢/ ١٨، ١٩)، لابن هشام الحميري، تحقيق: طه عبد الرؤوف.

المبحث الحادي عشر: الكرم:

الكرم لغة:

كلمة مشتقة من الفعل: (كرم)، وكرم فلان كرما وكرامة أعطى بسهولة وجاد فهو كريم، و (كرم) السحاب جاد بمطره ويقال كرم المطر كثر ماؤه[١].

ولفظ الكرم لفظ جامع للمحاسن والمحامد. لا يراد به مجرد الإعطاء بل الإعطاء من تمام معناه فإن الإحسان إلى الغير تمام المحاسن. والكرم كثرة الخير ويسرته[٢].

ولقد دعا الإسلام لمكارم الأخلاق كلها، وقد عرف الكرم في الجاهلية قبل البعثة المحمدية صلوات الله وسلامه على صاحبها، وعلى أنبياء الله أجمعين.

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه))[٣].

والكرم مرتبط بفطرة الإنسان، إلا من ابتلاه الله بالبخل والجشع، فالإنسان بفطرته يحب أن يكرم غيره، وفي المقابل ينتظر الكرم ممن أحسن إليه وأكرمه، على تنوع أنواع الكرم قولا وعملا.

وقدوة الناس في مكارم الأخلاق كلها أنبياء الله عليهم السلام، وقد وردت الأدلة البينة على اتصافهم بالكرم، ومن ذلك:

قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ [هود: ٦٩].

أي: ذهب سريعا، فأتاهم بالضيافة، وهو عجل: فتى البقر، حنيذ: أي مشوي شيا ناضجا على الرضف، وهي: (الحجارة المحماة)[٤].

---

(١) انظر: المعجم الوسيط: (٢/ ٧٨٤)، تأليف: إبراهيم مصطفى، وآخرون، مادة: (كرم)، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

(٢) مجموع الفتاوى: (١٦/ ٢٩٣)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٣) صحيح مسلم: (١/ ٦٨)، كتاب: الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار...إلخ، برقم: (٧٤)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٣٢، ٣٣٣)، تحقيق: سامي سلامة.

وما ذكر في صفة العفو التي اتصف بها الأنبياء دليل آخر على كرم الأنبياء، فالعفو إحسان وكرم من النفوس تجاه من أساء إليها وهذا من أعظم الكرم.

وأما قصة يوسف عليه السلام فقد أظهرت كريم فعاله، ومن ضمنها صفة الكرم، وذلك من خلال الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [يوسف: ٥٩].

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ أي: أتمه ولا أبخسه، وأزيدكم حمل بعير لأخيكم ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾ [يوسف: ٦٠] توعدهم ألا يبيعهم الطعام إن لم يأتوا به.

قوله تعالى: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما- أنه رخص لهم في السعر فصار زيادة في الكيل. والثاني- أنه كال لهم بمكيال واف.

(وأنا خير المترلين) فيه وجهان: أحدهما- أنه خير المضيفين، لأنه أحسن ضيافتهم، قاله مجاهد. الثاني- وهو محتمل، أي خير من نزلتم عليه من المأمونين، وهو على التأويل الأول مأخوذ من الترل وهو الطعام، وعلى الثاني من المترل وهو الدار[1].

وأيضا: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف: ٦٢].

قال يوسف لفتيانه الذين في خدمته: ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ أي: الثمن الذي اشتروا به من الميرة. ﴿فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ أي: بضاعتهم إذا رأوها بعد ذلك في رحالهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لأجل التحرج من أخذها على ما قيل، والظاهر أنه أراد أن يرغبهم في إحسانه إليهم بالكيل لهم كيلا وافيا، ثم إعادة بضاعتهم إليهم على وجه لا يحسون بها، ولا يشعرون لما يأتي، فإن الإحسان يوجب للإنسان تمام الوفاء للمحسن[2].

---

(١) تفسير القرطبي: (٩/ ٢٢١، ٢٢٢)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش.

(٢) تفسير السعدي: (١/ ٤٠١)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

وقوله: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥﴾ [يوسف: ٦٥].

والمعنى: أي شي نطلب وراء هذا؟! وفى لنا الكيل، ورد علينا الثمن(١).

وبالحديث عن صفة الكرم تم ختم الفصل الثاني: دلالة قصة يوسف عليه السلام على صفات الأنبياء عليهم السلام وأحوالهم.

(١) تفسير القرطبي: (٩/ ٢٢٤)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش.

الفصل الثالث

دلالة قصة يوسف عليه السلام على نبوة بعض الأنبياء

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثاني: إسحاق عليه السلام.

المبحث الثالث: يعقوب عليه السلام.

المبحث الرابع: يوسف عليه السلام.

المبحث الخامس: الأسباط عليهم السلام.

المبحث السادس: محمد ﷺ.

المبحث الأول: إبراهيم عليه السلام:

وفي هذا المبحث سيذكر الآتي:

أولا: دعوة إبراهيم عليه السلام:

بعث إبراهيم عليه السلام إلى قوم يعبدون الكواكب والأصنام وكل من كان على وجه الأرض كانوا كفارا سوى إبراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط عليهم السلام وقد أزال الله به تلك الشرور وأبطل به ذاك الضلال فإن الله سبحانه وتعالى آتاه رشده في صغره وابتعثه رسولا واتخذه خليلا في كبره **قال تعالى:** ﴿ ۞ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ** ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥١]. أي كان أهلا لذلك[١].

وأول من دعا أبيه، وكان أبوه يعبد الأصنام لأنه أحق الناس بإخلاص النصيحة له، **قال تعالى:** ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤١ــ ٤٢].

لكن إبراهيم عليه السلام قوبل بالرفض الشديد من قبل والده، وقد استغفر له إبراهيم عليه السلام كما وعده في أدعيته، **قال تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤][٢].

وأما عبدة الأصنام من قومه فقد ناظرهم في عبادتها وكسرها عليهم وأهانها وبين بطلانها **كما قال تعالى:** ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت: ٢٥][٣].

وقد ذكر القرآن حواره مع قومه في عبادتهم للكواكب، **قال تعالى:** ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ** ﴿٧٦﴾﴾ [الأنعام: ٧٦].

---

(١) انظر: البداية والنهاية: (١/ ١٦١)، لابن كثير، تحقيق: علي شيري.

(٢) انظر: البداية والنهاية: (١/ ١٦٢، ١٦٣)، لابن كثير، تحقيق: علي شيري.

(٣) انظر: البداية والنهاية: (١/ ١٦٥)، لابن كثير، تحقيق: علي شيري.

إلى أن قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩].

وقد كان في هذا المقام مناظرا لقومه ومبينا لهم أن هذه الأجرام المشاهدة من الكواكب النيرة لا تصلح أن تعبد مع الله ﷻ لأنها مخلوقة مربوبة مصنوعة مدبرة مسخرة تطلع تارة وتأفل أخرى فتغيب عن هذا العالم والرب تعالى لا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية بل هو الدائم الباقي بلا زوال لا إله إلا هو ولا رب سواه(١).

ثانيا: ذرية إبراهيم عليه السلام:

وأما ما يتعلق بذريته فقد سأل الله ذرية طيبة، فاستجاب الله دعوته ورزقه بإسماعيل وإسحاق، وجعل الله في ذريته النبوة والكتاب(٢).

ثالثا: بناء الكعبة:

ومن أهم الأحداث في نبوته بناء الكعبة، والتي لا تزال مقصدا للمسلمين يعظمون الله ويلبون ندائه بالحج إليها كل عام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

رابعا: ثناء الله على إبراهيم عليه السلام:

وقد أثنى الله على إبراهيم عليه السلام في كتابه، **قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٦].

فكل كتاب أنزل من السماء على نبي من الأنبياء بعد إبراهيم الخليل فمن ذريته وشيعته.

وقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٧ــ ٦٨].

---

(١) انظر: البداية والنهاية: (١/ ١٦٥)، لابن كثير، تحقيق: علي شيري.

(٢) انظر: البداية والنهاية: (١/ ١٧٦)، لابن كثير، تحقيق: علي شيري.

وفي الآية ينكر تعالى على أهل الكتاب من اليهود والنصارى دعواهم أن الخليل على ملتهم وطريقتهم فبرأه الله منهم وبين كثرة جهلهم وقلة عقلهم في **قوله:** ﴿**وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ**﴾ [آل عمران: ٦٥][١].

وهو أحد أولي العزم الخمسة المنصوص على أسمائهم من بين سائر الأنبياء في آيتي الأحزاب: آية: (٧)، والشورى: آية (١٣)، **قال تعالى:** ﴿**وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧**﴾ [الأحزاب: ٧][٢].

وقد ذكر الله خلته لإبراهيم في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥**﴾ [النساء: ١٢٥].

والخلة أعلى أنواع المحبة، وهذه المرتبة حصلت للخليلين محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وأما المحبة من الله فهي لعموم المؤمنين، وإنما اتخذ الله إبراهيم خليلا لأنه وفى بما أمر به وقام بما ابتلي به، فجعله الله إماما للناس، واتخذه خليلا ونوه بذكره في العالمين[٣].

أما الثناء عليه في السنة المطهرة فعن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبيﷺ قال: (الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام)[٤].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قلنا يا رسول الله هذا التسليم فكيف نصلي عليك؟ قال: (قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم وبارك على

---

(١) انظر: البداية والنهاية: (١/ ١٨٩، ١٩٢، ١٩٣)، لابن كثير، تحقيق: علي شيري.

(٢) انظر: البداية والنهاية: (١/ ١٩٦)، لابن كثير، تحقيق: علي شيري.

(٣) تفسير السعدي: (١/ ٢٠٦)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) صحيح البخاري: (٣/ ١٢٤٠)، كتاب: الأنبياء، باب قوله تعالى: (لقد كان في يوسف وإخوته...)، (الآية: يوسف، ٧)، برقم: (٣٢١٠)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم)، قال أبو صالح عن الليث: (على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم)[١].

خامسا: دلالة قصة يوسف عليه السلام على نبوة إبراهيم عليه السلام:

ومما يدل على نبوته من قصة يوسف عليهما السلام **قوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف: ٦].

والشاهد في قوله: ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ﴾، باتخاذه إبراهيم خليلا وتنجيته من النار. وفدية هذا بذبح عظيم[٢].

وقيل: ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ﴾، فجعلهما نبيين[٣].

---

(١) صحيح البخاري: (٤/ ١٨٠٢)، كتاب: التفسير، باب قوله تعالى: (إنّ الله وملائكته يصلون على النبي. ...)، (الآية: الأحزاب: ٥٦)، برقم: (٤٥٢٠)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٢) انظر: تفسير الطبري: (١٥/ ٥٦٠)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٣) تفسير البغوي: (٤/ ٢١٤)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

المبحث الثاني: إسحاق عليه السلام:

إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وأمه سارة بنت عم إبراهيم عليه السلام.

وأخوه نبي الله إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر القبطية المصرية.

وقد ولد ولأبيه مائة سنة بعد أخيه إسماعيل بأربع عشر سنة، وكان عمر أمه سارة حين بشرت به تسعين سنة **قال الله تعالى**: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الصافات: ١١٢ــ ١١٣]. وقد ذكره الله تعالى بالثناء عليه في غير ما آية من كتابه العزيز.

وعندما تزوج كانت زوجته عاقرا فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين توأمين أولهما سموه: عيصو، والثاني: فسموه يعقوب وهو إسرائيل[(١)].

رؤيا إبراهيم عليه السلام وقصة والفداء:

وفيها يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٢].

كان فيما ذكر أن إبراهيم نذر حين بشرته الملائكة بإسحاق ولدا أن يجعله إذا ولدته سارة لله ذبيحا؛ فلما بلغ إسحاق مع أبيه السعي أري إبراهيم في المنام، فقيل له: أوف لله بنذرك، ورؤيا الأنبياء يقين، فلذلك مضى لما رأى في المنام، وقال له ابنه إسحاق ما قال[(٢)].

﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٧].

وفدينا إسحاق بذبح عظيم، والفدية: الجزاء، يقول: جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم، وأنقذناه من الذبح[(٣)].

اختلف أهل التأويل، في المفدي من الذبح من ابني إبراهيم:

فقال بعضهم: هو إسحاق، وقال آخرون: إسماعيل.

---

(١) انظر: البداية والنهاية: (١/ ٢٠٢، ٢٢٢، ٢٢٣)، تحقيق: علي شيري.

(٢) تفسير الطبري: (٢١/ ٧٤)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٣) تفسير الطبري: (٢١/ ٧٩)، تحقيق: أحمد شاكر.

عن عبد الله بن عباس ﭬ أنه قال: المفدي إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود[(١)].

وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة أيضا، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وقد يكون ذلك متلقى عن أحبار أهل الكتاب،وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: { وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين }،ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا: { إنا نبشرك بغلام عليم } [الحجر:٥٣]،وقال تعالى: { فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب } [هود:٧١]، أي: يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل،ولا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير؛ لأن الله [تعالى] قد وعدهما بأنه سيعقب، ويكون له نسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيرا، وإسماعيل وصف هاهنا بالحليم؛ لأنه مناسب لهذا المقام[(٢)].

والذي يظهر والله أعلم بالصواب أن المفدي هو إسماعيل عليه السلام وهو الراجح في المسألة.

دلالة قصة يوسف عليه السلام على نبوة إسحاق عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ [يوسف: ٦].

والشاهد في قوله: ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾.

بفدية إسحاق بذبح عظيم، وجعله نبيا[(٣)].

(١) انظر: تفسير الطبري: (٢١/ ٨٢، ٨٣)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: (٧ / ٢٧)، تحقيق: سامي سلامة.

(٣) انظر: تفسير الطبري: (١٥/ ٥٦٠)، تحقيق: أحمد شاكر، وانظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢١٤)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

المبحث الثالث: يعقوب عليه السلام:

يعقوب بن إسحاق[١] بن إبراهيم الخليل عليهم السلام، والد نبي الله يوسف عليه السلام، والذي أفردت هذه القصة في القرآن لبيان الأحداث التي تعرض لها ابنه يوسف مع إخوته، وما أصابه من الحزن على فقده.

وقد بلغ عدد بنيه أحد عشر ابنا[٢].

دلالة قصة يوسف عليه السلام على نبوة يعقوب عليه السلام:

وهذه الآية كانت دليلا على نبوة إبراهيم وإسحاق عليهما السلام، ودليل في هذا الموضع على نبوة يعقوب عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف: ٦].

وقال: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف: ٨٦].

عن ابن عباس رضي الله عنه في **قوله:** ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأني سأسجد له[٣].

وقال: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يوسف: ٩٦].

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من حياة يوسف وأن الله يجمع بيننا[٤].

وذكر القرآن وصيته لبنيه بالإخلاص وهو دين الإسلام الذي بعث الله به الأنبياء عليهم السلام، **قال تعالى:** ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ

---

(١) البداية والنهاية: (١/ ٢٢٥)، تحقيق: علي شيري.

(٢) انظر: البداية والنهاية: (١/ ٢٥٣)، تحقيق: علي شيري.

(٣) تفسير الطبري: (١٦/ ٢٢٧)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٤) تفسير البغوي: (٤/ ٢٧٦)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٣][1].

(١) انظر: البداية والنهاية: (١/ ٢٥٣)، تحقيق: علي شيري.

المبحث الرابع: يوسف عليه السلام:

نبي الله يوسف بن يعقوب عليه السلام الكريم بن الكريم، سليل الأنبياء عليهم السلام.

دلالة قصة يوسف عليه السلام على نبوته.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف: ٤].

عن قتادة، في **قوله:** ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ قال: ((الكواكب: إخوته، والشمس والقمر: أبواه))[١].

ولقد تقدم أن الرؤيا الصالحة نوع من أنواع الوحي بالأدلة، وبعد كل الابتلاءات والمحن التي تعرض لها كان تعبير الرؤيا التي رفع الله بها مقامه وفضله.

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف: ٦].

أخبر الله عن قيل يعقوب لابنه يوسف، لما قص عليه رؤياه: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ﴾ وهكذا يجتبيك ربك. يقول: كما أراك ربك الكواكب والشمس والقمر لك سجودا، فكذلك يصطفيك ربك.

وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾، وذلك تعبير الرؤيا[٢].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يوسف: ١٥].

وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾، يقول: وأوحينا إلى يوسف لتخبرن إخوتك (بأمرهم هذا) يقول: بفعلهم هذا الذي فعلوه بك ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾يقول: وهم لا يعلمون ولا يدرون.

ثم اختلف أهل تأويل في معنى قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

---

(١) تفسير الطبري: (١٥/ ٥٥٧)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) تفسير الطبري: (١٥/ ٥٥٩، ٥٦٠)، تحقيق: أحمد شاكر.

فقال بعضهم: عنى بذلك: أن الله أوحى إلى يوسف أن يوسف سينبئ إخوته بفعلهم به ما فعلوه: من إلقائه في الجب، وبيعهم إياه، وسائر ما صنعوا به من صنيعهم، وإخوته لا يشعرون بوحي الله إليه بذلك.

وعن قتادة، قوله: (((وهم لا يشعرون)، بما أطلع الله عليه يوسف من أمرهم، وهو في البئر))[١].

وقال تعالى: ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف: ٢١ــ ٢٢].

وقد سبق بيان معنى هذه الآية، وما فيها من امتنان الله على يوسف، بالحكم بين الناس والعلم والنبوة.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: (١٥/ ٥٧٥، ٥٧٦)، تحقيق: أحمد شاكر.

المبحث الخامس: الأسباط عليهم السلام:

والأسباط: أولاد يعقوب وهم اثنا عشر ولدا، وقيل: أحد عشر ابنا كما تقدم، ولكل واحد منهم من الأولاد جماعة، والسبط في بني إسرائيل بمترلة القبيلة في العرب، وسموا الأسباط من السبط وهو التتابع فهم جماعة متتابعون، وقيل أصله: من السبط بالتحريك وهو الشجر، أي: هم في الكثرة بمترلة الشجر، وقيل الأسباط حفدة يعقوب أي أولاد أولاده لا أولاده، لأن الكثرة إنما كانت فيهم دون أولاد يعقوب في نفسه فهم أفراد لا أسباط[(١)].

دلالة قصة يوسف عليه السلام على الأسباط:

المسألة في إثبات النبوة في حق الأسباط خلافية، من جهة المراد بهم، ومن جهة المراد بآل يعقوب في الآية التالية:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾ [يوسف: ٦].

والمعنى في **قوله:** ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾، أي: على أولاده فإن أولاده كلهم كانوا أنبياء[(٢)].

وجاء ذكر الأسباط في مواضع أخرى من كتاب الله:

قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾: وهم الأنبياء من ولد يعقوب[(٣)].

وقوله: ﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النساء: ١٦٣].

---

(١) انظر: فتح القدير: (١/ ١٤٧)، للشوكاني، دون ذكر المحقق.

(٢) تفسير البغوي: (٤/ ٢١٤)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٣) تفسير الطبري: (٣/ ١٠٩)، تحقيق: أحمد شاكر.

وفي أصح الأقوال أنهم كانوا أنبياء، للآية المذكورة، ومما يدل على ذلك رؤيا يوسف، حيث رآهم كواكب نيرة، والكواكب فيها النور والهداية الذي من صفات الأنبياء، فإن لم يكونوا أنبياء فإنهم علماء هداة(١).

حجة من نفى نبوة الأسباط:

١- أن الذي يدل عليه القران واللغة والاعتبار أن إخوة يوسف ليسوا بأنبياء، وليس في القرآن ولا عن النبي ﷺ بل ولا عن أصحابه خبر بأن الله تعالى نبأهم.

٢- رد الاحتجاج على نبوتهم بآيتي البقرة والنساء (والأسباط)، حيث فسر البعض الأسباط بأنهم أولاد يعقوب، والصواب أنه ليس المراد بهم أولاده لصلبه بل ذريته، كما يقال فيهم أيضا: (بنو إسرائيل)، وكان في ذريته الأنبياء، فالأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من بني إسماعيل.

٣- أنهم سموا بالأسباط لكثرتهم، فكما أن الأغصان من شجرة واحدة، كذلك الأسباط كانوا من يعقوب، والأسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثني عشر(٢).

٤- وقال تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٥٩ــ١٦٠]، فهذا صريح في أن الأسباط هم الأمم من بني إسرائيل، كل سبط أمة، لا أنهم بنوه الاثنا عشر. بل لا معنى لتسميتهم قبل أن تنتشر عنهم الأولاد أسباطا، فالحال أن السبط هم الجماعة من الناس.

٥- وإنما سموا بالأسباط من عهد موسى للآية المتقدمة، ومن حينئذ كانت فيهم النبوة، فإنه لا يعرف أنه كان فيهم نبي قبل موسى إلا يوسف. ولما ذكر الأنبياء من ذرية إبراهيم قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى

---

(١) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٤٠٧)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) انظر: جامع المسائل: (٣/ ٢٩٧)، لابن تيمية، تحقيق: محمد عزيرشمس.

ﭐلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام: ٨٤] والآيات: (٨٥، ٨٦)، ذكر يوسف ومن معه، ولم يذكر الأسباط، فلو كان إخوة يوسف نبئوا كما نبئ يوسف لذكروا معه.

٦- أن الله يذكر عن الأنبياء من المحامد والثناء ما يناسب النبوة، وإن كان قبل النبوة، كما قال عن موسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ...﴾ [القصص: ١٤]، وقال في يوسف كذلك، وفي الحديث: ((أكرم الناس يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، نبي من نبي من نبي))[1]، فلو كانت إخوته أنبياء لشاركوه في هذا الكرم، وقد قص الله قصة يوسف وما فعلوا معه، ولم يذكر من فضلهم ما يناسب النبوة، ولا خصائص الأنبياء، إنما حكى عنهم الاعتراف وطلب الاستغفار، ولا ذكر سبحانه عن أحد من الأنبياء -لا قبل النبوة ولا بعدها- أنه فعل مثل هذه الأمور العظيمة، من عقوق الوالد، وقطيعة الرحم، وإرقاق المسلم، وبيعه إلى بلاد الكفر، والكذب البين، وغير ذلك، ولم يحك شيئا يناسب الاصطفاء والاختصاص الموجب لنبوتهم، بخلاف ما حكاه عن يوسف[2].

٧- أن القرآن يدل على أنه لم يأت أهل مصر نبي قبل موسى سوى يوسف، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ...﴾ [غافر: ٣٤]، ولو كان من إخوة يوسف نبي لكان قد دعا أهل مصر، وظهرت أخبار نبوته[3].

المراد بالآل في قوله: (وعلى آل يعقوب):

والمراد بهم أهله من بنيه وغيرهم.

وقيل: الآل بالبنين وإتمام النعمة بالاستنباء، وجعل حاصل المعنى يمن عليك وعلى سائر أبناء يعقوب بالنبوة، واستدل بذلك على أنهم صاروا بعد أنبياء.

وقيل: لكن لا يثبت بذلك نبوتهم بعد لجواز أن يراد يتم نعمته عليك بالنبوة وعلى آل يعقوب بشيء آخر كالخلاص من المكروه مثلا[4].

---

(١) سبق تخريجه في مقدمة الرسالة.

(٢) انظر: جامع المسائل: (٣/ ٢٩٨، ٢٩٩)، لابن تيمية، تحقيق: محمد عزير شمس.

(٣) انظر: جامع المسائل: (٣/ ٢٩٩)، لابن تيمية، تحقيق: محمد عزير شمس.

(٤) انظر: روح المعاني: (٦/ ٣٧٩)، للآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية.

رؤية يوسف إخوته كواكب في المنام:

ويقال: في رؤية يوسف عليه السلام إخوته كواكب يهتدى بأنوارها من نعم الله تعالى عليهم لدلالتها على مصير أمرهم إلى النبوة، ويجاب عنه أن ما ذكر لا يصلح دليلا على أنهم صاروا أنبياء، وإنما يكون دليلا على أن مصيرهم إلى كونهم هادين للناس وهو مما لا يلزمه النبوة.

وقد يقال أيضا: إنه لو دل رؤيتهم كواكب على أن مصيرهم إلى النبوة لكانت رؤية أمه قمرا أدل على ذلك ولا قائل به[1].

(١) انظر: روح المعاني: (٦/ ٣٧٩)، للألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية.

المبحث السادس: محمد ﷺ:

محمد بن عبد الله، إمام المرسلين، وسيد ولد عدنان، والذي ختم الله به الرسالات، وأرسله رحمة للعالمين، ولجميع الثقلين: الجن، والإنس، **قال تعالى:** ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[سبأ: ٢٨].

وقال: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١ــ ٢].

وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[آل عمران: ٨١].

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ((لم يبعث الله عز وجل نبيا، آدم فمن بعده – إلا أخذ عليه العهد في محمد: لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾، الآية))[1].

والأدلة على فضائله من السنة لا حصر لها منها على سبيل المثال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: ((إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين))[2].

وورد عنه رضي الله عنه أيضا قال: قال رسول الله: ﷺ ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع))[3].

---

(١) تفسير الطبري: (٦/ ٥٥٥)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) صحيح البخاري: (٣/ ١٣٠٠)، كتاب: المناقب، باب: خاتم النبيين صلى الله عليه و سلم، برقم: (٣٣٤٢)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) صحيح مسلم: (٤/ ١٧٨٢)، كتاب: الفضائل، باب: تفضيل نبينا صلى الله عليه و سلم على جميع الخلائق، برقم: (٢٢٧٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك))(١).

دلائل نبوة محمد ﷺ:

لقد أيد الله محمدا ﷺ بأعظم المعجزات وأبهرها بما يتناسب وطبيعة قومه قريش، وما عرف عنهم من الفصاحة والبلاغة، فأنزل الله عليه القرآن النور والهدى والشفاء، والذي أعجز البلغاء والفصحاء، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء: ٨٨].

وقد ظهرت دلائل كثيرة على نبوته سواء قبل البعثة وبعدها، وأدلة ذلك كثيرة وافرة، اختير منها هنا التالي:

عن أنس ﷺ قال: ((أتي النبيﷺ بإناء وهو بالزوراء فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم. قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة))(٢)،(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: ((كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه يمسح يده عليه))(٤).

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها: ((أن النبي ﷺ دخل عليها فزعا يقول: (لا إله إلا الله ويل للعرب من شر ما اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا)، وحلق

---

(١) صحيح مسلم: (١/ ١٨٨)، كتاب: الإيمان، باب: في قول النبي صلى الله عليه و سلم أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا، برقم: (١٩٧)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) صحيح البخاري: (٣/ ١٣٠٩)، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، برقم: (٣٣٧٩)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) **بالزوراء**: مكان معروف بالمدينة عند السوق، **زهاء**: بضم الزاي وبالمد أي قدر مأخوذة من زهوت الشيء إذا حصرته، انظر: فتح الباري: (٦/ ٥٨٥، ٥٨٦)، لابن حجر، دون ذكر المحقق.

(٤) صحيح البخاري: (٣/ ١٣١٣)، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، برقم: (٣٣٩٠)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

بإصبعه وبالتي تليها فقالت زينب فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال (نعم إذا كثر الخبث)))[١].

وغيرها من العلامات سواء فيما يتعلق بحياته اليومية وأحواله مع المدعوين، أو ما يتعلق بالأمور الغيبية ما وقع منها وما لم يقع، كالفتن، وأشراط الساعة، واليوم الآخر، والتي يوقن بها كل مؤمن بالله ورسوله.

دلالة قصة يوسف عليه السلام على نبوة محمد ﷺ:

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[يوسف: ١٠٢].

يقول تعالى ذكره: هذا الخبر الذي أخبرتك به من خبر يوسف ووالده يعقوب وإخوته وسائر ما في هذه السورة (من أنباء الغيب)، أي: من أخبار الغيب الذي لم تشاهده، ولم تعاينه، ولكنا نوحيه إليك ونعرفكه، لنثبت به فؤادك، ونشجع به قلبك، وتصبر على ما نالك من الأذى من قومك في ذات الله، وتعلم أن من قبلك من رسل الله إذ صبروا على ما نالهم فيه، وأخذوا بالعفو، وأمروا بالعرف، وأعرضوا عن الجاهلين فازوا بالظفر، وأيدوا بالنصر، ومكنوا في البلاد، وغلبوا من قصدوا من أعدائهم وأعداء دين الله، فبهم، يا محمد، فتأس، وآثارهم فقص، (وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون)، أي: وما كنت حاضرا عند إخوة يوسف، إذ أجمعوا واتفقت آراؤهم، وصحت عزائمهم، على أن يلقوا يوسف في غيابة الجب. وذلك كان مكرهم[٢].

ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل المنافع والمضار في المعاش، فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منة عليهم أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبين لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام وأشر حالا منها، فمن قبل رسالة الله واستقام عليها

---

(١) صحيح البخاري: (٣/ ١٣١٧)، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، برقم: (٣٤٠٣)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٢) انظر: تفسير الطبري: (١٦/ ٢٨٣)، تحقيق: أحمد شاكر.

فهو من خير البرية، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية وأسوأ حالا من الكلب والخنزير، وأحقر من كل حقير[١].

وبهذا تم الحديث عن الباب الثالث من الرسالة: (دلالة قصة يوسف عليه السلام على الإيمان بالرسل).

(١) لوامع الأنوار البهية: (٢/ ٢٦١) لمحمد السفاريني، دون ذكر المحقق.

الباب الرابع

دلالة قصة يوسف عليه السلام على الإيمان باليوم الآخر

وفيه فصلان:

الفصل الأول: دلالة قصة يوسف عليه السلام على الإيمان باليوم الآخر. وفيه مبحث واحد:

المبحث الأول: الأدلة على وجوب الإيمان باليوم الآخر.

الفصل الثاني: دلالة قصة يوسف عليه السلام على كفر من لم يؤمن باليوم الآخر.

الفصل الأول

دلالة قصة يوسف ﷺ على الإيمان باليوم الآخر

وفيه مبحث واحد:

المبحث الأول: الأدلة على وجوب الإيمان باليوم الآخر.

إن الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من أحداث وغيبيات بلغها الرسل لأممهم، عبادة قلبية عملية لابد أن يحققها كل مؤمن بالله في كل الشرائع السماوية، فالهدف الذي يصبو إليه كل مؤمن هو الجنة والنجاة من النار، والفوز برضا الله ورؤية وجهه الكريم، فكل عمل صالح يعمله المؤمن في حياته وما يصله من بر بعد وفاته هو إيمان بمجيء هذا اليوم العظيم، وإيمان بما يحدث فيه من أهوال، وأحداث، وقد جاء النبي محمد ﷺ بالقرآن الكريم، والسنة المطهرة، وفيهما من الأدلة على حدوث هذا اليوم ووجوب الإيمان به ما هو واضح لكل متأمل في نصوصهما.

الإيمان باليوم الآخر:

هو التصديق الجازم بجميع ما أخبر الله به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، وهو الركن الخامس من أركان الإيمان(١).

ويتضمن الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بعذاب القبر ونعيمه(٢)، وسؤال الملكين، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا)(٣)، ويتضمن الإيمان بالنفخ في الصور، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف: ٩٩] ويتضمن الإيمان بالبعث والنشور، والحوض،عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار: ((إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني وموعدكم الحوض))(٤)، ويتضمن الإيمان بالميزان، فعن أبي هريرة

---

(١) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، (٥٤٥، ٥٤٦)، لعبد العزيز السلمان.

(٢) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، (٥٤٥)، لعبد العزيز السلمان.

(٣) صحيح البخاري: (١/ ٤٦٢)، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، برقم: (١٣٠٨)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٤) صحيح البخاري: (٣/ ١٣٨١)، كتاب: مناقب الصحابة، باب:قول النبي:اصبروا حتى تلقوني ...إلخ، برقم: (٣٥٨٢)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم))(١)، ويتضمن الإيمان بالصراط، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ في حديث طويل وفيه: ((ويضرب جسر جهنم، قال رسول الله ﷺ: فأكون أول من يجيز ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم...))(٢)، ومما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالقنطرة، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فو الذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا))(٣)، ويتضمن الإيمان بالشفاعة، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ...﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والإيمان بوجود الجنة وما فيها من النعيم المقيم، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥] والإيمان بالنار وما فيها من العذاب الأليم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء: ٥٦] والإيمان برؤية الله ﷻ، فعن صهيب بن سنان الرومي ﷺ عن النبي ﷺقال: ((إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ))(٤)، والأدلة من

---

(١) صحيح البخاري: (٦/ ٢٤٥٩)، كتاب: الأيمان والنذور، باب: إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو كبر...إلخ، برقم: (٦٣٠٤)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٢) صحيح البخاري: (٥/ ٢٤٠٣)، كتاب: الرقاق، باب: الصراط جسر جهنم، برقم: (٦٢٠٤)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) صحيح البخاري: (٥/ ٢٣٩٤)، كتاب: الرقاق، باب: القصاص يوم القيامة، برقم: (٦١٧٠)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٤) صحيح مسلم: (١/ ١٦٣)، كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ، برقم: (١٨١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

نصوص الوحيين في إثبات هذه الأمور كثيرة متواترة، إذ أن هذه الأمور من أصول معتقد كل مؤمن بالله ورسوله، وهي من الغيبيات التي بلغ النبي ﷺ أمته بها.

ولليوم الآخر شأن عظيم في قلب كل مؤمن يخشى الله ويرجو لقاه، ولهذا اليوم عدة أسماء وردت في كتاب الله منها: يوم القيامة، يوم الدين، القارعة، الصاخة، الساعة، الطامة الكبرى.

وكل ميت مات تقوم قيامته الصغرى وهي ما يقوم على كل إنسان في خاصته من خروج روحه وفراق أهله وانقطاع سعيه وحصوله على عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر، والقيامة الكبرى هي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة والدليل على أن كل ميت يموت فقد قامت قيامته، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة متى الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال: ((إن يعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم))[1]،[2].

ولقد أخفى الله عن خواص عباده -وهم الأنبياء- ميعاد قيام الساعة، وغيرهم من العباد من باب أولى، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّىۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وذلك حتى يتبين المؤمن بلقاء الله، الساعي لجنته ورضوانه ورؤيته سبحانه، من الكافر المكذب الجاحد وجود الله، وما أعده من نعيم لمن أطاعه، ومن جحيم لمن عصاه.

---

(١) صحيح مسلم: (٤/ ٢٢٦٩)، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة، برقم: (٢٩٥٢)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) انظر: العاقبة في ذكر الموت: (١/ ٢٥٤)، لعبد الحق الإشبيلي، تحقيق: خضر محمد خضر.

لكن الله قد جعل لهذا اليوم العظيم أمارات وعلامات تدل عليه وتنبه الغافلين وتوقظ القلوب، إلى أن تنقضي مدة الإمهال للعباد ويحصد كل زارع حرثه، وهذا من سعة رحمة الله ولطفه بعباده، فله الحمد على إنعامه، وعطاياه، وفضله الذي لا يحد بحد.

ذكر أشراط الساعة:

وتلك الأشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها ومنها: خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام و قتله الدجال ومنها خروج يأجوج ومأجوج ودابة الأرض ومنها طلوع الشمس من مغربها، أما ما يتقدمها فمنه على سبيل المثال: قبض العلم وغلبة الجهل وظهور المعازف واستفاضة شرب الخمور وإطالة البنيان وكثرة الهرج[١].

ومن الأدلة على ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه))[٢].

وعنه رضي الله عنه أيضا: أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى[٣]))[٤].

وعنه رضي الله عنه أيضا: أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان[٥] وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به[٦]، وحتى يتطاول الناس في البنيان،

---

(١) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: (٣/ ١٢١٧)، للقرطبي، تحقيق: د. الصادق بن حمد بن إبراهيم.

(٢) صحيح البخاري: (٦/ ٢٦٠٤)، كتاب: الفتن، باب: تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان، برقم: (٦٧٠٠)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) ببصرى وهي من أرض الشام، (فتح الباري): (١٣/ ٨٠)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر محقق.

(٤) صحيح البخاري: (٦/ ٢٦٠٥)، كتاب: الفتن، باب: خروج النار، برقم: (٦٧٠١)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٥) (ويتقارب الزمان): قيل المراد قصر الأعمار وقيل قصر الليل والنهار، حتى تكون السنة كالشهر، انظر: فتح الباري: (١/ ١٧١)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

(٦) (لا أرب): لا حاجة لي به، فتح الباري: (١٣/ ٨٨)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس - يعني - آمنوا أجمعون فذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨]. ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط[١] حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته[٢] إلى فيه فلا يطعمها))[٣].

(١) (يليط): يصلحه بالطين والمدر فيسد شقوقه ليملأه ويسقي منه دوابه، فتح الباري: (١٣/ ٨٨)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق، وانظر: لسان العرب: (٧/ ٣٩٤)، لابن منظور، مادة: (لوط)، حرف: (ط)، دون ذكر المحقق.

(٢) (أكلته): بالضم أي لقمته، فتح الباري: (١٣/ ٨٩)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر محقق.

(٣) صحيح البخاري: (٦/ ٢٦٠٥)، كتاب: الفتن، باب: خروج النار، برقم: (٦٧٠٤)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

المبحث الأول: الأدلة على وجوب الإيمان باليوم الآخر:

قال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف: ٣٧].

وكان هذا من علم الغيب خص به يوسف. وبين أن الله خصه بهذا العلم لأنه ترك ملة قوم لا يؤمنون بالله، يعني دين الملك[(١)].

وقوله: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، والترك كما يكون للداخل في شيء ثم ينتقل عنه، يكون لمن لم يدخل فيه أصلا، فلا يقال: إن يوسف كان من قبل، على غير ملة إبراهيم[(٢)].

وقال: ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١].

﴿أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾، يقول: أنت وليي في دنياي على من عاداني وأرادني بسوء بنصرك، وتغذوني فيها بنعمتك، وتليني في الآخرة بفضلك ورحمتك، (توفني مسلما)، يقول: اقبضني إليك مسلما، (وألحقني بالصالحين)، يقول: وألحقني بصالح آبائي إبراهيم وإسحاق ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك[(٣)].

أدلة أخرى على وجوب الإيمان باليوم الآخر:

وفي غير قصة يوسف عليه السلام أدلة أخرى تدل على وجوب الإيمان باليوم الآخر منها:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة: ٤].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢].

---

(١) تفسير القرطبي: (٩/ ١٩١)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش.

(٢) تفسير السعدي: (١/ ٣٩٧)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) تفسير الطبري: (١٦/ ٢٧٨)، تحقيق: أحمد شاكر.

وقال: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ [البقرة: ٢٣٢].

وقال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران: ٩].

وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

والآيات في ذلك كثيرة، وقد تضمنت الآيات تقرير هذه الأصل العظيم وهو-الإيمان باليوم الآخر، بصور متعددة، إما امتداحا من الله لمن آمن بالله واليوم الآخر، وذكر فضله وجزاءه، أو جعل الإيمان بذلك اليوم موعظة وتخويفا من عقاب الله، أو توسلا لله بالإيمان باليوم الآخر ودعاء له بالثبات على الإيمان.

الفصل الثاني

دلالة قصة يوسف ﷺ على كفر من لم يؤمن باليوم الآخر

إن ما يدل على كفر من لم يؤمن باليوم الآخر من قصة يوسف عليه السلام **قوله تعالى:** ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف: ٣٧].

والشاهد في قوله: ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾، يقول: وهم مع تركهم الإيمان بوحدانية الله، لا يقرون بالمعاد والبعث، ولا بثواب ولا عقاب[1].

والآيات في تقرير كفر من لم يؤمن باليوم الآخر متعددة في كتاب الله منها على سبيل المثال لا الحصر.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة: ١٢٦].

لقد وصف الله من لم يؤمن بالله واليوم الآخر بالكفر وذكر ما هو صانع به إن أحياه من تمكينه من التمتع بالبقاء في الدنيا، ثم الدفع به إلى عذاب النار وسوقه إليها[2].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤].

إن المنة والأذى مبطلان للأعمال، إذ تصير الأعمال بمنزلة عمل المرائي للناس والذي لا يريد بعمله الله والدار الآخرة، فهذا لا شك أن عمله من أصله مردود[3].

﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ من أعمالهم التي اكتسبوها، لأنهم وضعوها في غير موضعها وجعلوها لمخلوق مثلهم، لا يملك لهم ضررا ولا نفعا وانصرفوا عن عبادة من تنفعهم عبادته، فصرف الله قلوبهم عن الهداية، فلهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[4].

---

(١) تفسير الطبري: (١٦/ ١٠١)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٢/ ٥٥)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٣) انظر: تفسير السعدي: (١/ ١١٣)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) انظر: تفسير السعدي: (١/ ١١٣)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

ودلت الآية على كفر من لم يؤمن بالله واليوم الآخر، وحرمانه الهداية.

وقال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

وأي ضلال أبعد من ضلال من ترك طريق الهدى المستقيم، وسلك الطريق الموصلة له إلى العذاب الأليم؟، وأن الكفر بشيء من هذه المذكورات كالكفر بجميعها، لتلازمها وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض[1].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنعام: ٢٩ــ ٣٠].

أخبر الله عن هؤلاء المشركين، العادلين به الأوثان والأصنام، أنهم ينكرون أن الله يحيي خلقه بعد أن يميتهم، ويقولون: (لا حياة بعد الممات، ولا بعث ولا نشور بعد الفناء)، فهم بجحودهم ذلك، وإنكارهم ثواب الله وعقابه في الدار الآخرة، لا يبالون ما أتوا وما ركبوا من إثم ومعصية، لأنهم لا يرجون ثوابا على إيمان بالله وتصديق برسوله وعمل صالح بعد موت، ولا يخافون عقابا على كفرهم بالله ورسوله وسيئ من عمل يعملونه[2].

وقال: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة: ٤٤ــ٤٥].

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ أي: في القعود عن الغزو ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾؛ لأن أولئك يرون الجهاد قربة، ولما ندبهم إليه بادروا وامتثلوا، ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ أي: في القعود ممن لا عذر له ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾

---

(١) تفسير السعدي: (١/ ٢٠٩)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) انظر: تفسير الطبري: (١١/ ٣٢٢، ٣٢٣)، تحقيق: أحمد شاكر.

أي: لا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة على أعمالهم، ﴿وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ أي: شكت في صحة ما جئتهم به(١).

وقال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ٨٠﴾ [يس: ٧٨ــ ٨٠].

في هذه الآية احتج الله على منكري البعث فقال: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ المنكر للبعث والشاك فيه، أمرا يفيده اليقين التام بوقوعه، وهو ابتداء خلقه ثم تنقله في الأطوار شيئا فشيئا، حتى كبر وشب، وتم عقله واستتب، ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ بعد أن كان ابتداء خلقه من نطفة، فلينظر التفاوت بين هاتين الحالتين، وليعلم أن الذي أنشأه من العدم، قادر على أن يعيده بعد ما تفرق وتمزق، من باب أولى(٢).

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا﴾ لا ينبغي لأحد أن يضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، وأن الأمر المستبعد على قدرة المخلوق مستبعد على قدرة الخالق، وفسر هذا المثل [بقوله]: ﴿قَالَ﴾ ذلك الإنسان ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ أي: هل أحد يحييها؟ والاستفهام إنكار، أي: لا أحد يحييها بعد ما بليت وتلاشت(٣).

هذا وجه الشبهة والمثل، وهو أن هذا أمر في غاية البعد على ما يعهد من قدرة البشر، وهذا القول الذي صدر من هذا الإنسان غفلة منه، ونسيان لابتداء خلقه، فلو فطن لخلقه بعد أن لم يكن شيئا مذكورا فوجد عيانا، لم يضرب هذا المثل(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ١٥٩)، تحقيق: سامي سلامة.

(٢) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٦٩٩)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٦٩٩)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٦٩٩)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بجواب شاف كاف، فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وهذا بمجرد تصوره، يعلم به علما يقينا، أن الذي أنشأها أول مرة قادر على الإعادة ثاني مرة، وهو أهون على القدرة إذا تصوره المتصور، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[(١)].

والدليل الثاني: أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهذا، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم[(٢)].

والدليل الثالث: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ فإذا أخرج [النار] اليابسة من الشجر الأخضر، الذي هو في غاية الرطوبة، مع تضادهما وشدة تخالفهما، فإخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك[(٣)].

وكل هذه الأدلة تبرهن وتؤكد على أهمية الإيمان باليوم الآخر وأنه أصل مهم في اعتقاد كل مؤمن بالله ورسله، كما أن هذه الأدلة تكفر كل من جحد هذا اليوم العظيم وما يتضمنه من نهاية العالم وبعث ونشور ومجازاة للخلائق بأعمالهم.

وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود، فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب و لم يدركوه[(٤)].

وبهذا تم الحديث عن: الباب الرابع: (دلالة قصة يوسف عليه السلام على الإيمان باليوم الآخر)، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٦٩٩)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٦٩٩)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٦٩٩)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) ثلاثة الأصول: (١١٠)، لابن عثيمين، إعداد فهد السليمان.

الباب الخامس

دلالة قصة يوسف ﷺ على الإيمان بالقدر خيره وشره

ويشتمل على:

الفصل الأول: دلالة قصة يوسف ﷺ على مراتب الإيمان بالقدر.

الفصل الثاني: دلالة قصة يوسف ﷺ على مسألة الهداية والضلال.

الفصل الثالث: دلالة قصة يوسف ﷺ على أن الحكم كوني وشرعي.

الفصل الرابع: دلالة قصة يوسف ﷺ على الصبر على المصائب والرضا بالقضاء والقدر والشكر. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الصبر على المصائب والرضا بالقضاء والقدر.

المبحث الثاني: الحزن لا يؤثر على الإيمان وليس دليلا على الجزع.

الفصل الأول

دلالة قصة يوسف ﷺ على مراتب الإيمان بالقدر

إن طريق الحق أقصد الطرق ومناهجه أوضح المناهج وهي ما أنزله الله في كتابه وجاءت به رسله ولم يكن رأيا متبعا ولا هوى مبتدعا ولا إفكا مخترعا وهو الإقرار لله بالملك، والقدرة، والسلطان، وأنه هو المستولي على الأمور، سابق العلم بكل كائن، ونافذ المشيئة فيما يريد، كان الخلق كله وكل ما هو فيه بقضاء وتدبير ليس معه شريك ولا دونه مدبر، ولا له مضاد، بيده تصاريف الأمور، وهو الآخذ بعقد النواصي، والعالم بخفيات القلوب، ومستورات الغيوب، فمن هداه بطول منه اهتدى، ومن خذله ضل بلا حجة له ولا عذر، خلق الجنة والنار، وخلق لكل واحدة منهما أهلا هم ساكنوها، أحصاهم عددا، وعلم أعمالهم وأفعالهم، وجعلهم شقيا وسعيدا، وغويا ورشيدا، وخلق آدم ﷺ، وأخذ من ظهره كل ذرية هو خالقها إلى يوم القيامة، وقدر أعمالهم، وقسم أرزاقهم، وأحصى آجالهم، وعلم أعمالهم، فكل أحد يسعى في رزق مقسوم، وعمل محتوم إلى أجل معلوم، قد علم ما تكسب كل نفس قبل أن يخلقها فلا محيص لها عما علمه منها، وقدر حركات العباد وهممهم وهواجس قلوبهم وخطرات نفوسهم، فليس أحد يتحرك حركة ولا يهم همة إلا بإذنه، وخلق الخير والشر وخلق لكل واحد منهما عاملا يعمل به فلا يقدر أحد أن يعمل إلا لما خلق له، وأراد قوما للهدى فشرح صدورهم للإيمان وحببه إليهم وزينه في قلوبهم، وأراد آخرين للضلال فجعل صدورهم ضيقة حرجة، وجعل الرجاسة عليهم، وأمر عباده بأوامر وفرض عليهم فرائض فلن يؤدوها إليه إلا بتوفيقه ومعونته، وحرم محارم وحد حدودا فلن يكفوا عنها إلا بعصمته فالحول والقوة له وواقعة عليهم حجته غير معذورين فيما بينهم وبينه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فلم يزل الصدر الأول على هذا جميعا على ألفة القلوب واتفاق المذاهب كتاب الله عصمتهم وسنة المصطفى إمامهم لا يستعملون الآراء ولا يفزعون إلى الهواء فلم يزل الناس على ذلك حتى حان حين من سبقت له الشقوة فحينئذ دب الشيطان بوسوسته وزين لهم الكلام في القدر والخوض فيه[١].

---

(١) انظر: الإبانة الكبرى: (٣/ ٢٣٥إلى٢٣٨)، لابن بطة العكبري، تحقيق: عثمان عبد الله الأثيوبي وآخرون.

التعريف بالقدر:

لغة: القدر والقدر القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله ﷻ من القضاء ويحكم به من الأمور[١].

اصطلاحا: الإيمان بأن الله سبحانه علم ما كان وما يكون، وكتب كل شيء في اللوح المحفوظ إلى يوم القيامة، وأن كل خير وشر بقضائه وقدره، لا شيء يكون إلا بإرادته، ولا يخرج عن مشيئته، وأنه خالق أفعال العباد، يضل من يشاء بحكمته، ويهدي من يشاء برحمته[٢].

مراتب القدر:

وعددها أربعة، هي: (العلم، الكتابة، المشيئة، خلق أفعال العباد).

أولا: العلم:

وهذه المرتبة متعلقة بعلم الله السابق بما هم عاملوه قبل إيجادهم، ولا يغيب عن علمه شيء، فهو سبحانه قد علم الأشياء وعلم الأسباب التي تحصل بها[٣]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

---

(١) لسان العرب: (٥/ ٧٤)، لابن منظور، مادة: (قدر)، حرف: (ر)، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: (٨٤)، لعبد العزيز السلمان، والطحاوية: (٢/ ١٠٥٦)، لابن أبي العز الحنفي، ترتيب وتعليق: خالد فوزي.

(٣) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: (٦١٦إلى٦١٨)، لعبد العزيز السلمان، طريق الهجرتين: (٨٨)، لابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم.

وهذه المرتبة مما اتفق عليه الرسل عليهم السلام من أولهم لآخرهم، وقد كفر الصحابة من أنكر علم الله تعالى، فالله علم أهل الجنة والنار قبل أن يعملوا أعمالهم[١]، عن علي ﵁ قال: كنا جلوسا مع النبي ﷺ ومعه عود ينكت في الأرض وقال: ((ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة)). فقال رجل من القوم ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: (لا اعملوا فكل ميسر. ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾ [الليل: ٥])))[٢].

ثانيا: الكتابة:

والمراد بها كتابة مقادير الخلائق، من آجال وأرزاق، وكل ما هو مقدر على كل نفس إلى قيام الساعة[٣].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

عن جابر بن عبد الله ﵁ قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل؟ قال: ((لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير قال: ففيم العمل؟ فقال: (اعملوا فكل ميسر))[٤].

---

(١) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: (٦١٦إلى٦١٨)، لعبد العزيز السلمان، طريق الهجرتين: (٨٨)، لابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم.

(٢) صحيح البخاري: (٦/ ٢٤٣٥)، كتاب: القدر، باب: {وكان أمر الله قدرا مقدورا}، (الأحزاب: ٣٨)، برقم: (٦٢٣١)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) العقيدة الطحاوية: (٢/ ١٠٧٨إلى١٠٨٣)، لابن أبي العز الحنفي، ترتيب وتعليق: خالد فوزي.

(٤) صحيح مسلم: (٤/ ٢٠٤٠)، كتاب: القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي، برقم: (٢٦٤٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء))[١].

أقسام التقدير:

١- التقدير العام: ويكون لجميع الأشياء، فالله علمها وكتبها وشاءها وخلقها.

٢- التقدير العمري: وهو المذكور في الحديث التالي: عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: ((حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد...))[٢] الحديث.

٣- التقدير السنوي: ويكون في ليلة القدر، قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٤].

٤- التقدير اليومي: قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرحمن: ٢٩].

قال المفسرون: من شأنه أن يحيي ويميت، ويرزق، ويعز قوما، ويذل قوما، ويشفي مريضا، ويفك عانيا ويفرج مكروبا، ويجيب داعيا، ويعطي سائلا ويغفر ذنبا إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء[٣]،[٤].

(١) صحيح مسلم: (٤/ ٢٠٤٤)، كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام، برقم: (٢٦٥٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) صحيح مسلم: (٤/ ٢٠٣٦)، كتاب: القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي، برقم: (٢٦٤٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) تفسير البغوي: (٧/ ٤٤٦)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٤) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: (٦٢٥، ٦٢٦)، لعبد العزيز السلمان.

ثالثا: المشيئة:

وتتضمن المشيئة الإيمان: بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل حركات الكون وسكونه بيده سبحانه، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، يحب المتقين والطائعين، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن الفاسقين(١)، قال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٦﴾ [آل عمران: ٦]، وقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير: ٢٩]، إذ لا منافاة بين مشيئة الله، وأمره لعباده ونهيه(٢).

والاحتجاج بالقدر غير مقبول أبدا إذ لو قبل لم يتمكن الناس من العيش، ولكان كل معتد على الآخر محتجا بالقدر، ولقبل عذر المعتدي دون عقاب، وهذا لا يقوله عاقل(٣).

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((يدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته...))(٤) الحديث.

رابعا: خلق أفعال العباد:

وتتضمن هذه المرتبة_ الأخيرة من مراتب القدر_ الإيمان بقدرة الله ﷻ الشاملة لكل ممكن من المخلوقات، وأيضا للمعدوم الممكن(٥)، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾ [البقرة: ٢٠]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـٔٗا مَّذْكُورًا ١﴾ [الإنسان: ١].

---

(١) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: (٦٢٨)، لعبد العزيز السلمان.

(٢) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: (٦٣١)، لعبد العزيز السلمان.

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: (٥٦٩)، لابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل.

(٤) صحيح مسلم: (١/ ١٧٢)، كتاب: الإيمان، باب: إثبات الشفاعة...إلخ، برقم: (١٨٤)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٥) العقيدة الطحاوية: (٢/ ١١١٧)، لابن أبي العز الحنفي، ترتيب وتعليق: خالد فوزي.

والله يعلم كل عمل يقوم به الإنسان، وبيده سبحانه التوفيق والإعانة على القيام به وإتمامه، وهو مقدر عليه قبل وقوعه، فإن لم يقدر عليه امتنع وقوعه[(١)].

وأفعال العباد من جملة مخلوقات الله، والتي جعل فيها للعبد إرادة واختيارا، لكن ذلك واقع بمشيئة الله وقدرته[(٢)].

عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال النبي ﷺ: ((إن الله يصنع كل صانع وصنعته وتلا بعضهم عند ذلك: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات: ٩٦]))[(٣)].

وعن طاووس اليماني: (ت. ١٠٥هـ)[(٤)]، قال: ((أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر))[(٥)].

قال يحيى بن سعيد (ت: ١٤٣هـ)[(٦)]: ((ما زلت أسمع من أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة))[(٧)].

دلالة قصة يوسف ﷺ على مراتب الإيمان بالقدر:

ما ورد في القصة مما يمكن الاستدلال به على مراتب القدر، متعلق بمرتبتي: (العلم، والمشيئة)، أما الكتابة، وخلق أفعال العباد، فلا يوجد في القصة ما يدل عليها.

أولا: العلم: وقد ورد ذكره في مواضع كثيرة من القصة إما بصفته اسما لله: (العليم)، كما في:

---

(١) انظر: العقيدة الطحاوية: (٢/ ١١٢١، ١١٣١)، لابن أبي العز الحنفي، ترتيب وتعليق: خالد فوزي.

(٢) انظر: العقيدة الطحاوية: (٢/ ١١٣٨)، لابن أبي العز الحنفي، ترتيب وتعليق: خالد فوزي.

(٣) خلق أفعال العباد: (١/ ٤٢)، للبخاري، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة.

(٤) طاوس بن كيسان الفارسي: ثم اليمني، الفقيه، عالم اليمن، حديثه في دواوين الإسلام، وهو حجة باتفاق، سمع من: زيد بن ثابت، وعائشة، وأبي هريرة، وغيرهم، روى عنه: عطاء، ومجاهد، وغيرهما، وقيل توفي: يوم التروية، عام: ١٠٦هـ، (انظر: سير أعلام النبلاء: ٩/ ٣٨، ٤٦، ٤٧)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

(٥) خلق أفعال العباد: (١/ ٤٣)، للبخاري، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة.

(٦) سير أعلام النبلاء: (١٠/ ٨٨)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

(٧) خلق أفعال العباد: (١/ ٤٤)، للبخاري، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾ [يوسف: ٦] وقوله: ﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠﴾ [يوسف: ٥٠].

أو بذكره صفة ذاتية لله، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۝٧٧﴾ [يوسف: ٧٧]، وقوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾ [يوسف: ٨٦]، وما نفاه إخوة يوسف عن أنفسهم من علم الغيب يدل على اختصاص الله به في قولهم: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ۝٨١﴾ [يوسف: ٨١].

ثانيا: المشيئة: وهي كما سبق ذكره، صفة فعلية لله تعالى، ودل عليها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝٩٩﴾ [يوسف: ٩٩]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [يوسف: ٥٦]، وقوله: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يوسف: ٧٦]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٠٠﴾ [يوسف: ١٠٠].

أقسام الفرق في مسألة القدر:

لقد ضل في مسألة القدر فرق ثلاث توضيحها كالآتي:

الأولى: المجوسية: وسموا مجوسا، لأنهم زعموا أن العبد خالق لفعله، وبذلك أثبتوا خالقا غير الله وقد أنكرت المجوسية القدر، فمنهم غلاة أنكروا العلم والكتابة، وغير غلاة أنكروا الخلق والمشيئة لأفعال العباد(١).

الثانية: المشركية: وسموا بذلك، لاحتجاجهم على تعطيل الشرع بالقدر، وقد أقروا بالقدر لكنهم غلوا فيه فأنكروا الأمر والنهي، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ ...﴾ [الأنعام:

---

(١) انظر: التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٤٥٥)، جمع وترتيب: فخر الدين المحسي.

١٤٨]، وقال: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف: ٢٨][1].

الثالثة: الإبليسية: وهم الذين أقروا بالشرع والقدر، وطعنوا في حكمة الله وعدله، ويستدل لهذه الفرقة بقول إبليس: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢][2].

أقوال السلف في القدر:

قال عمر بن الخطاب ﷺ: ((القدر قدرة الله ﷻ فمن كذب بالقدر فقد جحد قدرة الله ﷻ))[3].

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: ((ما آدمي إلا معه ملك يقيه ما لم يقدر عليه فإن جاء القدر خلاه وإياه))، وكان يقول في أهل القدر: ((هم طرف من النصرانية))[4].

وروي أن رجلا من المسلمين أتى عبد الله بن العباس ﷺبابن له فقال: لقد حيرت الخصومة عقله، وأذهبت المنازعة قلبه، وذهبت به الكلفة عن ربه، فقال عبد الله: ((امدد بصرك يا ابن أخي، ما السواد الذي ترى؟) قال: فلان، قال: (صدقت)، قال: فما الخيال المسرف من خلفه؟ قال: (لا أدري)، قال عبد الله: (يا ابن أخي، فكما جعل الله لإبصار العيون حدا محدودا من دونها حجابا مستورا، فكذلك جعل لإبصار القلوب غاية لا يجاوزها، وحدودا لا يتعداها))[5].

(١) انظر: التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٤٥٦)، جمع وترتيب: فخر الدين المحسي.
(٢) انظر: التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٤٥٦، ٤٥٧)، جمع وترتيب: فخر الدين المحسي.
(٣) الإبانة الكبرى: (٤/ ١٣١)، لابن بطة العكبري، تحقيق: عثمان عبد الله الأثيوبي وآخرون.
(٤) الإبانة الكبرى: (٤/ ١٣٦، ١٣٨)، لابن بطة العكبري، تحقيق: عثمان عبد الله الأثيوبي وآخرون.
(٥) الإبانة الكبرى: (١/ ٤٢٢)، لابن بطة العكبري، تحقيق: عثمان عبد الله الأثيوبي وآخرون.

قال عون بن عبد الله[1]: ((لا تجالسوا أهل القدر، ولا تخاصموهم، فإنهم يضربون القرآن بعضه ببعض))[2].

وبهذا تم الفصل الأول: في الكلام عن دلالة قصة يوسف عليه السلام على مراتب الإيمان بالقدر.

(١) عون بن عبد الله بن عتبة الهذلي: الإمام القدوة، أخو فقيه المدينة: عبيد الله، حدّث عن: أبيه، وأخيه، وابن المسيب، وابن عباس، وغيرهما، وحدّث عنه: أبو حنيفة، والمسعودي، وجماعة، وقيل: أنّه صلى خلف أبي هريرة، وقال البخاري: أنّه سمع أبا هريرة، توفي عام: بضع عشرة ومائة، (انظر: سير أعلام النبلاء: ٩/ ١١٥، ١١٦)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

(٢) الإبانة الكبرى: (٢/ ٤٦٦)، لابن بطة العكبري، تحقيق: عثمان عبد الله الأثيوبي وآخرون.

الفصل الثاني

دلالة قصة يوسف عليه السلام على مسألة الهداية والضلال

من المسلمات التي لا تخفى على مسلم، والتي يوقن بها كل من صلحت سريرته وصدق بالله ولقائه، أن الهداية والضلال بيد الله سبحانه، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة: ١٤٢]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٧].

فالهداية والضلال لا يملكها الأنبياء المرسلون ولا الملائكة المقربون، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦].

وقد نزلت في أبي طالب قال له النبي ﷺ: ((قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع، لأقررت بها عينك))، فأنزل الله تعالى هذه الآية(١).

معنى: الهداية والضلال:

الهداية لغة: دلالة بلطف إلى ما يوصل إلى المطلوب، وقيل: سلوك طريق يوصل إلى المطلوب(٢).

الهداية اصطلاحا: الهداية إلى الصراط المعين الذي نصبه الله تعالى لأهل نعمته وجعله طريقا إلى رضوانه وجنته وهو دينه الذي لا دين له سواه(٣).

الضلال لغة: لقد سبق ذكر إيرادات الضلال في مبحث العصمة من الباب الثالث، وله عدة معان منها: الضياع أو النسيان، أو الهلاك.

الضلال اصطلاحا: العدول عن الطريق المستقيم، ويضاده الهداية، ويقال الضلال: لكل عدول عن المنهج عمدا أو سهوا قليلا أو كثيرا(٤).

---

(١) تفسير البغوي: (٦/ ٢١٥)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف: (١/ ٧٣٩)، للمناوي، حرف: (ه)، تحقيق: د. محمد رضوان داية.

(٣) بدائع الفوائد: (٢ / ٢٥١)،لابن القيم، تحقيق:هشام عطا وآخرون.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف: (١/ ٤٧٤)، للمناوي، حرف: (ض)، تحقيق: د. محمد رضوان داية.

دلالة قصة يوسف ﷺ على مسألة الهداية والضلال:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف: ٨].

وقال: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ۝٩٥﴾ [يوسف: ٩٥].

وقد تقدم في مبحث العصمة من الباب الثالث: أن الضلال المراد في الآية، لا يراد به الضلال في الدين، بل الخطأ في تدبير أمر الدنيا، وقال إخوة يوسف ذلك في شأن محبة يعقوب ليوسف وأخيه(١).

وقال: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٢﴾ [يوسف: ٥٢].

وهذه الآية وردت عندما تبين الحق، وظهرت براءة يوسف ﷺ حيث قال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾، بمعنى: أن الله لا يسدد صنيع من خان الأمانات، ولا يرشد فعالهم في خيانتهم لها(٢).

سبب الهداية والضلال:

لقد جعل الله الأعمال القائمة بالقلب والجوارح سبب الهداية والضلال، فأعمال البر يحبها الله فهي تثمر الهدى، ويقرب قلوب أصحابها منه سبحانه، وأعمال الفجور على الضد من ذلك، فالله يكره الظلم والفجور ويمقت فاعل ذلك، ويخذله، والعبد كلما ازداد تقوى ازداد هدى، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾ [المائدة: ١٦](٣).

---

(١) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢١٧، ٢١٨)، تحقيق: محمد النمر وآخرون، تفسير السعدي: (١/ ٣٩٤)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) انظر: تفسير الطبري: (١٦/ ١٣٩، ١٤١)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٣) انظر: الفوائد: (١٩٠، ١٩١)، لابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي.

وفضل الله رحمته وهداه، ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٦ــ ٧]، وسبب انشراح الصدر والحياة الطيبة، بعكس الضلال، والذي يسبب الضيق في الصدر والمعيشة[(١)].

وفي إثبات القدر يقول لبيد بن ربيعة رضي الله عنه (ت: ٤١هـ)[(٢)]:

إن تقوى ربنا خير نفل ... وبإذن الله ريثي وعجل

من هداه سبل الخير اهتدى ... ناعم البال ومن شاء أضل[(٣)]

مراتب الهداية:

وللهداية أربع مراتب هي:

الأولى: الهداية العامة لجميع المخلوقات، وتكون فطرية، كهداية المولود لأمه، وللرضاع، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: ٥٠].

الثانية: هداية البيان والدلالة، وهي التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام، ودعا إليها القرآن، وسعى لتحقيقها الدعاة على منهاج النبوة، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ [الشورى: ٥٢].

الثالثة: هداية التوفيق والإلهام، وهي تالية لهداية البيان ومترتبة عليها، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٢٥﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وسئلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: ((كان إذا قام من الليل افتتح صلاته (اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا

---

(١) انظر: الفوائد: (١٩٦، ١٩٧)، لابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة: (٥/ ٦٧٦)، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي البجاوي.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: (١/ ٢٢١)، لابن بطة العكبري، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، وانظر: ديوان لبيد بن ربيعة العامري: (١٢، ١٣)، دون ذكر المحقق.

فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)))[١].

الرابعة: الهداية على الصراط يوم القيامة، ولا يجتازه إلا من هداه الله ووفقه في الدنيا إلى طريق الحق والرشاد، وكل حسب عمله في سرعة المرور عليه واجتيازه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ [محمد: ٤ــ ٦][٢].

إن الله إذا أراد للعباد السعادة وقدر لهم الهداية في الأزل ألان قلوبهم وفتح أذهانهم لتقبل الهداية التي جاءت بها الرسل فينتفعون بدعوة المرسلين فيجعل لهم من أنفسهم وازعا وداعيا إلى الهدى وكما أرسل الله الرسل بالهداية أرسل الشياطين لإضلال من أراد إضلاله في الأزل خلافا لما تدعيه القدرية من أن الهداية والإضلال والسعادة والشقاء بيد العباد لا بيد الله تعالى فالشياطين هم الذين يغوون من شاؤوا دون إرادة من الله تعالى ومشيئته في الأزل[٣].

عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: ((أن الله ﷻ لو أراد أن لا يعصى ما خلق إبليس، وذلك لكونه مصدر كل شر وقد وكل لكل إنسان قرينه من الجن يجري منهم مجرى الدم))[٤].

أقوال الفرق في الهداية والضلال:

أولا: القدرية: إذ زعمت أنه ليس هناك تقدير للهداية والإضلال أزلا رغم ورود الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت ذلك كله، وادعت أن العبد هو الذي يخلق الهداية والضلال لنفسه دون مشيئة الله تعالى وتقديره الأزلي فالله تعالى في نظرهم ليس هاديا ولا مضلا للعباد، ولا سلطان للشيطان على أحد من خلقه، ولم يقدر المعصية على آدم وغيره من

---

(١) صحيح مسلم: (١/ ٥٣٤)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم: (٧٧٠)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) انظر: التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٥٠٢، ٥٠٣)، جمع وترتيب: فخر الدين المحسي.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: (١/ ١٨٣)، لابن بطة العكبري، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي.

(٤) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: (١/ ١٨٤، ١٨٥)، لابن بطة العكبري، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي.

العباد، ولم يجعل الختم والطبع والغشاوة والران والقفل على قلوبهم، ولكن الذي يفعل ذلك كله هو العبد أو الشيطان دون إرادة من الله تعالى، إذ لا يمكن أن يكون ذلك من الله، لأن ذلك كما يقولون يتنافى مع عدالة الرب ﷻ(١).

ثانيا: الجبرية: وقالت: إن العبد مجبور لا يستطيع الحركة نحو الخير والشر باختياره وإرادته، ويستدلون على ذلك بكثير من نصوص الكتاب والسنة التي يزعمون أنها تدل على مذهبهم في الجبر منها قوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾[الأنعام: ٣٩]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي تزعم الجبرية أنها تدل على الجبر وليس للعبد اختيار ولا مشيئة في كل ما يفعل(٢).

ومن هذا الباب إخباره سبحانه بأنه طبع على قلوب الكافرين وختم عليها وأنه أصمها عن الحق وأعمى أبصارها عنه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ...﴾[البقرة: ٧](٣).

والقدرية ترد هذا كله إلى المتشابه وتجعله من متشابه القرآن وتتأوله على غير تأويله بما يقطع ببطلانه وعدم إرادة المتكلم له، والجبرية تستدل بها على أن العبد لا مشيئة ولا إرادة له دون التفات إلى مئات من الآيات القرآنية التي تدل على أن للعبد مشيئة وإرادة واختيارا وهي كثيرة منها قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾[المدثر: ٥٤ــ ٥٥]، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾[المزمل: ١٩](٤).

وهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه فحملوا الآيات المتقدمة الدالة على الإضلال والختم والطبع على محمل صحيح وبينوا أنها لا تدل على الجبر بالمعنى الذي يريدونه بل أن العبد له

---

(١) انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: (١/ ١٩٠)، لابن بطة العكبري، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي.

(٢) انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: (١/ ١٩٠إلى١٩٢)، لابن بطة العكبري، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: (١/ ١٩٢)، لابن بطة العكبري، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي.

(٤) انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: (١/ ١٩٣)، لابن بطة العكبري، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي.

مشيئة وإرادة، وضح ذلك ابن القيم بقوله: (والقرآن من أوله إلى آخره إنما يدل على أن الطبع والختم والغشاوة لم يفعلها الرب سبحانه بعبده من أول وهلة حين أمره بالإيمان أو بين له، وإنما فعله بعد تكرار الدعوة منه سبحانه والتأكيد في البيان والإرشاد وتكرار الإعراض منهم والمبالغة في الكفر والعناد فحينئذ يطبع على قلوبهم ويختم عليها فلا تقبل الهدى بعد ذلك والإعراض والكفر الأول لم يكن مع ختم وطبع بل كان اختيارا فلما تكرر منهم صار طبيعة وسجية)، قال تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٤﴾ [المطففين: ١٤][1].

وإن ما يبتلى به العبد من الذنوب وإن كان خلقا لله فهو عقوبة له على عدم فعل ما خلقه الله له وفطره عليه، فإنه خلقه لعبادته وحده، ودل عليه الفطرة، فلما لم يفعل ما خلق له وما فطر عليه عوقب على ذلك، بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصي[2].

ومن تدبر القرآن تبين له أن عامة ما يذكر الله في خلق الكفر والمعاصي يجعله جزاء لذلك العمل، كقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ٥﴾ [الصف: ٥][3].

ثم تخصيصه سبحانه لمن هداه بأن استعمله ابتداء فيما خلق له تخصيص بفضله، وهذا منه لا يوجب الظلم ولا يمنع العدل، ولهذا يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وكذلك الفضل هو أعلم به[4].

وبهذا يتبين أن الرب لا يضل أحدا، إلا من اختار لنفسه الضلال، ولا يحول بينه وبين الإيمان، إلا من أعرض عن الهدى والإيمان، ولا يسلط الشيطان، إلا على الذين يتولونه،

---

(١) انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: (١/ ١٩٣، ١٩٤)، لابن بطة العكبري، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (٨/ ٢٢٢)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: (٨/ ٢٢٢)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: (٨/ ٢٢٣)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

فيزين لهم أعمالهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ١٠٠][(١)].

وبهذا تم الحديث عن الفصل الثاني: دلالة قصة يوسف عليه السلام على مسألة الهداية والضلال.

---

(١) انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: (١/ ١٩٥)، لابن بطة العكبري، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي.

الفصل الثالث

دلالة قصة يوسف ﷺ على أن الحكم كوني وشرعي

معنى الحكم:

لغة: أن يقضى في شيء بأنه كذا أو ليس بكذا سواء ألزم ذلك غيره أم لا[١].

وعند الأصوليين: خطاب الله المتعلق بفعل المكلف من حيث إنه مكلف وقيل: الحكم قصد المتصرف على بعض ما يتصرف فيه وعن بعض ما يتشوف إليه[٢].

وسبق أن ذكر اسم الله الحكم عند الحديث عن اسم الله الحكيم، فالحكم والحاكم: بمعنى القاضي، ويوصف الله بأنه الحاكم، والحكم[٣]، قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ... ﴾[الأنعام: ١١٤].

أي: أحاكم إليه، وأتقيد بأوامره ونواهيه، فإن غير الله محكوم عليه لا حاكم، وكل تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل على النقص، والعيب، والجور، وإنما الذي يجب أن يتخذ حاكما، فهو الله وحده لا شريك له، الذي له الخلق والأمر، وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ أي: موضحا فيه الحلال والحرام، والأحكام الشرعية، وأصول الدين وفروعه، الذي لا بيان فوق بيانه، ولا برهان أجلى من برهانه، ولا أحسن منه حكما ولا أقوم قيلا لأن أحكامه مشتملة على الحكمة والرحمة[٤].

عن هانئ بن يزيد النخعيرضي الله عنه أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله ﷺ فقال: ((إن الله هو الحكم وإليه الحكم فلم تكنى أبا الحكم))[٥].

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف: (١/ ٢٩١)، للمناوي، حرف: (ح)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف: (١/ ٢٩١)، للمناوي، حرف: (ح)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

(٣) انظر: صفات الله الواردة في الكتاب والسنة: (١٢١)، لعلوي السقاف.

(٤) تفسير السعدي: (١/ ٢٧٠)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٥) سنن أبي داود: (٤/ ٤٤٤)، كتاب: الأدب، باب: في تغيير الاسم القبيح، برقم: (٤٩٥٧)، دون ذكر المحقق، صححه ابن حبان: (٢/ ٢٥٧)، كتاب: البر والإحسان، باب: إفشاء السلام وإطعام الطعام، ذكر: إيجاب الجنة للمرء...إلخ، برقم: (٥٠٤)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

أقسام الحكم الإلهي:

أولا: الحكم الكوني: ومما يدل عليه قوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء: ١١٢][(١)].

ثانيا: الحكم الشرعي: ومما يدل عليه قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة: ١]، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الممتحنة: ١٠][(٢)].

قال ابن القيم:

وانظر إلى الأقدار جارية بما	قد شاء من غي ومن إيمان
واجعل لقلبك مقلتين كلاهما	بالحق في ذا الخلق ناظرتان
فانظر بعين الحكم وارحمهم بها	إذ لا ترد مشيئة الديان
وانظر بعين الأمر واحملهم على	أحكامه فهما إذا نظران[(٣)]

والأبيات في بيان الحكم الكوني القدري، والحكم الديني الأمري الشرعي، فإن جميع أفعال الخلق من الطاعات، والإيمان، والكفر، لا تخرج عن حكم الرب تعالى الكوني القدري فإن جميع الأشياء خلقها تعالى بقدرته ومشيئته ولكن مع ذلك لا بد من النظر إلى الحكم الديني الشرعي والمعنى أنك إذا نظرت إلى الخلق بعين الحكم رحمتهم لأن مشيئة الله تعالى لا ترد وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولكن مع ذلك انظر إلى عين الأمر واحملهم

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ١٠٩٣)، لابن أبي العز الحنفي، ترتيب وتعليق: خالد فوزي.

(٢) مجموع الفتاوى: (٢/ ٤١٣)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ١٠٩٣)، لابن أبي العز الحنفي، ترتيب وتعليق: خالد فوزي.

(٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم: (١/ ١٣١)، لأحمد إبراهيم، تحقيق: زهير الشاويش.

عليها، أي: فحد الزاني، واقطع السارق، واجلد القاذف، واقتل القاتل، ونحو ذلك مما أمر الله ورسوله به، وهذا معنى قوله فانظر بعين الحكم وارحمهم بها...إلخ[(١)].

دلالة قصة يوسف عليه السلام على أن الحكم كوني وشرعي:

قال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٤٠].

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾ أي: ما القضاء والأمر والنهي، إلا لله[(٢)]، وقد جمعت الآية بين الحكمين: الكوني، والشرعي[(٣)].

وأيضا قوله: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف: ٦٧].

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾ أي: الأمر والقضاء لله[(٤)]، وقد جمعت الآية أيضا بين الحكمين: الكوني، والشرعي[(٥)].

وقوله: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [يوسف: ٨٠].

وقوله: ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى﴾، أو يقضي لي ربي بالخروج منها وترك أخي بنيامين، وإلا فإني غير خارج، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾، يقول: والله خير من حكم، وأعدل من فصل بين الناس،

---

(١) انظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم: (١/ ١٣١، ١٣٢)، لأحمد إبراهيم، تحقيق: زهير الشاويش.

(٢) تفسير البغوي: (٤/ ٢٤٣)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: (٢/ ٤١٣)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٤) تفسير القرطبي: (٩/ ٢٢٨)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى: (٢/ ٤١٣)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

وقيل: أو يقضي الله لي بحرب من منعني من الانصراف بأخي بنيامين إلى أبيه يعقوب، فأحاربه[١]، وهذه الآية دليل على الحكم الكوني[٢].

(١) تفسير الطبري: (١٦/ ٢٠٩)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (٢/ ٤١٣)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

الفصل الرابع

دلالة قصة يوسف عليه السلام على الصبر على المصائب والرضا بالقضاء والقدر والشكر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الصبر على المصائب والرضا بالقضاء والقدر.

المبحث الثاني: الحزن لا يؤثر على الإيمان وليس دليلا على الجزع.

المبحث الأول: الصبر على المصائب والرضا بالقضاء والقدر:

تعد قصة يوسف عليه السلام، أنموذجا من النماذج القرآنية فيما يتعلق بالصبر، والرضا بقضاء الله وقدره، فقد صورت القصة صبر يعقوب، ويوسف عليهما السلام، ورضاهما بقضاء الله وقدره، والتسليم له سبحانه وتفويض الأمور إليه، في العديد من المواقف المتلاحقة في القصة، من كيد إخوة يوسف له، وإلقائه في الجب، وبعده وأخيه عن أبيهما، وتأثر أبيهما بذلك، ومراودة امرأة العزيز، وتسببها في إلقائه في السجن، إلى أن برأه الله ورفع مقامه، ورده لأبيه عزيزا، محفوظا من كل مكروه.

معنى الصبر:

لغة: وأصل الصبر الحبس، وكل من حبس شيئا فقد صبره[1].

اصطلاحا: الصبر هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله، لأن الله تعالى أثنى على أيوب بالصبر بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)﴾ [ص: ٤٤] مع دعائه في رفع الضر عنه بقوله: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣)﴾ [الأنبياء: ٨٣][2].

وقوله: ﴿صَابِرًا﴾ أي: ابتليناه بالضر العظيم، فصبر لوجه الله تعالى، ﴿نِّعْمَ الْعَبْدُ﴾ الذي كمل مراتب العبودية، في حال السراء والضراء، والشدة والرخاء[3].

حكمه: واجب باتفاق العلماء[4].

وقد أخفى الله ثواب الصابرين ولم يحدده بحد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)﴾ [الزمر: ١٠].

قال علي رضي الله عنه: ((كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرون، فإنه يحثى لهم حثيا))[5].

---

(١) لسان العرب: (٤/ ٤٣٧)، لابن منظور، (مادة: صبر)، حرف: (ر)، دون ذكر المحقق.

(٢) التعريفات: (١/ ١٧٢)، للجرجاني، باب: (ص)، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

(٣) تفسير السعدي: (١/ ٧١٤)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: (٢٦٥)، لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن اليحيى.

(٥) تفسير البغوي: (٧/ ١١١)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل[١].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣].

أي: صبر على الأذى وستر السيئة، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾، قال سعيد بن جبير: يعني: لمن حق الأمور التي أمر الله بها، أي: لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة، التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل[٢].

معنى الرضا:

لغة: الرضا مقصور ضد السخط[٣].

اصطلاحا: سرور القلب بمر القضاء[٤].

حكمه: قيل: واجب، وقيل: مستحب، وهو الصحيح[٥].

الفرق بين الصبر والرضا:

أن الصابر: يتجرع المر، لكن لا يستطيع أن يتسخط، إلا أن الشيء في نفسه صعب ومر، والراضي: لا يذوق المصاب مرا، بل هو مطمئن به، وكأنه لم يصبه شيء[٦].

أقسام الرضا بالقضاء:

الأول: الرضا بالطاعات؛ فهذا طاعة مأمور بها.

الثاني: الرضا بالمصائب فهذا مأمور بها: إما مستحب وإما واجب.

الثالث: الكفر والفسوق والعصيان، فهذا لا يؤمر بالرضا به، بل يؤمر ببغضه وسخطه، فإن الله لا يحبه ولا يرضاه، كما قال تعالى: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨]،

---

(١) تفسير البغوي: (٧/ ١١١)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٢) تفسير ابن كثير: (٧/ ٢١٣). تحقيق: سامي سلامة.

(٣) لسان العرب: (١٤/ ٣٢٣)، لابن منظور، (مادة: رضي)، حرف: (و، ي)، دون ذكر المحقق.

(٤) التعريفات: (١/ ١٤٨)، للجرجاني، باب: (ر)، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

(٥) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: (٢٦٥)، لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن اليحيى.

(٦) انظر: العقيدة الواسطية: (٦٦٧، ٦٦٨)، لابن عثيمين، إعداد: فهد السليمان.

وقال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢﴾ [آل عمران: ٣٢]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠][(١)].

ومن حكمة الله أن يخلق ما لا يحبه لإفضائه إلى ما يحبه، كما خلق الشياطين، والمؤمنون راضون عن الله في أن يخلق ما يشاء وهو محمود على ذلك، وأما نفس هذا الفعل المذموم وفاعله فلا يرضى به ولا يحمده، وفرق بين ما يحب لنفسه وما يراد لإفضائه إلى المحبوب مع كونه مبغضا من جهة أخرى؛ فإن الأمر الواحد يراد من وجه ويكره من وجه آخر، كالمريض الذي يتناول الدواء الكريه؛ فإنه يبغض الدواء ويكرهه وهو مع هذا يريد استعماله لإفضائه إلى المحبوب لا لأنه في نفسه محبوب[(٢)].

وهذه الثلاثة تعتبر أيضا أقساما للصبر[(٣)].

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦﴾ [الفجر: ١٥ــ ١٦].

ليس الأمر كذلك، ليس إذا ما ابتلاه فأكرمه ونعمه يكون ذلك إكراما مطلقا، وليس إذا ما قدر عليه رزقه يكون ذلك إهانة، بل هو ابتلاء في الموضعين، وهو الاختبار والامتحان، فإن شكر الله على الرخاء، وصبر على الشدة، كان كل واحد من الحالين خيرا له[(٤)].

عن صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له))[(٥)].

---

(١) جامع الرسائل: (٢/ ١٠٦)، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم.

(٢) انظر: جامع الرسائل: (٢/ ١٠٧)، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم.

(٣) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: (٣٩٣)، لعبد الرحمن آل الشيخ.

(٤) جامع الرسائل: (٢/ ٣٤٢)، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم.

(٥) صحيح مسلم: (٤/ ٢٢٩٥)، كتاب: الزهد والرقائق، باب: أمر المؤمن كله خير، برقم: (٢٩٩٩) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

دلالة قصة يوسف ﷺ على الصبر على المصائب والرضا بالقضاء والقدر:

أولا: تكميل يوسف ﷺ لمراتب الصبر:

١- الصبر الاضطراري: وهو صبره على أذية إخوته، وما ترتب عليه من بعده عن أبويه، وصبره في السجن بضع سنين.

٢- الصبر الاختياري: وهو صبره على مراودة امرأة العزيز، مع وجود الدواعي القوية، من جمالها، وعلو منصبها، وكونها هي التي راودته، وغلقت الأبواب، وهو في ريعان شبابه، وليس عنده من قرابته ومعارفه الأصليين أحد، ومع هذه الأمور، وقوة الشهوة، منعه إيمانه الصادق، وإخلاصه من مواقعة المحذور، ثم راودته، واستعانت عليه بالنسوة[(١)].

ثانيا: صبر يعقوب ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

أي جاؤوا بالقميص وعليه دم، فقالوا ليعقوب ﷺ: (هو دم يوسف)، ولم يكن دمه، وإنما كان دم سخلة -ولد الشاة-، فيما قيل، وعلم يعقوب بتزيين أنفسهم لهذا الأمر، وصبر مستعينا بالله على أن يكفيه شر ذلك الكذب، وقيل في الصبر الجميل: أنه الذي لا جزع فيه[(٢)].

وقال: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

قال لهم هنا عندما فقد ابنه، الذي أقام بديار مصر ينتظر أمر الله فيه، إما أن يرضى عنه أبوه فيأمره بالرجوع إليه، وإما أن يأخذ أخاه خفية، بالإضافة لفقده ليوسف، وبنيامين، بعد حادثة فقدان صواع الملك، كما قال لهم حين جاءوا على قميص يوسف بدم كذب: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾، وظن أنها كفعلتهم بيوسف، وقيل: لما كان صنيعهم

---

(١) انظر: الفوائد المستنبطة من قصة يوسف ﷺ: (٢٦)، للشيخ: السعدي، اعتنى به: أشرف عبد المقصود.

(٢) انظر: تفسير الطبري: (١٥/ ٥٧٩، ٥٨٤)، تحقيق: أحمد شاكر.

هذا مرتبا على فعلهم الأول، سحب حكم الأول عليه، وصح قوله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ...﴾، ثم ترجى من الله أن يرد عليه أولاده الثلاثة، ولهذا قال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾، العليم بحالي، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أفعاله وقضائه وقدره[1].

(١) انظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٠٤)، (٤/ ٤٠٥)، تحقيق: سامي سلامة.

المبحث الثاني: الحزن لا يؤثر على الإيمان وليس دليلا على الجزع:

معنى الحزن:

الحزن لغة: نقيض الفرح وهو خلاف السرور، والجمع أحزان(١).

اصطلاحا: عبارة عما يحصل لوقوع مكروه، أو فوات محبوب في الماضي(٢).

معنى الجزع:

الجزع لغة: نقيض الصبر(٣).

اصطلاحا: الجزع محركا، حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه، فهو أبلغ من الحزن لأن الحزن عام(٤).

دلالة قصة يوسف عليه السلام على أن الحزن لا يؤثر على الإيمان وليس دليلا على الجزع:

قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يوسف: ٨٤ــ ٨٥].

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أي: أعرض عن بنيه وقال متذكرا حزن يوسف القديم الأول: ﴿يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: جدد له حزن الابنين، الحزن الدفين(٥).

قال سعيد بن جبير: ((لم يعط أحد غير هذه الأمة الاسترجاع، ألا تسمعون إلى قول يعقوب، عليه السلام: ﴿يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾)). أي: ساكت

---

(١) لسان العرب: (١٣/ ١١١)، لابن منظور، مادة: (حزن)، حرف: (ز)، دون ذكر المحقق.

(٢) التعريفات: (١/ ١١٧)، للجرجاني، حرف: (ح)، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

(٣) لسان العرب: (٨/ ٤٧)، لابن منظور، مادة: (جزع)، حرف: (ع)، دون ذكر المحقق.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف: (١/ ٢٤٢)، للمناوي، حرف: (ج)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٤٠٥)، تحقيق: سامي سلامة.

لا يشكو أمره إلى مخلوق، قاله قتادة وغيره، وقال الضحاك: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: كميد حزين[١].

عند ذلك رق له بنوه، وقالوا له على سبيل الرفق به والشفقة عليه: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ أي: لا تفارق تذكر يوسف، ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ أي: ضعيف الجسم، ضعيف القوة، ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ يقولون: وإن استمر بك هذا الحال خشينا عليك الهلاك والتلف[٢].

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: أجابهم عما قالوا بقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: همي وما أنا فيه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ وحده ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ أي: أرجو منه كل خير، وعن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، يعني رؤيا يوسف أنها صدق وأن الله لا بد أن يظهرها وينجزها، وعن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ...﴾ أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأني سوف أسجد له[٣].

مراتب الناس في الشكوى:

وعدد هذه المراتب ثلاث هي:

١- وهي أخسها: شكوى الله لخلقه.

٢- أعلاها: شكوى النفس إليه سبحانه.

٣- أوسطها: شكوى الخلق لله[٤].

وغاية الجهل شكوى الله للناس، وهذا الجهل متعلق بالمشكو والمشكو إليه، إذ لو عرف الشاكي ربه لما شكاه، ولو عرف الناس لما شكا إليهم[٥].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٤٠٥)، تحقيق: سامي سلامة.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٤٠٥)، تحقيق: سامي سلامة.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٤٠٦)، تحقيق: سامي سلامة.

(٤) انظر: الفوائد (١٢٧)، لابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي.

(٥) انظر: الفوائد (١٢٧)، لابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي.

ولا ينبغي للعبد أن يجعل المعيار على ما يضره وينفعه ميله وحبه ونفرته وبغضه، بل المعيار في ذلك ما اختاره الله له بأمره ونهيه، فأنفع الأشياء له طاعة ربه ظاهرا وباطنا، وأضر الأشياء معصيته سبحانه أيضا ظاهرا وباطنا، فكل ما يجري له مما يكره، هو خير له، وإن صحت عبوديته ومعرفته لله بأسمائه وصفاته، علم يقينا أن ما يصيبه من المكروهات ضرب من ضروب المصالح، فعامة مصالح الناس في مكروهاتها، وأسباب هلكتها في محبوباتها، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦]، والعاقل الكيس ينظر دائما للغايات من وراء ستور مبادئها، ومن رضي بما اختاره الله له أمده الله بالقوة والعزيمة عليه والصبر، وصرف عنه الآفات، وأراحه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات، ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات(١).

بيان نعم الله على المكلفين:

لقد أنعم الله على العبد بنعم أصولية وفروعية، مشتركة بين البر والفاجر، وخص المؤمنين بنعم أخرى أتم عليهم بها النعمة، ومن نعمه العامة أن أوجدهم بعد العدم، ومتعهم بعافية البدن، وجعل لهم مشيئة وإرادة واختيارا، أمرهم أن يصرفوها في مرضاة الله، وأنزل عليهم الكتب لبيان ما يحبه الله ويرضاه، وقد خص المؤمنين بالهداية وحبب الإيمان لقلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، فكلما قصدوا سبل الهداية لطف بهم ويسرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، ودفع عنهم بإيمانهم السوء والفحشاء، فكل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، وما منع منه الكافر والفاجر، متعلق بكمال حكمته وعلمه بما يستحقه بسبب إعراضه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣](٢).

---

(١) انظر: الفوائد (١٣٣، ٢٠١، ٢٠٢)، لابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي.

(٢) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: (٦٤٦إلى٦٤٨)، لعبد العزيز السلمان.

أقسام البلاء:

لا تخرج عن أربعة أقسام هي:

البلاء في النفس، والمال، والعرض، والأهل والأحباب، والناس جميعا مشتركون في هذه الأربع، وكل عبد مبتلى، والابتلاء من علامة محبة الله لعبده[1]، وأشد الناس بلاء الأنبياء، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: ((دخلت على رسول الله ﷺوهو يوعك فقلت يا رسول الله إنك لتوعك وعكا شديدا؟ قال: (أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم)، قلت ذلك بأن لك أجرين؟ قال: (أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها)))[2].

غير أن تعامل الناس مع المصائب والبلايا مختلف حسب قوة الإيمان في القلب، والرضا بمقدوره سبحانه، وقد جاءت السنة بالتحذير من بعض الأمور التي تصدر من البعض حال نزول بعض المصائب، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب أودعا بدعوى الجاهلية))[3]،[4].

وليس أمام المؤمن حال نزول المصائب على تنوعها، إلا الصبر، والرضا، والتسليم، والثقة بوعد الله، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠]، والاقتداء بأنبياء الله في تعاملهم مع ما حل بهم من مصائب، وأذى، وإن كان العبد بفطرته مجبول على الحزن ودمع العين من جراء ذلك، وهذه طبيعة بشرية، إلا أن ذلك لا بد وألا يكون ديدنه، وألا يشغل وقته بالحزن على ما مضى، وليحتسب ما عند الله من الجزاء، عن أنس بن مالك ﷺ في وفاة

---

(١) انظر: خطب التوحيد المنبرية: (٣٠١، ٣٠٢)، لعبد الملك القاسم.

(٢) صحيح البخاري: (٥/ ٢١٣٩)، كتاب: المرضى، باب: أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول، برقم: (٥٣٢٤)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) صحيح مسلم: (١/ ٩٩)، كتاب: الإيمان، باب: تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، برقم: (١٠٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٤) وأما دعوى الجاهلية فقال القاضي عياض: هي: النياحة، وندبه الميت، والدعاء بالويل وشبهه،: والمراد بالجاهلية ما كان في الفترة قبل الإسلام، (المنهاج، شرح صحيح مسلم: (٢/ ١١٠)، للنووي، دون ذكر المحقق).

إبراهيم ابن رسول الله ﷺ قال: فدمعت عينا رسول الله ﷺفقال: ((تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى ربنا والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون))[١].

والواجب على المؤمن عند حلول المصيبة امتثال ما أمر به النبي ﷺ في حديث أم سلمة رضي الله عنها إذ قالت: سمعت رسول الله ﷺيقول: ((ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله، إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرا منها، إلا أخلف الله له خيرا منها))[٢].

وبتمام الحديث عن آخر فصول هذا الباب: دلالة قصة يوسف عليه السلام على الصبر على المصائب والرضا بالقضاء والقدر والشكر، بقي بيان ثمرات الإيمان بالقدر، أحد أركان الإيمان الستة.

ثمرات الإيمان بالقدر:

أولا: الاعتماد على الله، عند فعل الأسباب، لا على السبب نفسه، لأن كل شيء بقدر.

ثانيا: أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول منة الله عليه، بل يتوجب عليه الشكر لله، على ما قدره من توفيق.

ثالثا: الطمأنينة والراحة النفسية بما يجري من أقدار الله، والابتعاد عن القلق لفوات المطلوب، فكل ذلك بقدر، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٢ــ ٢٣][٣].

وبهذا ينتهي الباب الخامس وما فيه من الكلام عن دلالة قصة يوسف عليه السلام على الإيمان بالقدر خيره وشره، والله ولي التوفيق.

---

(١) صحيح مسلم: (٤/ ١٨٠٧)، كتاب: الفضائل، باب: ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال: لا...إلخ، برقم: (٢٣١٥)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) صحيح مسلم: (٢/ ٦٣١)، كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة، برقم: (٩١٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) انظر: ثلاثة الأصول: (١١٥)، لابن عثيمين، إعداد: فهد السليمان.

الباب السادس

دلالة قصة يوسف عليه السلام على مسائل الإيمان

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: دلالة قصة يوسف عليه السلام على دخول الأعمال في مسمى الإيمان.

الفصل الثاني: دلالة قصة يوسف عليه السلام على زيادة الإيمان. ونقصانه.

الفصل الثالث: دلالة قصة يوسف عليه السلام على بعض الكبائر وما يكفرها.

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: قتل النفس.

المبحث الثاني: عقوق الوالدين.

المبحث الثالث: قطيعة الرحم.

المبحث الرابع: الكذب.

المبحث الخامس: الظلم.

المبحث السادس: التشبه بالكافرين.

المبحث السابع: مكفرات الذنوب. التوبة والاستغفار.

الفصل الرابع: دلالة قصة يوسف عليه السلام على ما يضاد الإيمان وهو الكفر.

الفصل الأول

دلالة قصة يوسف ﷺ على دخول الأعمال في مسمى الإيمان

إن من أراد علو بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه وشدة الاعتناء به، فإن علو البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه، فالأعمال والدرجات بنيان وأساسها الإيمان، وإذا كان الأساس وثيقا حمل البنيان، واعتلى عليه، وإذا تهدم شيء من البنيان سهل تداركه، وإذا كان الأساس غير وثيق لم يرتفع البنيان، ولم يثبت، وإذا تهدم منه شيء سقط البنيان أو كاد يسقط، وأساس الإيمان أمران: أولا: صحة معرفة الله بأسمائه وصفاته، ومعرفة أمره، ثانيا: تجريد الانقياد لله ولرسوله، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة: ١٠٩][١].

معنى الإيمان:

سبق بيانه في مقدمة الفصل الأول، من الباب الأول، وخلاصته:

يعني في **اللغة:** التصديق[٢]، **واصطلاحا:** إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان[٣].

منـــزلة مسائل الإيمان:

إن مسائل الإيمان عظيمة الشأن، لا تجوز الغفلة عنها، أو إهمالها، بل بذل الوسع في تحقيقها، لأن الله علق بها السعادة والإسعاد[٤].

وقد صنف العلماء قديما وحديثا، تصانيف متعددة في مسائل الإيمان، كالإمام أحمد، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو بكر بن أبي شيبة، وغيرهم، وكانت هذه المسائل محل عناية عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٠٦هـ)[٥]، مجدد الدعوة السلفية في العصر الحاضر[٦].

---

(١) انظر: الفوائد: (٢٢٩، ٢٣٠)، لابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي.

(٢) انظر: لسان العرب (١٣/ ٢١) حرف: ن، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور، دون ذكر المحقق، المعجم الوسيط (١/ ٢٨) باب الهمزة، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

(٣) التعريفات للجرجاني (١/ ٦٠) تحقيق: إبراهيم الأبياري، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم للسيوطي (١/ ٧٣)، تحقيق: أ. د. محمد إبراهيم عبادة، ثلاثة الأصول للشيخ محمد العثيمين: ص٧٩، إعداد فهد السليمان.

(٤) انظر: مجلة البحوث الإسلامية: (١٧٢)، العدد٨٢)، د. عبد الله السند.

(٥) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، (٢٣/ ٣٢٤)، لعلماء نجد الأعلام، تحقيق: محمد بن قاسم.

(٦) انظر: مجلة البحوث الإسلامية: (١٧٣، ١٧٤)، العدد٨٢)، د. عبد الله السند.

مذاهب الفرق في معنى الإيمان:

١- ذهب الخوارج إلى أن الإيمان هو الطاعة.

٢- ومال إلى ذلك كثير من المعتزلة واختلفت مذاهبهم في تسمية النوافل إيمانا.

٣- وصار أصحاب الحديث إلى أن الإيمان: معرفة بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان(١).

٤- وذهب بعض القدماء إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب والإقرار بها.

٥- وذهبت الكرامية(٢) إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فحسب، ومضمر الكفر إذا أظهر الإيمان مؤمن حقا عندهم، غير أنه يستوجب الخلود في النار، ولو أضمر الإيمان و لم يتيقن منه إظهاره، فهو ليس بمؤمن وله الخلود في الجنة(٣).

لكن حقيقة الإيمان التصديق بالله، والدليل على أن الإيمان هو التصديق صريح اللغة وأصل العربية وهو لا ينكر فيحتاج إلى إثباته ومن التنزيل: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [يوسف: ١٧]، معناه: ما أنت بمصدق لنا(٤).

دلالة قصة يوسف عليه السلام على دخول الأعمال في مسمى الإيمان:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف: ٥٦-٥٧].

والشاهد في قوله: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾، يخبر تعالى أن ما

---

(١) الفتاوى الكبرى: (٦/ ٥٠٨)، لابن تيمية، تحقيق: محمد عطا، ومصطفى عطا.

(٢) **الكرامية**: بخراسان، ثلاثة أصناف، حقاقية، طرايقية، إسحاقية، ولا يكفر بعضها بعضا، وإن كفرها سائر الفرق، ولذا جمعت بمسمى: الكرامية، زعيمها: محمد بن كرام، دعا لضلالات كثيرة وقبيحة، منها: دعوته لتجسيم معبوده، ووصفه حينا بأنّه جوهر، وأنّ الله مماس لعرشه، والعرش مكان له، وأبدل أصحابه لفظ المماسة بالملاقاة للعرش، واختلفوا في الاستواء، وفي جواز العدم في كل تلك الحوادث في ذات الإله، وفي جواز العدم على أجسام العالم، انظر: انظر: الفرق بين الفرق: (١/ من٢٠٢إلى٢٠٥)، للبغدادي، دون ذكر المحقق.

(٣) الفتاوى الكبرى: (٦/ ٥٠٨)، لابن تيمية، تحقيق: محمد عطا، ومصطفى عطا.

(٤) انظر: الفتاوى الكبرى: (٦/ ٥٠٨)، لابن تيمية، تحقيق: محمد عطا، ومصطفى عطا.

ادخره الله لنبيه يوسف، عليه السلام، في الدار الآخرة أعظم وأكثر، وأجل، مما خوله من التصرف والنفوذ في الدنيا كما قال تعالى في حق سليمان، عليه السلام: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٠﴾ [ص: ٣٩ــ ٤٠][١]، وفي قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧﴾، بالتحديد، بيان لمن جمع بين التقوى والإيمان، فبالتقوى تترك الأمور المحرمة من كبائر الذنوب وصغائرها، وبالإيمان التام يحصل تصديق القلب، بما أمر الله بالتصديق به، وتتبعه أعمال القلوب وأعمال الجوارح، من الواجبات والمستحبات[٢].

وقد ورد في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، العديد من النصوص، التي تقرر مسألة: دخول الأعمال في مسمى الإيمان، منها على سبيل المثال لا الحصر:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ــ ٤].

وقد وصف الله سبحانه المؤمنين في الآية، بتحقيقهم أعمال القلب، واللسان، والبدن، وفي هذا دليل على أن هذه الأعمال من جوامع الإيمان، من حققها فقد حقق الإيمان[٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

يعني صلاتكم إلى بيت المقدس، وهذا في سياق الحديث عن تحويل القبلة إلى الكعبة، ومن مات قبل تحول القبلة إليها[٤].

وفي الآية دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، على أن الإيمان تدخل فيه أعمال الجوارح[٥].

وقال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٩٦)، تحقيق: سامي سلامة.

(٢) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٤٠٠)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) انظر: الاعتقاد للبيهقي: (١٩١)، تخريج وتعليق: فريح البهلال.

(٤) انظر: تفسير البغوي: (١/ ١٦٠)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٥) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٧٠)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

أي: من عمل بطاعة الله، وأوفى بعهود الله إذا عاهد من ذكر أو أنثى من بني آدم وهو مؤمن: يقول: وهو مصدق بثواب الله الذي وعد أهل طاعته على الطاعة، وبوعيد أهل معصيته على المعصية ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ((الرزق الطيب في الدنيا))(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان))(٢).

وقول النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس، وفيه: ((قال أمرهم بالإيمان بالله وحده، وقال: هل تدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمسا من المغنم))(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين))(٤).

وفي هذه النصوص، لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم، أن هذه الأعمال تكون إيمانا بالله بدون إيمان القلب، فلا بد من تحقق الأمرين معا، تصديق القلب، وعمل الجوارح، وهذا هو الإيمان المقصود(٥).

وقد أنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان، إنكارا شديدا، ومنهم: سعيد بن جبير، وميمون بن مهران، وقتادة، والنخعي(٦).

---

(١) تفسير الطبري: (١٧/ ٢٨٩، ٩٩٠)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) صحيح البخاري: (١/ ١٢)، كتاب: الإيمان، باب: أمور الإيمان، برقم: (٩)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) صحيح مسلم: (١/ ٤٦)، كتاب: الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، برقم: (١٧)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٤) صحيح مسلم: (١/ ٦٧)، كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم: (٤٤)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ١٨١)، لابن أبي العزّ الحنفي، ترتيب: خالد فوزي.

(٦) انظر: جامع العلوم والحكم: (٢٦)، لابن رجب الحنبلي، دون ذكر المحقق.

قال الثوري: «هو رأي محدث، أدركنا الناس على غيره»[١].

وقال الأوزاعي (ت: ١٥٧هـ)[٢]: «وكان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان»[٣].

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الأمصار: «أما بعد: فإن الإيمان، فرائض، وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان»[٤].

وقال أبو بكر الإسماعيلي (ت: ٣٧١هـ)[٥]: «قال كثير من أهل السنة والجماعة: إن الإيمان قول وعمل...»[٦].

وبهذا يتبين أن جميع الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، سواء أكانت أعمال جوارح ظاهرة، أو أعمالا باطنة، كالإخلاص، والنصح لله وعباده، وسلامة الصدر: من الغش، والحقد، والحسد، والخشوع، وتحقيق التوكل، وغيرها.

---

(١) جامع العلوم والحكم: (٢٦)، لابن رجب الحنبلي، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء: (١٣/ ١٤٩)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف شعيب الأرناؤوط.

(٣) جامع العلوم والحكم: (٢٦)، لابن رجب الحنبلي، دون ذكر المحقق.

(٤) جامع العلوم والحكم: (٢٦)، لابن رجب الحنبلي، دون ذكر المحقق.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء: (٣١/ ٣٤٦)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف شعيب الأرناؤوط.

(٦) جامع العلوم والحكم: (٢٧)، لابن رجب الحنبلي، دون ذكر المحقق.

الفصل الثاني

دلالة قصة يوسف ﷺ على زيادة الإيمان ونقصانه

إن عامة أهل السنة يرون أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهو مذهب مالك والشافعي وغيرهم، وأن إيمان العباد لا يتساوى بل يتفاضل، وإيمان السابقين الأولين أكمل من إيمان أهل الكبائر المجرمين[١]، وقد اشتركوا في أصل التصديق، وأن التصديق يكون بعضه أقوى من بعض وأثبت، وأوجه الزيادة في الإيمان كالتالي:

أوجه الزيادة في الإيمان:

الأول: الزيادة في أصل الإيمان (التصديق).

الثاني: الزيادة في المؤمن به.

الثالث: الزيادة في العمل[٢].

تفاضل التصديق:

التصديق أيضا متفاضل من جهات:

منها: أن التصديق بما جاء به الرسول ﷺ قد يكون مجملا، وقد يكون مفصلا؛ والمفصل من المجمل؛ فليس تصديق من عرف القرآن ومعانيه، والحديث ومعانيه، وصدق بذلك مفصلا، كمن صدق أن محمدا رسول الله ﷺ، وأكثر ما جاء به لا يعرفه، أو لا يفهمه.

ومنها: أن التصديق المستقر المذكور أتم من العلم الذي يطلب حصوله مع الغفلة عنه[٣].

ومنها: أن التصديق نفسه يتفاضل كنهه؛ فليس ما أثنى عليه البرهان، بل تشهد له الأعيان حتى بلغ أعلى الدرجات؛ درجات الإيقان، كتصديق زعزعته الشبهات، وصدفته الشهوات ولعب به التقليد، ويضعف لشبه المعاند العنيد[٤].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (٦/ ٤٧٩، ٤٨٠)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ١٩٧)، لابن أبي العزّ الحنفي، ترتيب: خالد فوزي.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ١٨٧، ٢٠١)، لابن أبي العزّ الحنفي، ترتيب: خالد فوزي.

(٣) مجموع الفتاوى: (٦/ ٤٨٠)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: (٦/ ٤٨٠، ٤٨١)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز.

أقوال السلف في زيادة الإيمان، ونقصانه:

كان عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه: ((هلموا نزدد إيمانا))، فيذكرون الله تعالى عز وجل[١].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: ((من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه، وما نقص منه، ومن فقه العبد، أن يعلم أيزداد هو أم ينقص؟))[٢].

وعن عمير بن حبيب رضي الله عنه قال: ((الإيمان يزيد وينقص، قيل: ما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه وسبحناه، فتلك زيادته، وإذا أغفلنا وضيعنا وأسأنا فذاك نقصانه))[٣].

وقال سعيد الثوري: ((والإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ولا يجوز القول إلا بالعمل ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة))[٤].

وذكر الذهبي، في ترجمة أبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)[٥] قوله:

وبعد فالإيمان قول وعمل ونية عن ذاك ليس ينفصل

فتارة يزيد بالتشمير وتارة ينقص بالتقصير[٦]

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «والسلف يخافون على الإنسان إذا كان ضعيف الإيمان النفاق، أو سلب الإيمان كله»[٧].

أقوال الفرق في زيادة الإيمان ونقصانه:

خالف أهل السنة في هذه المسألة طائفتان هما:

الأولى: المرجئة: وهم يرون أن الإيمان إقرار بالقلب فقط، أي: أن الأعمال غير داخلة

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٢٠٦، ٦٠٥)، لابن أبي العزّ الحنفي، ترتيب: خالد فوزي.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٦٠٥)، لابن أبي العزّ الحنفي، ترتيب: خالد فوزي.

(٣) السنة: (٤/ ٤٧)، للخلال، تحقيق: عطية الزهراني.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: (١/ ١٥١، ١٥٢)، للالكائي، تحقيق: أحمد حمدان.

(٥) سير أعلام النبلاء: (٣٥/ ٦٨)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف شعيب الأرناؤوط.

(٦) سير أعلام النبلاء: (٣٥/ ٦٧، ٦٨)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

(٧) انظر: مجلة البحوث الإسلامية: (٢٣١، ٢٣٢)، العدد٨٢)، د. عبد الله السند.

في مسمى الإيمان، وعليه فالإيمان لا يزيد ولا ينقص، لتعلقه بالقلب، فالعابد، والعاصي سواء، لا يعذب، شريطة ألا تخرجه معصيته عن الدين[(١)].

الثانية: الخوارج والمعتزلة: أقروا بدخول الأعمال في مسمى الإيمان، لكن الخوارج: يكفرون مرتكب الكبيرة، والمعتزلة: يجعلونه في منزلة بين المنزلتين، لا يقولون مؤمن، ولا كافر، بمعنى: خرج من الإيمان، و لم يدخل في الكفر[(٢)].

دلالة قصة يوسف عليه السلام على زيادة الإيمان ونقصانه:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٣— ٣٤].

وقد استحب يوسف عليه السلام السجن، والعذاب الدنيوي، على لذة حاضرة توجب العذاب الشديد[(٣)].

وهذا في غاية مقامات الكمال: أنه مع شبابه، وجماله، وكماله، تدعوه سيدته، وهي امرأة عزيز مصر، وهي مع هذا في غاية الجمال، والمال، والرياسة، ويمتنع من ذلك، ويختار السجن على ذلك، خوفا من الله، ورجاء ثوابه[(٤)]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((سبعة يظلهم الله في ظله وذكر منهم، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله))[(٥)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية: (٥٧٥، ٥٧٦)، لابن عثيمين، إعداد فهد السليمان.

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية: (٥٧٦)، لابن عثيمين، إعداد فهد السليمان.

(٣) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٣٩٧)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٨٧)، تحقيق: سامي سلامة.

(٥) صحيح البخاري: (١/ ٢٣٤)، كتاب: الجماعة، والإمامة، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة...إلخ، برقم: (٦٢٩)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

أن يعود في الكفر، كما يكره أن يقذف في النار))[١].

ومن الأدلة على زيادة الإيمان، ونقصانه، في غير قصة يوسف عليه السلام:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها، على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة، كالشافعي، وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد (ت: ٢٢٤هـ)[٢][٣].

وقوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤ــ١٢٥].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ بالعلم بها، وفهمها، واعتقادها، والعمل بها، والرغبة في فعل الخير، والانكفاف عن فعل الشر، ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يبشر بعضهم بعضا بما من الله عليهم من آياته، والتوفيق لفهمها والعمل بها. وهذا دال على انشراح صدورهم لآيات الله، وطمأنينة قلوبهم، وسرعة انقيادهم لما تحثهم عليه[٤].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك ونفاق ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ أي: مرضا إلى مرضهم، وشكا إلى شكهم، من حيث إنهم كفروا بها، وعاندوها وأعرضوا عنها، فازداد لذلك مرضهم، وترامى بهم إلى الهلاك ﴿وَ﴾ الطبع على قلوبهم، حتى ﴿وَمَاتُوا۟

(١) صحيح البخاري: (٦/ ٢٥٤٦)، كتاب: الإكراه، باب: من اختار الضرب، والقتل، والهوان على الكفر، برقم: (٦٥٤٢)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٢) وقيل توفي عام: (٢١٣هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء: (١٩/ ٤٨٦)، (٢٠/ ١)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف شعيب الأرناؤوط.

(٣) تفسير ابن كثير: (٤/ ١٢)، تحقيق: سامي سلامة.

(٤) تفسير السعدي: (١/ ٣٥٦)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾، وهذا عقوبة لهم، لأنهم كفروا بآيات الله وعصوا رسوله، فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه[١].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[فاطر: ٣٢].

وقد ذكرت الآيات طبقات المؤمنين[٢].

فلما كانت هذه الأمة أكمل الأمم عقولا وأحسنهم أفكارا، وأرقهم قلوبا، وأزكاهم أنفسا، اصطفاهم الله تعالى، واصطفى لهم دين الإسلام، وأورثهم الكتاب المهيمن على سائر الكتب، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾، ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالمعاصي، التي هي دون الكفر، ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ مقتصر على ما يجب عليه، تارك للمحرم، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: سارع فيها واجتهد، فسبق غيره، وهو المؤدي للفرائض، المكثر من النوافل، التارك للمحرم والمكروه[٣].

فكلهم اصطفاه الله تعالى، لوراثة هذا الكتاب، وإن تفاوتت مراتبهم، وتميزت أحوالهم، فلكل منهم قسط من وراثته، حتى الظالم لنفسه، فإن ما معه من أصل الإيمان، وعلوم الإيمان، وأعمال الإيمان، من وراثة الكتاب، لأن المراد بوراثة الكتاب، وراثة علمه وعمله، ودراسة ألفاظه، واستخراج معانيه، وقوله ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ راجع إلى السابق إلى الخيرات، لئلا يغتر بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته، فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ أي: وراثة الكتاب الجليل، لمن اصطفى تعالى من عباده، ثم ذكر جزاء الذين أورثهم كتابه فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾[٤].

ومما ورد في السنة المطهرة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) تفسير السعدي: (١/ ٣٥٦)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: (٦٥٢)، لعبد العزيز السلمان.

(٣) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٦٨٩)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٦٨٩)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

يقول: ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))[(١)].

وأضعف الإيمان معناه: أقله ثمرة[(٢)]، ويدل الحديث على أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من خصال الإيمان، وأن من قدر على خصلة وفعلها كان أفضل ممن تركها عجزا[(٣)].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل، ودين، أغلب لذي لب منكن، قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: أما نقصان العقل: فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين))[(٤)].

وفي الحديث بيان زيادة الإيمان ونقصانه[(٥)].

وأما وصفه ﷺ النساء بنقصان الدين، فلتركهن الصلاة، والصوم في زمن الحيض، فقد يستشكل معناه وليس بمشكل بل هو ظاهر، وقد علم أن من كثرت عبادته زاد إيمانه، ودينه، ومن نقصت عبادته نقص دينه، ثم نقص الدين قد يكون على وجه يأثم به كمن ترك الصلاة، أو الصوم، أو غيرهما من العبادات الواجبة عليه بلا عذر، وقد يكون على وجه لا إثم فيه كمن ترك الجمعة، أو الغزو، أو غير ذلك، مما لا يجب عليه لعذر، وقد يكون على وجه هو مكلف به كترك الحائض الصلاة، والصوم، وظاهر هذا الحديث أنها لا تثاب على الصلاة في زمن الحيض، وإن كانت لا تقضيها، كما يثاب المريض والمسافر ويكتب له في مرضه، وسفره، مثل نوافل الصلوات التي كان يفعلها في صحته، وحضره، والفرق أن

---

(١) صحيح مسلم: (١/ ٦٩)، كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص...إلخ، برقم: (٤٩)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم: (٢/ ٢٥)، للنووي، دون ذكر المحقق.

(٣) جامع العلوم والحكم: (٣٢٣)، لابن رجب الحنبلي، دون ذكر المحقق.

(٤) صحيح مسلم: (١/ ٨٦)، كتاب: الإيمان، باب: بيان نقصان الإيمان بنقصان الطاعات...إلخ، برقم: (٧٩)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم: (٢/ ٦٧)، للنووي، دون ذكر المحقق.

المريض، والمسافر كان يفعلها بنية الدوام عليها مع أهليته لها، والحائض ليست كذلك بل نيتها ترك الصلاة في زمن الحيض، بل يحرم عليها نية الصلاة في زمن الحيض، فنظيرها مسافر، أو مريض كان يصلي النافلة في وقت، ويترك في وقت، غير ناو الدوام عليها فهذا لا يكتب له في سفره، ومرضه في الزمن الذي لم يكن يتنفل فيه(١).

أسباب زيادة الإيمان:

أولا: معرفة الله بأسمائه وصفاته.

ثانيا: النظر في آيات الله الكونية، والشرعية: وذلك بالتفكر في ملكوت الله وبديع صنعه، والنظر في الأحكام الشرعية التي جاءت به الرسل، وأنها ما جاءت إلا مبنية على العدل، والرحمة.

ثالثا: الإكثار من الطاعات.

رابعا: ترك المعاصي تقربا لله(٢).

أسباب نقص الإيمان:

أولا: الإعراض عن معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته.

ثانيا: الإعراض عن النظر في الآيات الكونية، والشرعية، مما يوجب قسوة القلب، وغفلته.

ثالثا: قلة العمل الصالح(٣).

رابعا: فعل المعاصي، قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤](٤).

آثار الإيمان على المؤمن:

للإيمان آثار عديدة على العبد، منها:

---

(١) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم: (٢/ ٦٨)، للنووي، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية: (٥٧٧، ٥٧٨)، لابن عثيمين، إعداد فهد السليمان.

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية: (٥٧٨)، لابن عثيمين، إعداد فهد السليمان.

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية: (٥٧٨)، لابن عثيمين، إعداد فهد السليمان.

أولا: ولاية الله تعالى لعبده، وتكون بحسب إيمانه قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧][(١)]، والمعنى في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ناصرهم ومعينهم، وقيل: محبهم، وقيل متولي أمورهم يكلهم إلى غيره، وقال الحسن: ولي هدايتهم ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي من الكفر إلى الإيمان[(٢)].

ثانيا: معيته الخاصة هي لأهل الإيمان كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٩﴾ [الأنفال: ١٩][(٣)]، والمعنى: أن الله مع من آمن به من عباده على من كفر به منهم، ينصرهم عليهم، أو يظهرهم كما أظهرهم يوم بدر على المشركين[(٤)].

ثالثا: وكذلك النصر والتأييد الكامل إنما هو لأهل الإيمان الكامل قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾ [غافر: ٥١][(٥)].

فإذا نقص الإيمان وضعف، كان حظ العبد من ولاية الله له، ومعيته الخاصة، ونصره وتأييده بقدر حظه من الإيمان، ولهذا إذا أصيب العبد بمصيبة في نفسه أو ماله أو، أو تسلط عليه عدو، أو غير ذلك، فإنما يكون ذلك بسبب ذنوبه إما لترك واجب، أو فعل محرم، وهو من نقص إيمانه[(٦)].

ومن جعل وظائف عبوديته قبلة قلبه، ونصب عينيه، وعكف على ذلك بالروح، والقلب، والبدن، فقد نال عطف ربه، واصطفائه، وولايته، في دينه، ومعاشه، ومن ذاق

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (٢/ ١٨٢)، لابن القيم، تحقيق: محمد الفقي.

(٢) تفسير البغوي: (١/ ٣١٥)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٣) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (٢/ ١٨٢)، لابن القيم، تحقيق: محمد الفقي.

(٤) تفسير الطبري: (١٣/ ٤٥٥)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٥) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (٢/ ١٨٢)، لابن القيم، تحقيق: محمد الفقي.

(٦) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (٢/ ١٨٢)، لابن القيم، تحقيق: محمد الفقي.

حلاوة ذلك ثم تركها وصدته الشهوات، والراحة، والملذات، فحياته عجز، وغم، وحزن[1].

وبهذا تم الفصل الثاني: دلالة قصة يوسف عليه السلام على زيادة الإيمان ونقصانه.

(١) انظر: طريق الهجرتين: (١٧٠، ١٧١)، لابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم.

الفصل الثالث

دلالة قصة يوسف ﷺ على بعض الكبائر وما يكفرها

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: قتل النفس.

المبحث الثاني: عقوق الوالدين.

المبحث الثالث: قطيعة الرحم.

المبحث الرابع: الكذب.

المبحث الخامس: الظلم.

المبحث السادس: التشبه بالكافرين.

المبحث السابع: مكفرات الذنوب، التوبة والاستغفار.

تعريف الكبائر:

لغة: الكبائر: واحدها كبيرة وهي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعا، العظيم أمرها، كالقتل، والزنا، والفرار من الزحف، وغير ذلك وهي من الصفات(١).

اصطلاحا: الكبيرة كل معصية تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين، ورقة الديانة، أو كل ما توعد عليه بخصوصه في الكتاب، أو السنة، أو ما فيه حد، أو غير ذلك(٢).

وقيل: هي كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب(٣).

وقيل: ما أوعد الله عليه حدا في الدنيا أو عذابا في الآخرة(٤).

وجاء ذكر لفظ الكبائر في كتاب الله في المواضع التالية:

قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ۝٣٧﴾ [الشورى: ٣٧]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢].

وأما ما ورد في أحاديث رسول الله ﷺ.

فعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر))، ثلاثا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (الإشراك بالله، وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئا فقال - ألا وقول الزور). قال فما زال يكررها حتى قلنا ليته يسكت))(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: (((اجتنبوا السبع الموبقات)، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا،

---

(١) انظر: لسان العرب: (٥/ ١٢٥)، لابن منظور، مادة: (كبر)، حرف: (ر)، دون ذكر المحقق.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف: (١/ ٥٩٨)، للمناوي، حرف: (ك)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

(٣) تفسير البغوي: (٢/ ٢٠٢)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٤) تفسير البغوي: (٢/ ٢٠٣)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٥) صحيح البخاري: (٢/ ٩٣٩)، كتاب: الشهادات، باب: ما قيل في شهادة الزور، رقم: (٢٥١١)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)))[١].

وليس للكبائر عدد معين[٢]، فعن ابن عباس رضي الله عنه: أنه سئل عن الكبائر: أسبع هي؟ قال: ((هي إلى السبعين أقرب))[٣]، وعنه أيضا: أن رجلا قال له: كم الكبائر؟ أسبع هي؟ قال: ((إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار))[٤].

حكم مرتكب الكبيرة:

يقول ابن تيمية: «وأئمة المسلمين أهل المذاهب الأربعة، وغيرهم، مع جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان متفقون على أن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب كما تقوله الخوارج؛ ولا يسلب جميع الإيمان كما تقوله المعتزلة؛ لكن بعض الناس قال: إن إيمان الخلق مستو فلا يتفاضل إيمان أبي بكر وعمر وإيمان الفساق؛ بناء على أن التصديق بالقلب واللسان أو بالقلب وذلك لا يتفاضل»[٥].

فالطائفة الأولى: (الخوارج)، نظروا إلى نصوص الوعيد، والثانية: (المعتزلة)، نظروا إلى نصوص الوعد[٦].

وأما أهل السنة: فآمنوا بكل ما جاء من عند الله، ولم يضربوا بعض ذلك ببعض، ونظروا في الكتاب، والسنة، فوجدوا أن أهل الكبائر من الموحدين الذين توعدهم الله بالعقاب بين أن عقابهم يزول عنهم بأسباب:

أحدها: التوبة، فإن الله يغفر بالتوبة النصوح الذنوب جميعا.

السبب الثاني: الحسنات الماحية، كما قال: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ

---

(١) صحيح البخاري: (٣/ ١٠١٧)، كتاب: الوصايا، باب: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}، [النساء: ١٠]، رقم: (٢٦١٥)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية: (٢٤٣)، العدد٨٢)، د. عبد الله السند.

(٣) انظر: تفسير الطبري: (٨/ ٢٤٥)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٤) انظر: تفسير الطبري: (٨/ ٢٤٥)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٥) مجموع الفتاوى: (٦/ ٤٧٩)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٦) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ١٢٣)، لابن تيمية، جمع وترتيب: محمد بن قاسم.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨﴾ [الأعراف: ٨].

السبب الثالث: مصائب الدنيا والبرزخ.

السبب الرابع: الدعاء والشفاعة، مثل الصدقة عليه بعد موته، والدعاء له، والاستغفار.

السبب الخامس: الأعمال الصالحة التي يهديها له غيره من عتاقة، وصدقة.

السبب السادس: رحمة ربه[(١)].

عن عبادة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأن محمدا عبده، ورسوله، وأن عيسى عبد الله، ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل))[(٢)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي))[(٣)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء))[(٤)].

نفى به الدخول المطلق، الذي توعد به في القرآن توعدا مطلقا، وهو دخول الخلود فيها؛ وأنه لا يخرج منها بشفاعة ولا غيرها، مثل قوله: ﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ١٥﴾ [الليل: ١٥]، فيقال: إن من في قلبه مثقال ذرة من إيمان يمنع من هذا الدخول المعروف، لا أنه لا يصيبه شيء من عذاب النار[(٥)].

فكل حديث فيه عن مؤمن أنه يدخل النار، أو أنه لا يدخل الجنة، فقد فسره الكتاب

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ١٢٣، ١٢٤)، لابن تيمية، جمع وترتيب: محمد بن قاسم.

(٢) صحيح البخاري: (٣/ ١٢٦٧)، كتاب: الأنبياء، باب: قوله: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم...}، (النساء، ١٧١)، برقم: (٣٢٥٢)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: (٣/ ٢١٣)، مسند أنس بن مالك، برقم: (١٣٢٤٥)، دون ذكر المحقق. (صححه ابن حبان: (١٦/ ٣٨٠)، كتاب: مناقب الصحابة، باب: إخباره صلى الله عليه وسلم عن البعث...إلخ، ذكر الأخبار عن وصف من يشفع في القيامة...إلخ، برقم: (٧٣٧٧)، ترتيب: علي بن بلبان، علاء الدين الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

(٤) صحيح مسلم: (١/ ٩٣)، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر، وبيانه، برقم: (٩١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٥) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ١٢٩، ١٣٠)، لابن تيمية، جمع وترتيب: محمد بن قاسم.

والسنة أنه عند انتفاء هذه الموانع، وكذلك نصوص الوعد مشروطة بعدم الأسباب المانعة من دخول الجنة، وأعظمها أن يموت كافرا، ومنها: أن تكثر ذنوبه وظلمه فيؤخذ من حسناته حتى تذهب، ثم توضع عليه سيئات من ظلمهم، ومنها: أن يعقب العمل ما يبطله: كالمن، والأذى، وترك صلاة العصر، قيل: تحبط عمل ذلك اليوم. وقيل: العمل كله، عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((من ترك صلاة العصر، فقد حبط عمله))[١][٢].

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر: ٣٣]، إلى أن قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦].

لقد جمعت الآية ثلاث فئات من الناس، فيهم من يرتكب الذنوب والآثام، واصطفاهم الله بوراثة الكتاب، وجعل جزاءهم الجنة.

سئلت عائشة رضي الله عنها عن قول الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ الآية، فقالت: ((يا بني كلهم في الجنة، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم، فجعلت نفسها معنا))[٣].

وقيل: «الظالم: أصحاب الكبائر، والمقتصد: أصحاب الصغائر، والسابق: الذي لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة»[٤].

وقيل: «بدأ بالظالمين إخبارا بأنه لا يتقرب إليه إلا بكرمه، وأن الظلم لا يؤثر في الاصطفاء، ثم ثنى بالمقتصدين لأنهم بين الخوف، والرجاء، ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ١٢٤)، لابن تيمية، جمع وترتيب: محمد بن قاسم.

(٢) صحيح البخاري: (١/ ٢٠٣)، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: إثم من ترك صلاة العصر، برقم: (٥٢٨)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) تفسير البغوي: (٦/ ٤٢٢)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٤) تفسير البغوي: (٦/ ٤٢٢)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

مكره، وكلهم في الجنة»[1].

وخلاصة القول في حكم مرتكب الكبيرة:

أن المسلم لا يكفر بذنوبه، ولا يسلب عنه اسم الإيمان، ولا يعطاه على الإطلاق، بل يقال: هو مؤمن عاص، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته[2].

وفيما يلي توضيح لما دلت عليه قصة يوسف عليه السلام من الكبائر.

(١) تفسير البغوي: (٦/ ٤٢٢)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٢) انظر: فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد: (٦٩)، لعبد الرحمن آل الشيخ.

المبحث الأول: قتل النفس:

ويدل على ذلك من قصة يوسف عليه السلام قوله تعالى: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾ [يوسف: ٩].

والمعنى في قوله: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾أي: غيبوه عن أبيه في أرض بعيدة لا يتمكن من رؤيته فيها.

فإنكم إذا فعلتم أحد هذين الأمرين ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ أي: يتفرغ لكم، ويقبل عليكم بالشفقة والمحبة، فإنه قد اشتغل قلبه بيوسف شغلا لا يتفرغ لكم، ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: من بعد هذا الصنيع ﴿قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ أي: تتوبون إلى الله، وتستغفرون من بعد ذنبكم، فقدموا العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم تسهيلا لفعله، وإزالة لشناعته، وتنشيطا من بعضهم لبعض، ﴿لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ﴾: فإن قتله أعظم إثما وأشنع[(١)].

وقد كانوا يومئذ بالغين، ولم يكونوا أنبياء بعد، وقيل: لم يكونوا بالغين، وليس بصحيح؛ بدليل أنهم قالوا: ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾، وقالوا: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾ والصغير لا ذنب له[(٢)].

وذكر البغوي في تفسيره أن فعلهم قد اشتمل على جرائم متعددة من قطع الرحم، وعقوق الوالدين، وقلة الرأفة بالصغير، الذي لا ذنب له، والغدر بالأمانة، وترك العهد والكذب مع أبيهم، وعفا الله عنهم ذلك كله حتى لا ييئس أحد من رحمة الله[(٣)].

وقال بعض أهل العلم: إنهم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم، ولو فعلوا لهلكوا أجمعين، وكل ذلك كان قبل أن أنبأهم الله تعالى[(٤)].

وقد وردت الأدلة التي تصف القتل بأنه من أبشع الجرائم، وأشدها، وتنهى عنه، وتحذر كل من زينت له نفسه سلوك هذا الطريق من عقوبة الله سبحانه، ومنها:

---

(١) تفسير السعدي: (١/ ٣٩٤)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢١٨، ٢١٩)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٣) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢١٩)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٤) تفسير البغوي: (٤/ ٢١٩)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: ٣٠].

والآية في خبر ابني آدم لصلبه -في قول الجمهور-وهما هابيل وقابيل، كيف عدا أحدهما على الآخر، فقتله بغيا عليه وحسدا له، فيما وهبه الله من النعمة وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله عز وجل، ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنة، وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة[1].

وقال: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ...﴾ [الإسراء: ٣٣].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لا تقتل نفس ظلما، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل))[2].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار))، فقلت: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: ((إنه كان حريصا على قتل صاحبه))[3].

وإنما يكون هذا إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل، إنما على عداوة بينهما، وعصبية أو طلب دنيا، أو رئاسة، أو علو، فأما من قاتل أهل البغي على الصفة التي يجب قتالهم بها، أو دفع عن نفسه، أو حريمه، فإنه لا يدخل في هذه، لأنه مأمور بالقتال للذب عن نفسه غير قاصد به قتل صاحبه، إلا إن كان حريصا على قتل صاحبه، ومن قاتل باغيا، أو قاطع طريق من المسلمين فإنه لا يحرص على قتله، إنما يدفعه عن نفسه، فإن انتهى صاحبه كف عنه و لم

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: (٣/ ٨١، ٨٢)، تحقيق: سامي سلامة.

(٢) صحيح البخاري: (٣/ ١٢١٣)، كتاب: الأنبياء، باب: قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...)، [البقرة: ٣٠]، برقم: (٣١٥٧)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) صحيح البخاري: (١/ ٢٠)، كتاب: الإيمان، باب: قوله تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا)، [الحجرات: ٩]، برقم: (٣١)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

يتبعه، فإن الحديث لم يرد في أهل هذه الصفة فأما من خالف هذا النعت فهو الذي يدخل في هذا الحديث[١].

وقول ابن عباس رضي الله عنه بأن المؤمن إذا قتل مؤمنا متعمدا لا توبة له مشهور عنه[٢].

وقد حمل جمهور السلف، وجميع أهل السنة ما ورد في ذلك على التغليظ، وصححوا توبة القاتل كغيره، وقالوا معنى قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣]، أي إن شاء الله أن يجازيه، تمسكا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. ومن الحجة في ذلك[٣] حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن نبي الله ﷺ قال: ((كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا، فهل له من توبة؟ فقال: لا فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ ...)) الحديث، فانطلق لأرض، وأتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة العذاب، والرحمة، إلى قوله: ((فأتاه ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة))[٤].

فإذا ثبت ذلك لمن قبل من غير هذه الأمة، فمثله لهم أولى، لما خفف الله عنهم من الأثقال التي كانت على من قبلهم[٥].

---

(١) انظر: الكبائر: (١/ ١٢)، للذهبي، دون ذكر المحقق.

(٢) الكبائر: (١/ ٢٠٨)، محمد بن عبد الوهاب، دون ذكر المحقق.

(٣) انظر: الكبائر: (١/ ٢٠٩)، محمد بن عبد الوهاب، دون ذكر المحقق.

(٤) صحيح مسلم: (٤/ ٢١١٨)، كتاب: التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، برقم: (٢٧٦٦)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٥) الكبائر: (١/ ٢٠٩)، محمد بن عبد الوهاب، دون ذكر المحقق.

المبحث الثاني: عقوق الوالدين:

معنى العقوق لغة:

العقوق كلمة مشتقة من الفعل: عقق، وعقه يعقه عقا، فهو معقوق، وعقيق: شقه، وعق والده يعقه عقا، وعقوقا، ومعقة: شق عصا طاعته، وعق والديه قطعهما، ولم يصل رحمه منهما، وقد يعم بلفظ العقوق جميع الرحم، فالفعل كالفعل، والمصدر كالمصدر(1).

ومما ورد في الأمر بالإحسان إلى الوالدين، والتحذير من عقوقهما ما يلي:

قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ـ ٢٤].

والمعنى: ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين، وأمر بالوالدين إحسانا، ونهى عن القول القبيح والفعل القبيح، وأمر بالقول الحسن والفعل الحسن لهما، وبالكلام اللين، والتوقير، والتعظيم، والتواضع(2).

ولم يجعل الله لأحد حقا يلي حقه، وحق رسوله إلا الوالدين، فالوالدان تعبا على الولد تربية وعناية، وسعيا لتحصيل سبل المعيشة، ولا سيما الأم، نظير ما واجهته من عناء في الحمل، والوضع، والتربية، لذا كانت أحق الناس بحسن الصحبة(3).

وقال: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت: ٨].

وقال: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤].

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات،

---

(١) انظر: لسان العرب: (١٠/ ٢٥٥)، لابن منظور، مادة: (عقق)، حرف: (ق)، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: (٥/ ٦٤)، تحقيق: سامي سلامة.

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية: (٦٧٣، ٦٧٤)، لابن عثيمين، إعداد: فهد السليمان.

ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم قيل، وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال))[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف، قيل من يا رسول الله؟ قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما، أو كليهما، فلم يدخل الجنة))[(٢)]،[(٣)].

وفيه الحث على بر الوالدين، وعظم ثوابه، وأن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة، أو النفقة، أو غير ذلك سبب لدخول الجنة، فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفه[(٤)].

دلالة قصة يوسف عليه السلام على عقوق الوالدين:

وعقوق إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم جلي وواضح في أحداث القصة، فقد تآمروا على قتل يوسف، وبعدها خلصوا لإبعاده عن أبيه، وزينوا فعلتهم بالكذب، وتسببوا في حزن أبيهم وكمده، وفي فقدانه لبصره، من شدة الحزن الذي انتابه، **قال تعالى:** ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ [يوسف: ٨٤]، لكن الله منحه من الصبر، والوثوق بوعد الله ما جعله مطمئنا، راضيا بقضاء الله، وراجيا للقاء يوسف، وأخويه، **قال تعالى:** ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣]، **وقوله:** ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف: ٨٦].

وأما يوسف فقد كان بارا بوالديه حريصا عليهما، ولم يثنه علو منصبه ومكانته عن

---

(١) صحيح البخاري: (٢/ ٨٤٨)، كتاب: الاستقراض، باب: ما ينهى عن إضاعة المال، برقم: (٢٢٧٧)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٢) صحيح مسلم: (٤/ ١٩٧٨)، كتاب: البرّ، والصلة، باب: رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة، برقم: (٢٥٥١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) رغم أنف: معناه ذل، وقيل: كره وخزي، وهو بفتح الغين وكسرها، وأصله لصق أنفه بالرغام، وهو تراب مختلط برمل، وقيل: الرغم كل ما أصاب الأنف مما يؤذيه، (انظر: المنهاج، شرح صحيح مسلم: (١٦/ ١٠٨، ١٠٩)، للنووي، دون ذكر المحقق).

(٤) انظر: المنهاج، شرح صحيح مسلم: (١٦/ ١٠٨، ١٠٩)، للنووي، دون ذكر المحقق.

ذلك، وهذه أخلاق الأنبياء، هداة البشرية، **قال تعالى**: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا ...﴾ [يوسف: ٩٩ــ ١٠٠].

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ أي: ضمهما إليه، واختصهما بقربه، وأبدى لهما من البر، والإكرام والتبجيل والإعظام شيئا عظيما، وقال لجميع أهله: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾من جميع المكاره والمخاوف، فدخلوا في هذه الحال السارة، وزال عنهم النصب ونكد المعيشة، وحصل السرور والبهجة[١].

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾، أي: أجلسهما معه على سريره[٢]، وقيل: على سرير الملك، ومجلس العزيز[٣].

(١) تفسير السعدي: (١/ ٤٠٥)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) تفسير ابن كثير: (٤/ ٤١٢)، تحقيق: سامي سلامة.

(٣) تفسير السعدي: (١/ ٤٠٥)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

المبحث الثالث: قطيعة الرحم:

معنى الرحم لغة:

الرحم أسباب القرابة، وأصلها: الرحم التي هي منبت الولد، وقيل: الرحم القرابة، وقال ابن الأثير: «ذوو الرحم هم الأقارب، ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب، ويطلق في الفرائض على الأقارب من جهة النساء...»(١).

والإسلام لا شك داع لكل ما فيه جمع الصف، والتقارب، والانتفاع بين الناس، وتفقد أحوالهم، وذلك إن كان بين الناس فضيلة، يثاب عليها، فهو واجب بين الأقارب، وذوي الأرحام، ومن قام بهجر رحمه، وقرابته، وكان بعيدا تمام البعد عن السؤال عنهم، وقضاء حوائج المحتاج منهم، والإحسان إلى أيتامهم، ونسائهم، فهو بلا شك قد عرض نفسه للوعيد الذي جاءت به النصوص في حق قاطع الرحم.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء: ١].

وقد افتتح تعالى هذه السورة بالأمر بتقواه، والحث على عبادته، والأمر بصلة الأرحام، والحث على ذلك، وقرن الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام، والنهي عن قطيعتها، ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق الله، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصا الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حق الله الذي أمر به(٢).

وقال: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ۝٢٦﴾ [الإسراء: ٢٦].

والمعنى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ من البر، والإكرام، الواجب، والمسنون، وذلك الحق يتفاوت بتفاوت الأحوال، والأقارب، والحاجة، وعدمها، والأزمنة(٣).

وقال: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر: لسان العرب: (١٢/ ٢٣٠)، لابن منظور، مادة: (رحم)، حرف: (م)، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: تفسير السعدي: (١/ ١٦٣)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) تفسير السعدي: (١/ ٤٥٦)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ــ ٢٣].

والآية تدل على أن قطيعة الرحم، سبب للعن من الله سبحانه[١].

ومما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله))[٢].

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا يدخل الجنة قاطع، قال ابن أبي عمر: قال سفيان: يعني قاطع رحم))[٣].

هذا الحديث يتأول بتأويلين أحدهما: حمله على من يستحل القطيعة بلا سبب، ولا شبهة، مع علمه بتحريمها، فهذا كافر يخلد في النار، ولا يدخل الجنة أبدا والثاني: أنه لا يدخلها في أول الأمر مع السابقين، بل يعاقب بتأخره القدر الذي يريده الله تعالى[٤].

وحث الإسلام على صلة الرحم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من سره أن يبسط عليه رزقه، أو ينسأ في أثره[٥]، فليصل رحمه))[٦].

وبسط الرزق توسيعه وكثرته وقيل البركة فيه، وأما التأخير في الأجل فمعناه على وجهين: أن هذه الزيادة بالبركة في عمره، والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك، والثاني: أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة، وفي اللوح المحفوظ، ونحو ذلك، فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة، إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون، وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك وهو من معنى قوله تعالى:

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية: (٦٧٦)، لابن عثيمين، إعداد: فهد السليمان.

(٢) صحيح مسلم: (٤/ ١٩٨١)، كتاب: البرّ، والصلة، باب: قطيعة الرحم، برقم: (٢٥٥٥)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) صحيح مسلم: (٤/ ١٩٨١)، كتاب: البرّ، والصلة، باب: قطيعة الرحم، برقم: (٢٥٥٦)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٤) انظر: المنهاج، شرح صحيح مسلم: (١٦/ ١١٣، ١١٤)، للنووي، دون ذكر المحقق.

(٥) ينسأ مهموز، أي: يؤخر، والأثر الأجل لأنّه تابع للحياة في أثرها، (انظر: المنهاج، شرح صحيح مسلم: (١٦/ ١١٤)، للنووي، دون ذكر المحقق).

(٦) صحيح مسلم: (٤/ ١٩٨٢)، كتاب: البرّ، والصلة، باب: قطيعة الرحم، برقم: (٢٥٥٧)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩] فيه النسبة إلى علم الله تعالى، وما سبق به قدره[١].

دلالة قصة يوسف عليه السلام على قطع الرحم:

وذلك من خلال التأمل فيما قام به إخوة يوسف عليه السلام من إبعاد يوسف عن أبيه، وإلقائه في الجب، وما لحق ذلك من عقوق، تسبب في حزنه، وبالتالي لقطيعة الرحم، وجرت بذلك أحداث القصة المتلاحقة، فقد أخذ يوسف أخاه الأصغر، قصدا منه لإرجاع إخوته إليه ثانية، ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يوسف: ٧٦]، ولم تجد محاولاتهم نفعا لإرجاعه، ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [يوسف: ٧٨]، وقال يوسف عليه السلام لهم: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [يوسف: ٧٩]، وبقي الأخ الأكبر، التزاما بالعهد الذي أخذه عليهم أبوهم، ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [يوسف: ٨٠].

---

(١) انظر: المنهاج، شرح صحيح مسلم: (١٦/ ١١٤)، للنووي، دون ذكر المحقق.

المبحث الرابع: الكذب:

معنى الكذب لغة:

الكذب نقيض الصدق، كذب، يكذب، كذبا[١].

والكذب متعدد الأنواع، فمن الناس من يكذب على الله ورسله، وهذا أشد أنواع الكذب، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المائدة: ١٠٣]، وقال: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الصف: ٧].

وورد عن علي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((لا تكذبوا علي، فإنه من كذب علي فليلج النار))[٢].

قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)[٣]: «و قد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله وعلى رسوله كفر ينقل عن الملة ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله في تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض وإنما الشأن في الكذب عليه فيما سوى ذلك»[٤].

ومن الناس من كان الكذب صفته، وبضاعته، يشتري بها ويبيع، يتوصل بالكذب لغاياته، وهو لاشك خاسر، خائب، وإن كان يعد ذلك ذكاء، فإنه والله لغاية الغباء، فالناس لصنيعه مكتشفون، ومن حبال مكره حذرون، فضلا عن الإثم الذي يلحق الكاذب من وراء كذبه.

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق، حتى

---

(١) لسان العرب: (١/ ٧٠٤)، لابن منظور، مادة: (كذب)، حرف: (ب)، دون ذكر المحقق.

(٢) صحيح البخاري: (١/ ٥٢)، كتاب: البرّ، والصلة، باب: إثم من كذب على النبي ﷺ، برقم: (١٠٦)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: (٤/ ٣٢٩)، لعبد الحي العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، وشعيب الأرناؤوط.

(٤) الكبائر: (١/ ٧٠)، للذهبي، دون ذكر المحقق.

يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور[١]، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذابا))[٢].

قال العلماء: معناه: أن الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم[٣].

وفي الحديث حث على تحري الصدق، وهو: قصده والاعتناء به، وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه، فإنه إذا تساهل فيه كثر منه فعرف به، وكتبه الله لمبالغته صديقا إن اعتاده، أو كذابا إن اعتاده، ومعنى يكتب هنا: يحكم له بذلك، ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم، أو صفة الكذابين وعقابهم، والمراد إظهار ذلك للمخلوقين، ليشتهر بحظه من الصفتين في الملأ الأعلى، أو أن يلقي ذلك في قلوب الناس وألسنتهم، كما يوضع له القبول والبغضاء وإلا فقدر الله تعالى، وكتابه السابق قد سبق بكل ذلك[٤].

الحالات التي يباح فيها الكذب:

عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: ((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيرا، وينمي خيرا))[٥].

ولم يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها[٦].

---

(١) والبرّ: اسم جامع للخير كله، وقيل: البرّ الجنة، ويجوز أنْ يتناول العمل الصالح، والجنة، وأمّا الكذب، فيوصل إلى الفجور وهو: الميل عن الاستقامة، وقيل: الانبعاث في المعاصي، (المنهاج، شرح صحيح مسلم: (١٦/ ١٦٠)، للنووي، دون ذكر المحقق).

(٢) صحيح مسلم: (٤/ ٢٠١٢)، كتاب: البرّ، والصلة، باب: قبح الكذب، وحسن الصدق، وفضله، برقم: (٢٦٠٧)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) المنهاج، شرح صحيح مسلم: (١٦/ ١٦٠)، للنووي، دون ذكر المحقق.

(٤) انظر: المنهاج، شرح صحيح مسلم: (١٦/ ١٦٠، ١٦١)، للنووي، دون ذكر المحقق.

(٥) صحيح مسلم: (٤/ ٢٠١١)، كتاب: البرّ، والصلة، باب: تحريم الكذب، وبيان المباح منه، برقم: (٢٦٠٥)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٦) المنهاج، شرح صحيح مسلم: (١٦/ ١٥٧)، للنووي، دون ذكر المحقق.

قال القاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ)[1]: «لا خلاف في جواز الكذب في هذه الصور»، وأجازت طائفة ما لم يكن في هذه المواضع للمصلحة، وقالوا: الكذب المذموم: ما فيه مضرة، واحتجوا بقول إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقوله: ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٩]، وقول منادي يوسف عليه السلام: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يوسف: ٧٠][2].

وقال آخرون منهم الطبري لا يجوز الكذب في شيء أصلا، وما جاء من الإباحة في هذا المراد به: التورية، واستعمال المعاريض، لا صريح الكذب مثل أن يعد زوجته أن يحسن إليها، ويكسوها كذا، وينوي إن قدر الله ذلك، بمعنى: أن يأتي بكلمات محتملة، يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه، وإذا سعى في الإصلاح، نقل عن هؤلاء، إلى هؤلاء كلاما جميلا، ومن هؤلاء إلى هؤلاء كذلك، وكذا في الحرب بأن يقول لعدوه: مات إمامكم الأعظم، وينوي إمامهم في الأزمان الماضية، أو غدا يأتينا مدد، أي: طعام ونحوه، فهذا من المعاريض المباحة، وأما المخادعة في منع ما عليه، أو أخذ ما ليس له، فهو حرام بإجماع المسلمين[3].

دلالة قصة يوسف عليه السلام على الكذب:

قال تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٦ــ ١٨].

وذلك لما ذهب إخوة يوسف بيوسف بعد ما أذن له أبوه، وعزموا على أن يجعلوه في غيابة الجب، ونفذوا فيه قدرهم، وألقوه في الجب، ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ ليكون إتيانهم متأخرا عن عادتهم، وبكاؤهم دليلا لهم، وقرينة على صدقهم، فقالوا -متعذرين بعذر

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: (٤/ ١٣٨)، لعبد الحي العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، شعيب الأرناؤوط.

(٢) انظر: المنهاج، شرح صحيح مسلم: (١٦/ ١٥٨)، للنووي، دون ذكر المحقق.

(٣) انظر: المنهاج، شرح صحيح مسلم: (١٦/ ١٥٨)، للنووي، دون ذكر المحقق.

كاذب-: ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ﴾ إما على الأقدام، أو بالرمي والنضال، ﴿وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ توفيرا له وراحة، ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ في حال غيبتنا عنه في استباقنا، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ أي: تعذرنا بهذا العذر، والظاهر أنك لا تصدقنا، لما في قلبك من الحزن على يوسف، والرقة الشديدة عليه، ولكن عدم تصديقك إيانا، لا يمنعنا أن نعتذر بالعذر الحقيقي، وكل هذا، تأكيد لعذرهم، ﴿وَ﴾ مما أكدوا به قولهم، أنهم ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ﴾ زعموا أنه دم يوسف حين أكله الذئب، فلم يصدقهم أبوهم، و﴿قَالَ﴾ ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗا﴾ أي: زينت لكم أنفسكم أمرا قبيحا في التفريق بيني وبينه، لأنه رأى من القرائن والأحوال، ومن رؤيا يوسف التي قصها عليه ما دله على ما قال[1].

---

(١) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٣٩٤)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

المبحث الخامس: الظلم:

الظلم مناف للعدل الذي قامت عليه السماوات، والأرض، وأنزل كتبه، وأرسل رسله، ليقوموا به، لذا كان الظلم من كبائر الذنوب، ودرجته في العظمة بحسب مفسدته(١).

معنى الظلم لغة:

الظلم وضع الشيء في غير موضعه(٢).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[لقمان: ١٣].

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ووجه كونه عظيما، أنه لا أفظع وأبشع ممن سوى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئا، بمن له الأمر كله، وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوى من لم ينعم بمثقال ذرة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، ودنياهم وأخراهم، وقلوبهم، وأبدانهم، إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟، وهل أعظم ظلما ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، فجعلها في أخس المراتب جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئا، فظلم نفسه ظلما كبيرا(٣).

وقال: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٩].

﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾، بما كانوا بحجج الله وأدلته يجحدون، فلا يقرون بصحتها، ولا يوقنون بحقيقتها(٤).

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[يونس: ٤٤].

---

(١) انظر: الداء والدواء: (١٨٣)، لابن القيم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٢) لسان العرب: (١٢/ ٣٧٣)، لابن منظور، مادة: (ظلم)، حرف: (م)، دون ذكر المحقق.

(٣) تفسير السعدي: (١/ ٦٤٨)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) تفسير الطبري: (١٢/ ٣١٥)، تحقيق: أحمد شاكر.

وظلم النفس إذا أطلق تناول جميع الذنوب فإنها ظلم من العبد لنفسه[1].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣)﴾ [الشورى: ٣٩ـــ ٤٣].

ذكر الله في هذه الآية، مراتب العقوبات، وأنها على ثلاث مراتب: عدل، وفضل، وظلم.

١- مرتبة **العدل**: جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة ولا نقص، فالنفس بالنفس، وكل جارحة بالجارحة المماثلة لها، والمال يضمن بمثله[2].

٢- **مرتبة** الفضل: العفو والإصلاح عن المسيء، وشرط العفو الإصلاح فيه، فإذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورا به، وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به[3].

٣- مرتبة **الظلم**: ويكون من الذين يجنون على غيرهم ابتداء، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم[4].

وأما إرادة البغي على الغير، وإرادة ظلمه من غير أن يقع منه شيء، فهذا لا يجازى بمثله، وإنما يؤدب تأديبا يردعه عن قول أو فعل صدر منه، وتتوجه الحجة بالعقوبة الشرعية على الذين يبغون على الناس في دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: موجع للقلوب والأبدان، بحسب ظلمهم وبغيهم[5].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/ ٦٢)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٢) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٧٦٠)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٧٦٠)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٧٦٠)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٥) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٧٦٠)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه))[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: ((فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب))[2].

أنواع الظلم:

للظلم أنواع ثلاثة هي:

أولا: الشرك: وهو الظلم الذي لا شفاعة فيه[3].

ثانيا: ظلم الناس بعضهم بعضا، ولا بد فيه من إعطاء المظلوم حقه؛ ولا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة، ولا غيرها، ولكن قد يعطى المظلوم من الظالم كما قد يغفر لظالم نفسه بالشفاعة[4].

الظلم في حق العباد نوعان:

١- نوع يحصل بغير رضا صاحبه كقتل نفسه وأخذ ماله وانتهاك عرضه[5].

٢- ونوع يكون برضا صاحبه وهو ظلم، كمعاملة الربا والميسر، فإن ذلك حرام، لما فيه من أكل مال غيره بالباطل، ولو رضي به صاحبه لم يبح ولم يخرج عن أن يكون

---

(١) صحيح مسلم: (٤/ ١٩٨٦)، كتاب: البرّ، والصلة، باب: تحريم ظلم المسلم...إلخ، برقم: (٢٥٦٤)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) صحيح البخاري: (٢/ ٥٤٤)، كتاب: الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء...إلخ، برقم: (١٤٢٥)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/ ٧٨)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/ ٧٨)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى: (٢٠/ ٧٩)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

ظلما، - فليس كل ما طابت به نفس صاحبه يخرج عن الظلم وليس كل ما كرهه باذله يكون ظلما- بل **القسمة رباعية**[١]:

أحدها: ما نهى عنه الشارع، وكرهه المظلوم، **الثاني**: ما نهى عنه الشارع، وإن لم يكرهه المظلوم كالزنا والميسر، **والثالث**: ما كرهه صاحبه، ولكن الشارع رخص فيه فهذا ليس بظلم، **والرابع**: ما لم يكرهه صاحبه ولا الشارع[٢].

ثالثا: الظلم المطلق، والظلم المقيد:

(أ) – الظلم المطلق: فالظالم المطلق ما له من شفيع مطاع، وأما الموحد فلم يكن ظالما مطلقا بل هو موحد مع ظلمه لنفسه، وهذا إنما نفعه في الحقيقة إخلاصه لله فبه صار من أهل الشفاعة[٣].

(ب) – الظلم المقيد: فقد يختص بظلم الإنسان نفسه، وظلم الناس بعضهم بعضا كقول آدم ﷺ وحواء: ﴿**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا**﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقول موسى ﷺ: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي**﴾ [القصص: ١٦] فقول آدم وموسى إخبار عن واقع لا عموم فيه وذلك قد عرف أنه ليس كفرا، وأما قوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ**﴾ [آل عمران: ١٣٥]، فهو نكرة في سياق الشرط يعم كل ما فيه ظلم الإنسان نفسه؛ وهو إذا أشرك ثم تاب تاب الله عليه[٤].

فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة؛ كان له الأمن التام والاهتداء التام، ومن لم يسلم من ظلمه نفسه؛ كان له الأمن والاهتداء مطلقا بمعنى أنه يدخل الجنة كما وعد الله، في قوله: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾ [فاطر: ٣٢]، إلى قوله: ﴿**جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا**﴾ [فاطر: ٣٣]، وقد هداه إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة ويحصل له من

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (٢٠/ ٧٩)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (٢٠/ ٨٠)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/ ٧٨)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/ ٧٩)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه نفسه[١].

دلالة قصة يوسف عليه السلام على الظلم:

يدل على ذلك من قصة يوسف عليه السلام **قوله تعالى**: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [يوسف: ٩]. إلى أن انتهت مشاوراتهم على إلقائه في الجب، **قال تعالى**: ﴿وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾[يوسف: ١٥].

فقد ظلمه إخوته، دون أي سبب، حسدا وغيرة من محبة والده له، وتسببوا بفعلتهم هذه في إلحاق الأذى به وهو صغير، وإلقائه في الجب، وإبعاده عن أهله، وغربته، وتعرض بعدها لمحن عظام، منها ظلم امرأة العزيز التي راودته عن نفسها، فاستعصم، وتوعدت بسجنه إن أبى ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[يوسف: ٣٢]، لكنه أصر على رفض طلبها، بما منحه الله من إيمان، وتقوى، كان عدة له في مثل هذه المواقف، ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]، فما كان منها إلا أن أمرت بالزج به في السجن ظلما وعدوانا، رغم وضوح الدليل على براءته، **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾[يوسف: ٣٥].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/ ٨٠، ٨١)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

المبحث السادس: التشبه بالكافرين:

معنى التشبه لغة:

الشبه والشبه والشبيه المثل والجمع أشباه، وتشابه الشيئان واشتبها أشبه كل واحد صاحبه(١)، والتشبيه: وهو الدلالة على مشاركة أمر بآخر(٢).

وقد نهى الله نبيه ﷺ، عن التشبه بالكافرين.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩)﴾ [الجاثية: ١٨ــ ١٩].

وقال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)﴾ [البقرة: ١٢٠].

فهذا فيه النهي العظيم، عن اتباع أهواء اليهود والنصارى، والتشبه بهم فيما يختص به دينهم، والخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ فإن أمته داخلة في ذلك، لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب(٣).

وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨٩)﴾ [يونس: ٨٩].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: ((لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه)). قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: ((فمن؟))(٤).

وعن عمرو بن عوف رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((فو الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني

---

(١) انظر: لسان العرب: (١٣/ ٥٠٣)، لابن منظور، مادة: (شبه)، حرف: (ه)، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني: (١/ ٨١)، حرف: (ت)، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

(٣) تفسير السعدي: (١/ ٦٤)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) صحيح البخاري: (٣/ ١٢٧٤)، كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم: (٣٢٦٩)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها، كما تنافسوها، وتهلككم، كما أهلكتهم))[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((من تشبه بقوم فهو منهم))[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ [التوبة: ٦٩]، ما أشبه الليلة بالبارحة! ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم، لا أعلم إلا أنه قال: ((والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه))[٣].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ((أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتا، وهديا، تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة، غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا؟))[٤].

قواعد في التشبه:

١- أن جنس المخالفة للكافرين، والأعاجم، ونحوهم، أمر مقصود للشارع، في عامة أمورهم الدينية، والدنيوية[٥].

٢- أن مخالفتهم سبب لصلاح الدارين[٦].

٣- أن تشبه فئة من المسلمين بالكافرين، أمر حتمي، لإخبار النبي ﷺ بوقوعه، ونهي الله

---

(١) صحيح مسلم: (٤/ ٢٢٧٣)، كتاب: الزهد، والرقاق، باب: دون ذكر اسم له، برقم: (٢٩٦١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) سنن أبي داود: (٤/ ٤٤)، كتاب: اللباس، باب: في لبس الشهرة، برقم: (٤٠٣١)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (حسّنه ابن حجر، فتح الباري: (٦/ ٩٨)، لابن حجر العسقلاني، كتاب: الجهاد، باب: ما قيل في الرماح، دون ذكر المحقق.

(٣) انظر: تفسير الطبري: (١٤/ ٣٤٢)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٤) تفسير البغوي: (٢/ ٧٢)، تحقيق: محمد النمر، آخرون.

(٥) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: (٣٢)، لابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل.

(٦) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: (٣٢)، لابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل.

عنه، وأمره بالصبر، والتمسك بالحق(١).

٤- أمور الكفار دائرة بين: النقصان، والفساد، حتى ما يظهر لنا من إتقان أمور دنياهم، وقد يكون اتباعهم مضرة للمسلمين، في الدنيا والآخرة، أو إحداهما(٢).

أما الإفادة بما لديهم من علوم تطبيقية، وصناعات، فلا علاقة له بالتشبه، بل المحذور نقل عاداتهم، وتقاليدهم للمسلمين(٣).

٥- أن القرون المفضلة، قد فهموا مسألة التشبه بالكفار، وحذروا منها، بأقوال لا تكاد تحصى(٤).

دلالة قصة يوسف عليه السلام على التشبه بالكافرين:

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

والشاهد قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، والمعنى: فإنه لا يقطع الرجاء، ويقطع الإياس من الله إلا القوم الكافرون(٥).

فإن الرجاء يوجب للعبد السعي، والاجتهاد فيما رجاه، والإياس: يوجب له التثاقل والتباطؤ، وأولى ما رجا العباد، فضل الله وإحسانه ورحمته وروحه، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فإنهم لكفرهم يستبعدون رحمته، ورحمته بعيدة منهم، فلا تتشبهوا بالكافرين، ودل هذا على أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه(٦).

كما يعد القنوط من رحمة الله كبيرة من كبائر الذنوب قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله))(٧).

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: (٣٢)، لابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل.
(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: (٣٢)، لابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل.
(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: (٣٢، ٣٣)، لابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل.
(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: (٣٢)، لابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل.
(٥) تفسير ابن كثير: (٤/ ٤٠٦)، تحقيق: سامي سلامة.
(٦) تفسير السعدي: (١/ ٤٠٤)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.
(٧) تفسير البغوي: (٢/ ٢٠٢)، تحقيق: محمد النمر، آخرون.

أثر التشبه بالكفار على الأمة:

إن المشاركة بين المتشابهين في الهدي، والمظهر، واللغة، وغيرها، لا بد أن يورث التقارب، والتعاطف، والموالاة في الباطن، فالمرتدي للباس أهل العلم، أو الجنود مثلا، يجد في نفسه نوع انضمام لهم، ومتخلقا بأخلاقهم، فالحال في مشابهة الكفار كذلك(١).

وهذا ليس خاصا بزمان معين، بل هو سنة الله في خلقه، ففي العصر الحاضر يلاحظ المرء، أن هذا التقارب الحادث في عصر طغيان الحضارة والمدنية الغربية على الناس، قد أدى بالبعض للإعجاب بسلوك الكفار، وكلامهم، وبالتالي الميل لمحبتهم وتقديرهم، وازدراء المتمسكين من المسلمين بعاداتهم ولباسهم، وقد تزداد شدة التقارب مع الكفار لتأثر على الاعتقاد الباطن، وهذا أمر خطير، فمن الاعتقادات التي تشربتها بعض القلوب، اعتقادهم تفوق القوانين الغربية على الشريعة، واعتقادهم أن الدين عبادة فحسب، ولا صلة له بحياة الناس(٢).

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: (٢٩)، لابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: (٣٠، ٣١)، لابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل.

المبحث السابع: مكفرات الذنوب: التوبة والاستغفار:

معنى التوبة لغة:

التوبة الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب ثم القيام بكل حقوق الرب، والتوبة النصوح هي: توثيق بالعزم على ألا يعود لمثله، قال ابن عباس رضي الله عنه: ((التوبة النصوح: الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والإضمار على ألا يعود))، وقيل التوبة في اللغة: الرجوع عن الذنب[(١)].

والتوبة على ثلاثة معان:

أولها: الندم، **والثاني**: العزم على ترك العود إلى ما نهى الله تعالى عنه، **والثالث**: السعي في أداء المظالم[(٢)].

معنى الاستغفار:

لغة: الاستغفار استقلال الصالحات والإقبال عليها واستكبار الفاسدات والإعراض عنها، وقيل: الاستغفار استصلاح الأمر الفاسد قولا وفعلا[(٣)].

والقرآن يحوي نصوصا كثيرة، تحث على التوبة، والاستغفار، وأن الله هو الغفور الرحيم، يغفر الذنوب جميعا إلا الإشراك به، وتكررت هذه الآيات، لتدل على سعة رحمته سبحانه وتعالى، ومن ذلك:

أولا: ما يتعلق بالتوبة:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ــ ٧١].

---

(١) التعريفات: (١/ ٩٥)، للجرجاني، حرف: (ت)، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

(٢) التعريفات: (١/ ٩٦)، للجرجاني، حرف: (ت)، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

(٣) انظر: التعريفات: (١/ ٣٦)، للجرجاني، حرف: (الألف)، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

والمراد بقوله: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ﴾أي: في العذاب ﴿مُهَانًا﴾ فالوعيد بالخلود لمن فعلها كلها ثابت لا شك فيه وكذا لمن أشرك بالله، وكذلك الوعيد بالعذاب الشديد على كل واحد من هذه الثلاثة لكونها إما شرك وإما من أكبر الكبائر[١].

وأما خلود القاتل والزاني في العذاب فإنه لا يتناوله الخلود لأنه قد دلت النصوص القرآنية والسنة النبوية أن جميع المؤمنين سيخرجون من النار ولا يخلد فيها مؤمن ولو فعل من المعاصي ما فعل[٢].

وأما قوله: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾، فالمقصود من هذا الحث على تكميل التوبة وإيقاعها على أفضل الوجوه وأجلها ليقدم على من تاب إليه فيوفيه أجره بحسب كمالها[٣].

وقال: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾[النساء: ٢٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه))[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث ذكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإذا أقبل إلي يمشي أقبلت إليه أهرول))[٥].

---

(١) تفسير السعدي: (١/ ٥٨٧)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) تفسير السعدي: (١/ ٥٨٧)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) تفسير السعدي: (١/ ٥٨٧)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) صحيح مسلم: (٤/ ٢٠٧٦)، كتاب: الذكر والدعاء...إلخ، باب: استحباب الاستغفار...إلخ، رقم: (٢٧٠٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٥) صحيح مسلم: (٤/ ٢٠٩٩)، كتاب: التوبة، باب: في الحض على التوبة، والفرح بها، رقم: (٢٦٧٥)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

ثانيا: ما يتعلق بالاستغفار:

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ۝٤١﴾ [إبراهيم: ٤١]، وهذا حتما قبل أن ينهى عن الاستغفار لوالده: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ۝١١٤﴾ [التوبة: ١١٤].

وقال عن يونس عليه السلام: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وفي الآية دليل على علاقة الاستغفار بتوحيد العبادة، وأن لكل عمل أصلان هما: الاجتهاد مع العمل، والاستغفار بعده[1].

وقال سبحانه عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١٥١﴾ [الأعراف: ١٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٥ـ ١٣٦].

وقال: ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، إلى أن قال: (وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)))[2].

---

(١) انظر: التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٤٨٤)، جمع وترتيب: فخر الدين المحسي.

(٢) صحيح البخاري: (٥/ ٢٣٢٣)، كتاب: الدعوات، باب: أفضل الاستغفار، برقم: (٥٩٤٧)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

وقال أبو هريرة ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة))(١).

وعن سعيد بن جبير، أن رجلا قال لابن عباس ﷺ: ((كم الكبائر؟ أسبع هي؟ قال: إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار))(٢).

وقال ابن عباس ﷺ: ((كل شيء عصي الله به فهو كبيرة، فمن عمل شيئا منها فليستغفر، فإن الله لا يخلد في النار من هذه الأمة إلا راجعا عن الإسلام، أو جاحدا فريضة، أو مكذبا بقدر))(٣).

وقال أبو بكر الوراق (ت: ٣٧٨هـ)(٤): «أحوال العبد ثلاثة: معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة، فإذا عصى دخل في حيز الظالمين، وإذا تاب دخل في جملة المقتصدين، وإذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عداد السابقين»(٥).

يقول ابن القيم: «ومن كانت شيمته التوبة والاستغفار فقد هدي لأحسن الشيم»(٦).

وذكر أيضا: أن النجاسة التي تزول بالماء، هي ومزيلها حسيان، وأثر الخطايا يزول بالتوبة والاستغفار وهو ومزيله معنويان وصلاح القلب وحياته ونعيمه لا يتم إلا بهذا(٧).

دلالة قصة يوسف ﷺ على مكفرات الذنوب، التوبة والاستغفار:

قال تعالى: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾ [يوسف: ٩].

---

(١) صحيح البخاري: (٥/ ٢٣٢٤)، كتاب: الدعوات، باب: استغفار النبي ﷺ...إلخ، برقم: (٥٩٤٨)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٢) تفسير الطبري: (٨/ ٢٤٥)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٣) تفسير البغوي: (٢/ ٢٠٢)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: (٣/ ٩٢)، لعبد الحي العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، شعيب الأرناؤوط.

(٥) تفسير البغوي: (٦/ ٤٢٣)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٦) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (٢/ ٢٠٣)، تحقيق: محمد الفقي.

(٧) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ٥٧)، تحقيق: محمد الفقي.

وقوله: ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾أي: من بعد هذا الصنيع ﴿قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ أي: تتوبون إلى الله، وتستغفرون من بعد ذنبكم، فقدموا العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم تسهيلا لفعله، وإزالة لشناعته، وتنشيطا من بعضهم لبعض(١).

وقال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ٢٩﴾ [يوسف: ٢٩].

ثم أقبل زوج المرأة على يوسف فقال: ﴿أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا﴾أي: عن هذا الحديث، فلا تذكره لأحد حتى لا يشيع، وقيل: معناه لا تكترث له، فقد بان عذرك وبراءتك، ثم قال لامرأته: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِ﴾أي: توبي إلى الله، ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾، وقيل: إن هذا من قول الشاهد ليوسف ولامرأة العزيز(٢).

وأراد بقوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِ﴾، أي سلي زوجك أن لا يعاقبك ويصفح عنك ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾ من المذنبين، حتى راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك، فلما استعصم كذبت عليه، وإنما قال: ﴿مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾ ولم يقل: من الخاطئات، لأنه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد به الخبر عمن يفعل ذلك، تقديره: من القوم الخاطئين(٣).

وقال تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢﴾ [يوسف: ٥١ـ ٥٢].

وهذه شهادة امرأة العزيز والنسوة ببراءته عليه السلام(٤).

وقوله: ﴿لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، يحتمل أن مرادها بذلك زوجها أي: ليعلم أني حين أقررت أني راودت يوسف، أني لم أخنه بالغيب، أي: لم يجر مني إلا مجرد المراودة، ولم أفسد

---

(١) تفسير السعدي: (١/ ٣٩٤)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢٣٥، ٢٣٦)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٣) تفسير البغوي: (٤/ ٢٣٦)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٤) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٤٠٧)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

عليه فراشه، ويحتمل أن المراد بذلك ليعلم يوسف حين أقررت أني أنا الذي راودته، وأنه صادق أني لم أخنه في حال غيبته عني. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ فإن كل خائن، لا بد أن تعود خيانته ومكره على نفسه، ولا بد أن يتبين أمره[1].

ثم لما كان في هذا الكلام نوع تزكية لنفسها، وأنه لم يجر منها ذنب في شأن يوسف، استدركت فقالت: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾أي: من المراودة والهم، والحرص الشديد، والكيد في ذلك. ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾أي: لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، أي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ فنجاه من نفسه الأمارة، حتى صارت نفسه مطمئنة إلى ربها، منقادة لداعي الهدى، متعاصية عن داعي الردى، فذلك ليس من النفس، بل من فضل الله ورحمته بعبده[2].

﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ أي: هو غفور لمن تجرأ على الذنوب والمعاصي، إذا تاب وأناب، بقبول توبته، وتوفيقه للأعمال الصالحة، وهذا هو الصواب أن هذا من قول امرأة العزيز، لا من قول يوسف، فإن السياق في كلامها، ويوسف إذ ذاك في السجن لم يحضر[3].

وقال تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾[يوسف: ٩١ــ ٩٢].

والشاهد في قوله: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾، وهذا غاية الاعتراف منهم بالجرم الحاصل منهم على يوسف، وأما قوله: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ﴾ أي: لا أثرب عليكم ولا ألومكم ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فسمح لهم سماحا تاما، من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين[4].

---

(١) تفسير السعدي: (١/ ٤٠٠)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) تفسير السعدي: (١/ ٤٠٠)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) تفسير السعدي: (١/ ٤٠٠)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) تفسير السعدي: (١/ ٤٠٤)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

وقال تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [يوسف: ٩٧ـــ ٩٨].

أي: من تاب إليه تاب عليه، قال ابن مسعود رضي الله عنه، وغيره: أرجأهم إلى وقت السحر[١]، وقيل في سبب ذلك: ليكون أتم للاستغفار، وأقرب للإجابة[٢].

الحكمة من الذنوب:

لابتلاء العبد بالذنوب حكم كثيرة لا يعلم مجموعها إلا الله، عد منها ابن القيم ثلاثين حكمة، منها على سبيل المثال:

١- محبة الله للتوابين، وفرحه بتوبتهم.

٢- تعريف العبد عزة الله في نفوذه، ومشيئته.

٣- سعة حلم الله، وستره على العبد.

٤- أن طريق النجاة يكون بمغفرة الله.

٥- إبعاد العبد عن العجب، فينشغل عن رؤية لطاعته، بالنظر لذنوبه.

٦- أن يعامل العبد العباد مقابل زلاتهم بما يحب أن يصنعه الله بذنوبه.

٧- امتحان العبد في مدى صلاحه لعبودية الله وولايته[٣].

أنواع التوبة:

أولا: الواجبة: وهي التوبة من ترك مأمور، أو فعل محظور وهذه واجبة على جميع المكلفين كما أمرهم الله بذلك في كتابه وعلى ألسنة رسله[٤].

ثانيا: المستحبة: وهي التوبة من ترك المستحبات، وفعل المكروهات، فمن اقتصر على التوبة الأولى كان من الأبرار المقتصدين، ومن تاب التوبتين كان من السابقين المقربين، ومن لم يأت بالأولى كان من الظالمين، إما الكافرين وإما الفاسقين، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٤١٠)، تحقيق: سامي سلامة.

(٢) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٤٠٥)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) انظر: طريق الهجرتين: (١٦١إلى١٦٣)، لابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم.

(٤) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية: (١/ ٢٢٧)، تحقيق: محمد رشاد سالم.

ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ٧ــ ١١][1].

وليست التوبة من فعل السيئات فقط كما يظن كثير من الجهال لا يتصورون التوبة إلا عما يفعله العبد من القبائح كالفواحش والمظالم بل التوبة من ترك الحسنات المأمور بها أهم من التوبة من فعل السيئات المنهي عنها فأكثر الخلق يتركون كثيرا مما أمرهم الله به من أقوال القلوب وأعمالها وأقوال البدن وأعماله وقد لا يعلمون أن ذلك مما أمروا به أو يعلمون الحق ولا يتبعونه فيكونون إما ضالين بعدم العلم النافع وإما مغضوبا عليهم بمعاندة الحق بعد معرفته، وقد أمر الله عباده المؤمنين أن يدعوه في كل صلاة بقوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ولهذا نزه الله نبيه عن هذين فقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [النجم: ١ــ ٣][2].

وبختام الحديث عن المبحث السابع: مكفرات الذنوب، التوبة والاستغفار، تكون نهاية الفصل الثالث: دلالة قصة يوسف عليه السلام على بعض الكبائر وما يكفرها.

---

(١) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية: (١/ ٢٢٧)، تحقيق: محمد رشاد سالم.

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية: (١/ ٢٢٨)، تحقيق: محمد رشاد سالم.

الفصل الرابع

دلالة قصة يوسف ﷺ على ما يضاد الإيمان وهو الكفر

معنى الكفر:

الكفر تغطية ما حقه الإظهار، والكفران ستر نعمة المنعم بترك أداء شكرها، وأعظم الكفر جحود الوحدانية، أو النبوة، أو الشريعة، والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالا، والكفر في الدين أكثر، والكفور فيهما جميعا، والكفارة ما يغطي الإثم(١).

أنواع الكفر:

أولا: الكفر الأكبر، المخرج عن الملة(٢):

وهو على أربعة أنواع: كفر إنكار بأن لا يعرف الله أصلا ولا يعترف به، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق، من لقي ربه بشيء من ذلك لم يغفر له ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء(٣).

١- كفر الإنكار: وهو أن يكفر بقلبه، ولسانه، ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة: ٦](٤).

٢- كفر الجحود: أن يعترف بقلبه، ولا يقر بلسانه، فهو كافر جاحد ككفر إبليس، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩](٥).

٣- كفر المعاندة: وهو أن يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به، حسدا وبغيا، ككفر أبي جهل وأضرابه، أو يعترف بقلبه، ويقر بلسانه، ويأبى أن يقبل، كأبي طالب حيث يقول:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا(٦)

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف: (١/ ٦٠٦)، للمناوي، حرف: (ك)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.
(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٢٢٩)، لابن أبي العزّ الحنفي، تحقيق: خالد فوزي.
(٣) انظر: لسان العرب: (٥/ ١٤٤)، لابن منظور، مادة: (كفر)، حرف: (ر)، دون ذكر المحقق.
(٤) انظر: لسان العرب: (٥/ ١٤٤)، لابن منظور، مادة: (كفر)، حرف: (ر)، دون ذكر المحقق.
(٥) انظر: لسان العرب: (٥/ ١٤٤)، لابن منظور، مادة: (كفر)، حرف: (ر)، دون ذكر المحقق.
(٦) انظر: لسان العرب: (٥/ ١٤٤)، لابن منظور، مادة: (كفر)، حرف: (ر)، دون ذكر المحقق.

٤- كفر النفاق: وهو أن يقر بلسانه، ويكفر بقلبه، ولا يعتقد بقلبه[١].

ثانيا: الكفر الأصغر، الذي لا يخرج من الملة:

وهو الكفر العملي، المتعلق بالذنوب، التي وردت تسميتها كفرا في الكتاب، والسنة، ولا تصل لحد الكفر الأكبر[٢].

وقد سبق بيان المخالفين في ذلك: الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، في حكم مرتكب الكبيرة.

وقد تسمى الطاعات إيمانا، كما تسمى المعاصي كفرا، لكن عند إطلاق الكفر عليها لا يراد به الكفر المخرج من الملة[٣]، ومما ورد في ذلك من السنة المطهرة.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر))[٤].

ووجه الدلالة من الحديث: أن النفاق علامة عدم الإيمان، وبعض النفاق كفر دون بعض والنفاق لغة: مخالفة الباطن للظاهر، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر، وإلا فهو نفاق العمل ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه[٥].

وما ورد في الحديث من علامات النفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم، ويعتبر من النفاق العملي[٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب، والنياحة على الميت))[٧].

---

(١) انظر: لسان العرب: (٥/ ١٤٤)، لابن منظور، مادة: (كفر)، حرف: (ر)، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٢٢٩)، لابن أبي العزّ الحنفي، تحقيق: خالد فوزي.

(٣) انظر: فتح الباري: (١/ ٨٣)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

(٤) صحيح البخاري: (١/ ٢١)، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، برقم: (٣٤)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٥) انظر: فتح الباري: (١/ ٨٩)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

(٦) انظر: فتح الباري: (١/ ٩٠)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

(٧) صحيح مسلم: (١/ ٨٢)، كتاب: الإيمان، باب: إطلاق اسم الكفر...إلخ، برقم: (٦٧)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

وفيه أقوال أصحها: أن **معناه:** هما من أعمال الكفار وأخلاق الجاهلية، **والثاني:** أنه يؤدي إلى الكفر، **والثالث:** أنه كفر النعمة والإحسان، **والرابع:** أن ذلك في المستحل، وفي هذا الحديث تغليظ تحريم الطعن في النسب والنياحة وقد جاء في كل واحد منهما نصوص معروفة(١).

ما يتناوله لفظ الكفر والنفاق والشرك:

أولا: لفظ الكفر والنفاق: فالكفر إذا ذكر مفردا في وعيد الآخرة دخل فيه المنافقون كقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة: ٥]، وقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ۝١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦]، وقوله: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦﴾ [الليل: ١٥ــ ١٦]، فهذه كلها يدخل فيها (المنافقون) الذين هم في الباطن كفار ليس معهم من الإيمان شيء كما يدخل فيها (الكفار) المظهرون للكفر؛ بل المنافقون في الدرك الأسفل من النار كما أخبر الله في كتابه(٢).

ثانيا: قد يقرن الكفر بالنفاق قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝١٤٠﴾ [النساء: ١٤٠]، وقال: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣] إلى قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٥﴾ [الحديد: ١٥](٣).

ثالثا: قد يقرن لفظ المشركين بأهل الكتاب فقط، وقد يقرن بالملل الخمس؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝١٧﴾ [الحج: ١٧]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم: (٢/ ٥٧)، للنووي، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/ ٥٣، ٥٤)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/ ٥٤)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة: ٦][(١)].

ولا يحبط العمل إلا الكفر، والذي ينتفي معه الإيمان الذي لا يقبل العمل إلا به، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء: ١٢٤][(٢)].

وقد وردت نصوص متعددة يصف الله فيها بطلان عمل الكافر وتحريم الجنة عليه، منها[(٣)]:

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢]، وقوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]. وقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨].

دلالة قصة يوسف عليه السلام على ما يضاد الإيمان وهو الكفر:

قال تعالى: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف: ٣٧].

وقوله: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، أي: إني برئت من ملة من لا يصدق بالله، ويقر بوحدانيته، ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾، أي: وهم مع تركهم الإيمان بوحدانية الله، لا يقرون بالمعاد والبعث، ولا بثواب ولا عقاب[(٤)].

وقال: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، يعني: القوم الذين يجحدون قدرته على ما شاء تكوينه[(٥)].

وبهذا الفصل الرابع: دلالة قصة يوسف عليه السلام على ما يضاد الإيمان وهو الكفر، تم

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/ ٥٤، ٥٥)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٢) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ١٢٦)، جمع وترتيب: محمد بن قاسم.

(٣) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ١٢٦)، جمع وترتيب: محمد بن قاسم.

(٤) انظر: تفسير الطبري: (١٦/ ١٠١)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٥) تفسير الطبري: (١٦/ ٢٣٢)، تحقيق: أحمد شاكر.

الكلام عن الباب السادس: دلالة قصة يوسف عليه السلام على مسائل الإيمان.

وقد تضمن عدة مسائل:

أولا: دخول الأعمال تحت مسمى الإيمان:

وقد ظهر ذلك في تفضيل يوسف عليه السلام السجن، والعذاب الدنيوي، على لذة حاضرة توجب العذاب الشديد، حيث جمع بين التقوى والإيمان، فبالتقوى تترك الأمور المحرمة من كبائر الذنوب وصغائرها، وبالإيمان التام يحصل تصديق القلب، بما أمر الله بالتصديق به، وتتبعه أعمال القلوب وأعمال الجوارح.

ثانيا: زيادة الإيمان ونقصانه:

وعامة أهل السنة يرون أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهو مذهب مالك والشافعي وغيرهم، وأن إيمان العباد لا يتساوى بل يتفاضل، وإيمان السابقين الأولين أكمل من إيمان أهل الكبائر المجرمين.

ثالثا: ما اشتملت عليه القصة من الكبائر، وحكم مرتكب الكبيرة:

حيث اشتمل فعل إخوة يوسف عليه السلام على جرائم من قطع الرحم، وعقوق الوالدين، وقلة الرأفة بالصغير، الذي لا ذنب له، والغدر بالأمانة، وترك العهد والكذب مع أبيهم، وعفا الله عنهم ذلك كله حتى لا ييئس أحد من رحمة الله.

وتم بيان مذهب أئمة المسلمين أهل المذاهب الأربعة، وغيرهم، مع جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان والمتفقون على أن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب كما تقوله الخوارج؛ ولا يسلب جميع الإيمان كما تقوله المعتزلة.

رابعا: ما ورد في القصة مما يضاد الإيمان وهو الكفر:

أولا: الكفر الأكبر، المخرج عن الملة:

وهو على أربعة أنواع: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق، من لقي ربه بشيء من ذلك لم يغفر له ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

ثانيا: الكفر الأصغر، الذي لا يخرج من الملة:

وهو الكفر العملي، المتعلق بالذنوب، التي وردت تسميتها كفرا في الكتاب، والسنة،

ولا تصل لحد الكفر الأكبر.

- **وما يتناوله لفظ الكفر والنفاق والشرك.**
- **وأن الكفر سبب لإحباط العمل.**

الباب السابع

دلالة قصة يوسف ﷺ على مسائل متفرقة في الاعتقاد

وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: دلالة قصة يوسف ﷺ على أسماء الدين وأن دين الأنبياء واحد.

الفصل الثاني: دلالة قصة يوسف ﷺ على التأويل ومعانيه.

الفصل الثالث: دلالة قصة يوسف ﷺ على حكم السجود لغير الله.

الفصل الرابع: دلالة قصة يوسف ﷺ على مسائل الإمامة.

الفصل الخامس: دلالة قصة يوسف ﷺ على إغواء الشيطان لبني آدم.

الفصل السادس: دلالة قصة يوسف ﷺ على العين والحسد.

الفصل السابع: دلالة قصة يوسف ﷺ على الرؤى والمنامات.

الفصل الأول

دلالة قصة يوسف ﷷ على أسماء الدين وأن دين الأنبياء واحد

وفي بداية هذا الفصل لابد من بيان المراد بأسماء الدين الواردة في قصة يوسف عليه السلام، وهي: الملة، الإسلام.

أولا: معنى الدين لغة:

الدين: الجزاء، ويوم الدين: يوم الجزاء، ومن معانيه: الطاعة، وقد دنته ودنت له أطعته، والدين: الإسلام وقد دنت به، ومن معانيه: العادة والشأن، وفي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]، قال قتادة: ((في قضاء الملك، ومن معانيه: الذل، والانقياد))[١].

ثانيا: معنى الملة لغة:

الملة الشريعة والدين، وتملل وامتل دخل في الملة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقيل: الملة في اللغة سنتهم وطريقهم[٢].

اصطلاحا: الدين والملة متحدان بالذات، ومختلفان بالاعتبار فإن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى دينا، ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث إنها يرجع إليها تسمى مذهبا، وقيل الفرق بين الدين والملة والمذهب: أن الدين منسوب إلى الله تعالى، والملة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب إلى المجتهد[٣].

ثالثا: معنى الإسلام لغة:

الإسلام كلمة مشتقة من الفعل: (سلم)، والسلام والسلامة البراءة، والإسلام والاستسلام الانقياد، والإسلام من الشريعة إظهار الخضوع، وإظهار الشريعة، والتزام ما أتى به النبي وبذلك يحقن الدم ويستدفع المكروه[٤].

---

(١) انظر: لسان العرب: (١٣/ ١٦٤)، لابن منظور، مادة: (دين)، حرف: (ن)، دون ذكر المحقق، وتاج العروس من جواهر القاموس: (٣٥/ ، ٥٢، ٥٣، ٥٤)، للزبيدي، مادة: (د. ي. ن)، حرف: (ن)، تحقيق: مجموعة من المحققين.

(٢) انظر: لسان العرب: (١١/ ٦٢٨)، لابن منظور، مادة: (ملل)، حرف: (ل)، دون ذكر المحقق.

(٣) التعريفات: (١/ ١٤١)، للجرجاني، حرف: (د)، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

(٤) انظر: لسان العرب: (١٢/ ٢٨٩)، لابن منظور، مادة: (سلم)، حرف: (م)، دون ذكر المحقق.

معنى الإسلام اصطلاحا:

الخضوع والانقياد لما أخبر به رسول الله ﷺ[١]، وقيل: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله[٢].

إطلاقات لفظ الإسلام:

للإسلام إطلاقان: عام، وخاص.

العام: الاستسلام لله وحده، وهذا يصدق على كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء[٣]، وأهل السنة على أن آدم وذريته كانوا على التوحيد، واستمروا عليه قرونا طوالا[٤]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

والمعنى: أخرج من أصلابهم ذريتهم، وجعلهم يتناسلون ويتوالدون قرنا بعد قرن، وحين أخرجهم من بطون أمهاتهم، وأصلاب آبائهم قررهم بإثبات ربوبيته، بما أودعه في فطرهم من الإقرار، بأنه ربهم وخالقهم ومليكهم، فقالوا: بلى قد أقررنا بذلك، فإن الله تعالى فطر عباده على الدين الحنيف القيم، الذي يولد كل مولود وهو مفطور عليه، ولكن الفطرة قد تغير وتبدل بما يطرأ عليها من العقائد الفاسدة[٥].

الخاص: وهو ما بعث الله به نبيه ﷺ، وهو شريعة القرآن، فلا يقبل بعد النبي ﷺ إلا الدين الذي جاء به[٦].

قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ...﴾ [المائدة: ٤٨].

---

(١) التعريفات: (١/ ٣٩)، للجرجاني، حرف: (الألف)، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

(٢) ثلاثة الأصول: (٦٩)، لابن عثيمين، إعداد: فهد السليمان.

(٣) التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٤٠٧، ٤٠٨)، جمع وترتيب: فخر الدين المحسي.

(٤) انظر: موسوعة العقيدة والأديان، العقيدة الدينية: (١٠٥)، د. فرج الله عبد الباري.

(٥) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٣٠٨)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٦) انظر: التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٤٠٧، ٤٠٨)، جمع وترتيب: فخر الدين المحسي.

وقوله: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ أي: سبيلا وسنة، وهذه الشرائع التي تختلف باختلاف الأمم، هي التي تتغير بحسب تغير الأزمنة والأحوال، وكلها ترجع إلى العدل في وقت شرعتها، وأما الأصول الكبار التي هي مصلحة وحكمة في كل زمان، فإنها لا تختلف، فتشرع في جميع الشرائع، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ تبعا لشريعة واحدة، لا يختلف متأخرها ولا متقدمها، ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ فيختبركم وينظر كيف تعملون، ويبتلي كل أمة بحسب ما تقتضيه حكمته، ويؤتي كل أحد ما يليق به، وليحصل التنافس بين الأمم فكل أمة تحرص على سبق غيرها، ولهذا قال: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[1].

دين الأنبياء واحد:

ومما يدل على هذا الكثير من النصوص، والتي جاءت مقررة لهذه الحقيقة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٤- ٨٥]، وقوله: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الحج: ٧٨]، وقوله: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢]، وقال عن ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٤].

وأما الملة فقد نسبت لإبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقال: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة: ١٣٥].

---

(١) تفسير السعدي: (١/ ٢٣٤)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

قال مجاهد: الحنيفية اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماما للناس، قال ابن عباس رضي الله عنه: ((الحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام[١]، وقال: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل: ١٢٣])).

ولهذا فمن أطاع رسولا واحدا، وآمن به، فقد أطاع جميع الرسل وآمن بهم جميعا، ومن عصى، وكذب واحدا منهم فقد عصى الجميع وكذبهم، لأن كل رسول يصدق الآخر ويقول: إنه رسول صادق ويأمر بطاعته، فمن كذب رسولا فقد كذب الذي صدقه ومن عصاه فقد عصى من أمر بطاعته[٢].

ولهذا كان دين الأنبياء واحدا[٣]، عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أخوة لعلات[٤]، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد))[٥].

وهنا شبه الدين بالأب، والشرائع بالأمهات المتعددة، فإنها وإن تعددت فمرجعها لأب واحد[٦].

وقال تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٢][٧].

وكل مبتدع دينا خالف به سنة الرسول لا يتبع إلا دينا مبدلا أو منسوخا فكل من

(١) تفسير البغوي: (١/ ١٥٥)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (١٩/ ١٨٠)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٣) مجموع الفتاوى: (١٩/ ١٨٠)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٤) (إخوة لعلات): والعلات بفتح المهملة الضرائر، وأصله: أنّ من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنّه عل منها، والعلل الشرب بعد الشرب، وأولاد العلات الأخوة من الأب وأمهاتهم شتى، (فتح الباري: (٦/ ٤٨٩)، لابن حجر، دون ذكر المحقق.

(٥) صحيح البخاري: (٣/ ١٢٧٠)، كتاب: الأنبياء، باب: قوله: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦))، [مريم: ١٦]، برقم: (٣٢٥٩)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٦) انظر: طريق الهجرتين: (١٦٩)، لابن القيم، تحقيق: سيد إبراهيم.

(٧) مجموع الفتاوى: (١٩/ ١٨٠)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

خالف ما جاء به الرسول: إما أن يكون ذلك قد كان مشروعا لنبي ثم نسخ على لسان محمد ﷺ، وإما أن لا يكون شرع قط(١).

والأنبياء كما تقرر دينهم واحد وهو دين الإسلام، لكن بعض الشرائع تتنوع فقد يشرع في وقت أمرا لحكمة، ثم يشرع في وقت آخر أمرا آخر لحكمة، كما شرع في أول الإسلام الصلاة إلى بيت المقدس ثم نسخ ذلك وأمر بالصلاة إلى الكعبة فتنوعت الشريعة والدين واحد وكان استقبال الشام من ذلك الوقت من دين الإسلام(٢).

وقد كفرت اليهود والنصارى لتمسكهم بشرع منسوخ، والله أوجب على جميع الخلق أن يؤمنوا بجميع كتبه ورسله ومحمد خاتم الرسل فعلى جميع الخلق اتباعه واتباع ما شرعه من الدين هو ما أتى به من الكتاب والسنة(٣)، ومن بلغته رسالة محمد ﷺ ولم يؤمن به، فهو كافر، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[آل عمران: ٨٥](٤).

عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا﴾ إلى آخر الآية، قالت اليهود: فنحن مسلمون! قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: قل لهم: إن ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ من أهل الملل ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾(٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢]، فأنزل الله عز وجل بعد هذا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(٦).

وما كان شرعا لغيره وهو لا يوافق شرعه فقد نسخ كالسبت وتحريم كل ذي ظفر

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٩/ ١٨١)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٢) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية: (١/ ٢٨٣، ٢٨٤)، تحقيق: محمد رشاد سالم.

(٣) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية: (١/ ٢٨٤)، تحقيق: محمد رشاد سالم.

(٤) انظر: التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٤٠٦)، جمع وترتيب: فخر الدين المحسي.

(٥) تفسير الطبري: (٦/ ٥٧١)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٦) تفسير الطبري: (٦/ ٥٧٢)، تحقيق: أحمد شاكر.

وشحم الثرب[1] والكليتين؛ فإن اتخاذ السبت عيدا وتحريم هذه الطيبات قد كان شرعا لموسى عليه السلام ثم نسخ؛ لهذا قال المسيح عليه السلام: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]، فقد نسخ الله على لسان المسيح بعض ما كان حراما في شرع موسى عليه السلام، وأما محمد ﷺ فقال الله فيه: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧]، أما الشرك كله فلم يشرع الله الشرك قط كما قال: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥][2].

دلالة قصة يوسف عليه السلام على أسماء الدين وأن دين الأنبياء واحد:

أولا: ما يدل على الدين:

قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٤٠].

ثم أخبر يوسف صاحبي السجن، أن الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله لله، وقد أمر عباده قاطبة ألا يعبدوا إلا إياه، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي: هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد الله، وإخلاص العمل له، هو الدين المستقيم، الذي أمر الله به وأنزل به الحجة والبرهان الذي يحبه ويرضاه، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فلهذا كان أكثرهم مشركين، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣][3].

---

(١) لسان العرب: (١/ ٢٣٤)، لابن منظور، مادة: (ثرب)، حرف: (ب)، دون ذكر المحقق. والثَّرْبُ شَحْم رَقِيقٌ يَغْشَى الكَرِشَ والأَمْعاءَ وجمعُه ثُرُوبٌ.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (١٩/ ١٨٢)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٣) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢٤٣)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون، وتفسير ابن كثير: (٤/ ٣٩٠)، تحقيق: سامي سلامة.

وقال: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يوسف: ٧٦].

﴿فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ أي: في حكمه، قاله قتادة، وقال ابن عباس رضي الله عنه: في سلطانه، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ يعني: إن يوسف لم يكن يتمكن من حبس أخيه في حكم الملك لولا ما كدنا له بلطفنا حتى وجد السبيل إلى ذلك، وهو ما أجرى على ألسنة الإخوة أن جزاء السارق الاسترقاق، فحصل مراد يوسف بمشيئة الله تعالى(١).

وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي يحبه الله ويرضاه، لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة، وقوله: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ أي: لم يكن له أخذه في حكم ملك مصر ، وإنما قيض الله له أن التزم له إخوته بما التزموه، وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم(٢).

ثانيا: ما يدل على الملة، ويتضمن أن دين الأنبياء واحد:

قال تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف: ٣٧].

وقال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ...﴾[يوسف: ٣٨].

والمعنى: أني اجتنبت ملة الكافرين بالله واليوم الآخر، الذين لا يرجون ثوابا ولا عقابا في المعاد، ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ يقول: هجرت طريق الكفر والشرك، وسلكت طريق هؤلاء المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى، واتبع المرسلين، وأعرض عن طريق الظالمين، فإنه يهدي قلبه ويعلمه ما لم يكن يعلمه، ويجعله إماما يقتدى به في الخير، وداعيا إلى سبيل الرشاد(٣).

﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

---

(١) تفسير البغوي: (٤/ ٢٦٢)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٢) تفسير ابن كثير: (٤/ ٤٠١)، تحقيق: سامي سلامة.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٨٩)، تحقيق: سامي سلامة.

هذا التوحيد: وهو الإقرار بأنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، ﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا﴾ أي: أوحاه إلينا، وأمرنا به ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ إذ جعلنا دعاة لهم إلى ذلك[(١)].

ثالثا: ما يدل على الإسلام:

قال تعالى: ﴿ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾[يوسف: ١٠١].

أي: أدم علي الإسلام وثبتني عليه حتى توفاني عليه، ولم يكن هذا دعاء باستعجال الموت، ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من الأنبياء الأبرار والأصفياء الأخيار[(٢)].

مراتب الدين:

قد جمعت القصة مراتب الدين الثلاثة، وهي:

الإسلام، الإيمان، الإحسان[(٣)].

وقد سبق بيان معنى كل واحد منها بمعنييه اللغوي، والاصطلاحي في موضعه من الرسالة، فالإيمان أشير إليه في الباب الأول، والسادس بالتفصيل، والإحسان ذكر في الباب الثالث، عند الحديث عن بعض أحوال الأنبياء وصفاتهم.

وأعلاها (الإحسان)، وأوسطها (الإيمان)، ويليه (الإسلام)، فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مؤمن محسنا، ولا كل مسلم مؤمنا[(٤)].

وأما (الإحسان) فهو أعم من جهة نفسه وأخص من الإيمان[(٥)].

و (الإيمان) أعم من جهة نفسه وأخص من الإسلام[(٦)].

فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين،

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٨٩)، تحقيق: سامي سلامة.

(٢) تفسير السعدي: (١/ ٤٠٦)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) انظر: ثلاثة الأصول: (٦٩)، لابن عثيمين، إعداد: فهد السليمان.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/ ٧)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/ ١٠)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/ ١٠)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

والمؤمنون أخص من المسلمين[١].

وقد جاء الإحسان مقرونا بالإيمان، وبالإسلام، وبالتقوى، أو العمل الصالح، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة: ٩٣]، وقال: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠][٢].

والإحسان يتناول الإخلاص وغيره، فهو يجمع كمال الإخلاص لله ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله[٣].

صلة الإسلام بالإيمان[٤]:

للعلماء في صلة الإسلام بالإيمان ثلاثة أقوال هي:

الأول: أن الإسلام الكلمة، والإيمان العمل[٥].

فإنه قد يراد به: الكلمة بتوابعها، من الأعمال الظاهرة[٦].

وقد تراد: الكلمة فقط، من غير فعل الواجبات الظاهرة، وليس هذا هو الذي جعله النبي ﷺ الإسلام[٧].

الثاني: أن الإسلام، والإيمان، شيء واحد؛ واحتج بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٥ـ ٣٦][٨].

---

(١) مجموع الفتاوى: (٧/ ١٠)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم: (٣٤)، لابن رجب، دون ذكر المحقق.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/ ٦٢٢)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٤) انظر: مجلة البحوث الإسلامية: (٢٠٦)، العدد٨٢)، د. عبد الله السند.

(٥) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، (١/ ٢٠٦)، لعلماء نجد الأعلام، تحقيق: محمد بن قاسم.

(٦) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، (١٣/ ٤٩٩)، لعلماء نجد الأعلام، تحقيق: محمد بن قاسم.

(٧) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، (١٣/ ٤٩٩)، لعلماء نجد الأعلام، تحقيق: محمد بن قاسم.

(٨) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، (١/ ٢٠٦)، لعلماء نجد الأعلام، تحقيق: محمد بن قاسم.

قال ابن تيمية: «...بل هذه الآية توافق الآية الأولى لأن الله أخبر أنه أخرج من كان فيها مؤمنا وأنه لم يجد إلا أهل بيت من المسلمين، وذلك لأن امرأة لوط كانت في أهل البيت الموجودين ولم تكن من المخرجين الذين نجوا؛ بل كانت من الغابرين الباقين في العذاب وكانت في الظاهر مع زوجها على دينه وفي الباطن مع قومها على دينهم خائنة لزوجها تدل قومها على أضيافه»، وقال: «والمقصود أن امرأة لوط لم تكن مؤمنة ولم تكن من الناجين المخرجين...»(١).

الثالث: والصحيح من ذلك: أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق؛ وذلك: أن المسلم قد يكون مؤمنا في بعض الأحوال، ولا يكون مؤمنا في بعض الأحوال؛ فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم في جميع الأحوال، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا؛ وإذا حمل الأمر على هذا، استقام تأويل الآيات، واتحد القول فيها، ولم يختلف شيء منها(٢).

اجتماع مسمى الإسلام والإيمان وافتراقهما:

أولا: في حال اجتماع الإسلام والإيمان:

يفسر الإيمان بما يفسر به الإسلام(٣)، كما في قول النبي ﷺ لوفد عبد القيس، وفيه: ((قال أمرهم بالإيمان بالله وحده، وقال: هل تدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمسا من المغنم))(٤).

والمقصود في تفسير الإسلام، ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام

---

(١) مجموع الفتاوى: (٧/ ٤٧٣، ٤٧٤)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٢) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، (١/ ٢٠٦)، لعلماء نجد الأعلام، تحقيق: محمد بن قاسم.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/ ١١)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٤) صحيح مسلم: (١/ ٤٦)، كتاب: الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله تعالى، ورسوله ﷺ، برقم: (١٧)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان))(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، ورسله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر))، قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: ((الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان))، قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: ((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك))(٢).

والمراد: أنه عند اقتران الإيمان بالإسلام، يفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة: الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج، وغيرها، والإيمان ما في القلب من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وغيرها(٣).

أي: أن أحدهما يدل على بعض ما يدل عليه بانفراده، ويدل الآخر على الباقي(٤).

ثانيا: افتراق الإسلام والإيمان:

وإذا ذكر اسم الإيمان مجردا؛ دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان))(٥)، وكذلك سائر الأحاديث التي يجعل فيها أعمال البر من الإيمان(٦).

بمعنى: إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده(٧).

والتحقيق في الفرق بين الإيمان والإسلام، أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته،

---

(١) صحيح البخاري: (١/ ١٢)، كتاب: الإيمان، باب: الإيمان، وقول النبي ﷺ...إلخ، برقم: (٣٢٥٩)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٢) صحيح البخاري: (٤/ ١٧٩٣)، كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، [لقمان: ٣٤]، برقم: (٤٤٩٩)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/ ١٤)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٤) انظر: جامع العلوم والحكم: (٢٧)، لابن رجب، دون ذكر المحقق.

(٥) صحيح البخاري: (١/ ١٢)، كتاب: الإيمان، باب: أمور الإيمان، برقم: (٩)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/ ١٤)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٧) جامع العلوم والحكم: (٢٧)، لابن رجب، دون ذكر المحقق.

والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له، وذلك بالعمل، وهذا الدين[(١)].

وأعمال البر التي هي من الإيمان إن نفي الإيمان عند عدمها؛ دل على أنها واجبة وإن ذكر فضل إيمان صاحبها - و لم ينف إيمانه - دل على أنها مستحبة؛ فإن الله ورسوله لا ينفي اسم مسمى أمر - أمر الله به ورسوله - إلا إذا ترك بعض واجباته، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب))[(٢)]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما خطبنا نبي الله ﷺ إلا قال: ((لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له))[(٣)]، ونحو ذلك[(٤)].

فأما إذا كان الفعل مستحبا في (العبادة) لم ينفها لانتفاء المستحب فإن هذا لو جاز؛ لجاز أن ينفي عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة والزكاة والحج؛ لأنه ما من عمل إلا وغيره أفضل منه وليس أحد يفعل أفعال البر مثل ما فعلها النبي ﷺ بل ولا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما، فلو كان من لم يأت بكمالها المستحب يجوز نفيها عنه؛ لجاز أن ينفى عن جمهور المسلمين من الأولين والآخرين، وهذا لا يقوله عاقل[(٥)].

وبهذا تم الكلام عن الفصل الأول: دلالة قصة يوسف عليه السلام على أسماء الدين وأن دين الأنبياء واحد.

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم: (٢٨)، لابن رجب، دون ذكر المحقق.

(٢) صحيح البخاري: (١/ ٢٦٣)، كتاب: صفة الصلاة، باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم، برقم: (٧٢٣)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) مسند أحمد: (٣/ ١٣٥)، مسند أنس بن مالك، برقم: (١٢٤٠٦)، دون ذكر المحقق، صححه ابن حبان في صحيحه: (١/ ٤٢٢)، كتاب: الإيمان، باب: فرض الإيمان، برقم: (١٩٤)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وقال المحقق: إسناده حسن في الشواهد.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/ ١٥)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/ ١٤، ١٥)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

الفصل الثاني

دلالة قصة يوسف ﷺ على التأويل ومعانيه

إن التأويل مهرب عظيم، هرب به المعطلة من ظواهر النصوص المحكمة، بدلا من الكذب الصريح، وهذا الذي أفسد الدنيا، والدين، كما فعلت اليهود، والنصارى بنصوص التوراة، والإنجيل، وحذرنا الله من فعلهم، فضلا عن جناية التأويل الفاسد على الدين، وأهله، وسبب القتل، والتفرق في الأمة، كقتل عثمان رضي الله عنه، وظهور المعتزلة، والخوارج، والرافضة[(١)][(٢)].

وفي بداية هذا الفصل سيتم التعريف بمعنى التأويل أولا، ثم الحديث عن أبرز المسائل المتعلقة به، ومن ثم بيان وجه دلالة قصة يوسف عليه السلام على التأويل ومعانيه.

معنى التأويل لغة:

التأويل لغة له أربعة معان[(٣)]:

أولها: الأول الرجوع، آل الشيء يؤول أولا ومآلا رجع، وأول إليه الشيء رجعه، وألت عن الشيء ارتددت، وقوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٧]، قال أبو عبيد في قوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، قال: «التأويل المرجع والمصير»[(٤)].

والتأويل عبارة الرؤيا، قال تعالى: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾[يوسف: ١٠٠][(٥)].

ثانيها: التفسير: وأول الكلام وتأوله دبره وقدره وأوله وتأوله فسره وقوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥ﴾[يونس: ٣٩]، أي لم يكن معهم علم تأويله[(٦)].

وقيل: «التأويل والمعنى والتفسير واحد»، ويقال: «ألت الشيء أؤوله إذا جمعته

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٥٣٠)، لابن أبي العزّ الحنفي، ترتيب: خالد فوزي.

(٢) الرافضة: هم عدة فرق، اليزيدية منهم ثلاث فرق، والكيسانية فرقتان، والإمامية خمس عشرة فرقة، ومن اعتقادات الرافضة: تكفير الصحابة بتركهم بيعة علي رضي الله عنه، وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم نصّ على إمامة علي بالوصف دون الاسم، ومنهم من ينتظر محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ويزعم أنّه المهدي المنتظر. . . إلخ. انظر: الفرق بين الفرق: (١/٢٢،٢٣)، للبغدادي، دون ذكر المحقق.

(٣) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد: (٢/ ٥٣٣)، لعثمان علي حسن.

(٤) لسان العرب: (١١/ ٣٢)، لابن منظور، مادة: (أول)، حرف: (ل)، دون ذكر المحقق.

(٥) لسان العرب: (١١/ ٣٢)، لابن منظور، مادة: (أول)، حرف: (ل)، دون ذكر المحقق.

(٦) انظر: لسان العرب: (١١/ ٣٢)، لابن منظور، مادة: (أول)، حرف: (ل)، دون ذكر المحقق.

وأصلحته فكان التأويل جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واضح لا إشكال فيه»، وقال بعض العرب: أول الله عليك أمرك أي جمعه وإذا دعوا عليه قالوا لا أول الله عليك شملك، ويقال في الدعاء للمضل: أول الله عليك أي رد عليك ضالتك وجمعها لك، ويقال: تأولت في فلان الأجر إذا تحريته وطلبته(١).

ثالثها: الوضوح(٢): وآل البعير ألواحه وما أشرف من أقطار جسمه، وآل الجبل أطرافه ونواحيه(٣).

رابعها: التغيير(٤): وآل اللبن إيالا تخثر فاجتمع بعضه إلى بعض، وآل الشراب إذا خثر وانتهى بلوغه ومنتهاه من الإسكار(٥).

التأويل اصطلاحا:

التأويل في الأصل: الترجيع، وفي الشرع: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة(٦).

وقيل: والمراد بالتأويل: نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ(٧).

وقد ظهر هذا المصطلح: (نقل ظاهر اللفظ) في عصور متأخرة، بعد عصر المتقدمين من السلف، فلم يعرفه الصحابة، ولا أهل اللغة المتقدمين، بل واكب ظهور الخلاف بين المسلمين، وفي بيئة المتكلمين والفلاسفة، لأن ظاهر القرآن لم تتمكن كل فرقة من الفرق

---

(١) لسان العرب: (١١/ ٣٢)، لابن منظور، مادة: (أول)، حرف: (ل)، دون ذكر المحقق.

(٢) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد: (٢/ ٥٣٥)، لعثمان علي حسن.

(٣) انظر: كتاب العين: (٨/ ٣٥٩)، للفراهيدي، حرف: (ل)، باب اللفيف من اللام، مادة: (ايل)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي.

(٤) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد: (٢/ ٥٣٤)، لعثمان علي حسن.

(٥) تهذيب اللغة: (١٥/ ٣١٧)، للأزهري، مادة: (ايل)، تحقيق: محمد مرعب، وانظر: لسان العرب: (١١/ ٣٢)، لابن منظور، مادة: (أول)، حرف: (ل)، دون ذكر المحقق.

(٦) التعريفات: (١/ ٧٢)، للجرجاني، حرف: (ت)، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

(٧) لسان العرب: (١١/ ٣٢)، لابن منظور، مادة: (أول)، حرف: (ل)، دون ذكر المحقق.

المتنازعة على اعتماده، فعمدوا للغلو في التأويل[١].

ومراد المعتزلة والجهمية[٢] وغيرهم من المتكلمين من التأويل صرف اللفظ عن ظاهره، إلى مجازه، ويقولون: التأويل على خلاف الأصل، ويحتاج إلى دليل[٣].

التأويل في اصطلاح السلف:

المراد به التفسير والبيان، ومنه قول ابن جرير وغيره: القول في تأويل قوله تعالى كذا، وكذا، يريد تفسيره[٤].

ومما ورد في الكتاب والسنة من معاني التأويل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣].

ومعناه: هل ينتظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم، في العذاب ومصيرهم إلى النار. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ أي: جزاؤه وما يئول إليه أمرهم[٥].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: ((سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي))، يتأول القرآن[٦]، (يتأول القرآن): أي يفعل ما أمر به فيه، قال أبو عبد الله: يعني قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ٣][٧].

يقول سفيان بن عيينة: «السنة: هي تأويل الأمر والنهي، فإن نفس الفعل المأمور به: هو

---

(١) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد: (٢/ ٥٤٣، ٥٤٤)، لعثمان علي حسن.

(٢) الجهمية: أتباع جهم بن صفوان، القائل بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، وأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن الإيمان بالله هو المعرفة فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط...إلخ، انظر: الفرق بين الفرق: (١/١٩٩)، للبغدادي، دون ذكر المحقق.

(٣) انظر: الصواعق المرسلة: (٢٢)، لابن قيم الجوزية، تعليق: محمد الأحمد.

(٤) انظر: الصواعق المرسلة: (٢٢)، لابن قيم الجوزية، تعليق: محمد الأحمد.

(٥) تفسير البغوي: (٣/ ٢٣٥)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٦) صحيح البخاري: (١/ ٢٨١)، كتاب: صفة الصلاة، باب: التسبيح والدعاء في السجود، برقم: (٧٨٤)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٧) انظر: فتح الباري: (٢/ ٢٩٩)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

تأويل الأمر به، ونفس الموجود المخبر عنه هو تأويل الخبر، والكلام: خبر، وأمر»[١].

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] يقول ابن عباس ﷺ: ((أنا ممن يعلم تأويله))[٢].

وقال أيضا: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره»[٣].

أقسام التأويل:

للتأويل قسمان هما: صحيح، وفاسد.

أولا: التأويل الصحيح: لا بد من توافر أربعة شروط له هي:

١- أن يكون اللفظ المراد تأويله محتملا للمعنى اللغوي، والشرعي، أو عرف التخاطب[٤].

٢- ألا يكون في السياق قرينة مانعة من التأويل[٥].

٣- وجود دليل أو قرينة معينة لإرادة المتكلم المعنى المؤول من اللفظ[٦].

٤- أن يسلم دليل التأويل من معارض أقوى منه[٧].

ومثاله: قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، والمعنى: تركوا طاعة الله، فتركهم الله من توفيقه وهدايته في الدنيا، ومن رحمته في الآخرة، وتركهم في عذابه[٨].

---

(١) التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٢٥٧)، جمع وترتيب: فخر الدين المحسي.

(٢) تفسير الطبري: (٦/ ٢٠٣)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٣) تفسير الطبري: (١/ ٧٥)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٤) انظر: التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٢٥٣)، جمع وترتيب: فخر الدين المحسي.

(٥) التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٢٥٤)، جمع وترتيب: فخر الدين المحسي.

(٦) التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٢٥٤)، جمع وترتيب: فخر الدين المحسي.

(٧) التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٢٥٤)، جمع وترتيب: فخر الدين المحسي.

(٨) تفسير البغوي: (٤/ ٧١)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

وقد دلت الآية على امتناع النسيان على الله تعالى، فجاز حمل الآية على هذا المعنى[1].

ثانيا: التأويل الفاسد: وهو الذي اختلت فيه بعض الشروط، كتأويل الاستواء بالاستيلاء، لانتفاء المقتضي، فالاستواء لغة لا يجيء بمعنى الاستيلاء، بل عينت الأدلة معناه وهو: العلو، والارتفاع، والفوقية[2].

ومن أمثلته أيضا: تأويل الجهمية قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨]، بأن الفوقية هي فوقية الشرف، وعطلوا الفوقية المطلقة والتي هي من خصائص ربوبيته[3].

وما لم يحتمله اللفظ ببنيته من تثنية أو جمع، وإن احتمله مفردا، كتأويل قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ﴾ [ص: ٧٥]، بالقدرة[4].

ويقول أهل التأويل: أن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول ﷺ أن يعتقد الناس الباطل، ولكن لم يبين لهم معانيها لكي يعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدوا في صرف النصوص عن مدلولها، والمقصود من ذلك امتحانهم وإتعاب أذهانهم، ليعرفوا الحق من غير جهته، وهذا قول المتكلمة، والجهمية، والمعتزلة[5].

دلالة قصة يوسف عليه السلام على التأويل ومعانيه:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف: ٦].

وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ يقول: ويعلمك ربك من علم ما يؤول إليه أحاديث الناس، عما يرونه في منامهم. وذلك تعبير الرؤيا[6].

(١) انظر: التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٢٥٤)، جمع وترتيب: فخر الدين المحسي.

(٢) انظر: التوضيحات الأثرية للتدمرية: (٢٥٥)، جمع وترتيب: فخر الدين المحسي.

(٣) انظر: الصواعق المرسلة: (٣٠)، لابن قيم الجوزية، تعليق: محمد الأحمد.

(٤) الصواعق المرسلة: (٢٥)، لابن قيم الجوزية، تعليق: محمد الأحمد.

(٥) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: (٩٨)، لعبد العزيز السلمان.

(٦) تفسير الطبري: (١٥/ ٥٦٠)، تحقيق: أحمد شاكر.

وفي قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾، تأويل الكلام: العلم والكلام.

وكان يوسف أعبر الناس، وقرأ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢][(١)]، وقوله: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ يعني: بالنبوة[(٢)].

وقال: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٣٦ــ ٣٧].

أي: بتفسيره، وما يؤول إليه أمرهما[(٣)].

وقال: ﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [يوسف: ٤٤].

وقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾، يقول: وما نحن بما تؤول إليه الأحلام الكاذبة بعالمين[(٤)].

وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ [يوسف: ٤٥].

وذلك أن الغلام جثا بين يدي الملك، وقال: إن في السجن رجلا يعبر الرؤيا[(٥)].

وقال: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ﴾ [يوسف: ١٠٠].

﴿وَقَالَ﴾ يوسف عند ذلك: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ وهو قوله: ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف: ٤]، أي: هذا ما آل إليه الأمر، فإن التأويل يطلق على ما يصير إليه الأمر[(٦)].

وقال: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١].

---

(١) تفسير الطبري: (١٥/ ٥٦٠)، تحقيق: أحمد شاكر، وانظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢١٤)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٢) تفسير البغوي: (٤/ ٢١٤)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٣) تفسير السعدي: (١/ ٣٩٧)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) تفسير الطبري: (١٦/ ١١٩)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٥) تفسير البغوي: (٤/ ٢٤٦)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون، وانظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٩٢)، تحقيق: سامي سلامة.

(٦) تفسير البغوي: (٤/ ٢٨٠)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون، وتفسير ابن كثير: (٤/ ٤١٢)، تحقيق: سامي سلامة.

هذا دعاء من يوسف الصديق، دعا به ربه عز وجل، لما تمت النعمة عليه، باجتماعه بأبويه وإخوته، وما من الله به عليه من النبوة والملك[١].

وقيل: أي: من تأويل أحاديث الكتب المنزلة، وتأويل الرؤيا، وغير ذلك من العلم[٢].

الخلاصة:

وبعد بيان أقوال المفسرين في المراد بتأويل الأحاديث في قصة يوسف عليه السلام اتضح أنه المراد به: ما يؤول إليه الأمر في تعبير الرؤيا، وتأويل أحاديث الكتب المنزلة، وغير ذلك من العلم، والكلام.

ويسمى تعبير الرؤيا تأويلا بالاعتبارين، فإنه تفسير لها، وهو عاقبتها وما تؤول إليه، ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾ [يوسف: ١٠٠]، أي: حقيقتها ومصيرها إلى ها هنا انتهت[٣].

أقوال السلف في التأويل:

قال ابن خزيمة (ت: ٣١١هـ) رحمه الله[٤]: «إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله تعالى، نقلها الخلف عن السلف قرنا بعد قرن من لدن الصحابة، والتابعين إلى عصرنا هذا، على سبيل الصفات لله تعالى، والمعرفة، والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله تعالى في تنزيله، ونبيه الرسول عن كتابه، مع اجتناب التأويل، والجحود، وترك التمثيل،

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٤١٤)، تحقيق: سامي سلامة.

(٢) تفسير السعدي: (١/ ٤٠٦)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) الصواعق المرسلة: (٢١)، لابن قيم الجوزية، تعليق: محمد الأحمد.

(٤) هو: محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي الشافعي، ضرب به المثل في العلم، والإتقان، عني في حداثته بالحديث والفقه، سمع من ابن راهويه، ومحمد بن حميد ولم يرو عنهما لصغره، ومن المروزي، وحدث عنه البخاري، ومسلم، وغيرهما، وأمّا تصانيفه فقد قيل: إنها تزيد على مائة وأربعين، سوى المسائل، والمسائل المصنفة: أكثر من مائة جزء، منها: التوحيد، صحيح ابن خزيمة، إثبات صفة الرب، انظر: سير أعلام النبلاء: (٢٧/ ٤١٦، ٤١٧، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٥)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف شعيب الأرناؤوط، طبقات الشافعية: (٣/ ١٠٩)، للسبكي، تحقيق: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، الأعلام: (٦/ ٢٩)، للزركلي، دون ذكر المحقق.

والتكييف»[١].

وقال أبو عمر يوسف بن عبد البر (٤٦٣هـ) رحمه الله[٢]: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن، والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة، لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله»[٣].

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب (ت: ٤٦٣هـ)[٤]: «أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها...»[٥].

وبهذا تكون نهاية الحديث عن الفصل الثاني: دلالة قصة يوسف ﷺ على التأويل ومعانيه.

---

(١) ذم التأويل: (١/ ١٨)، لابن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر البدر.

(٢) هو: أبو عمر يوسف بن عبد البرّ النَّمري الأندلسي القرطبي المالكي، أدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، سمع من: أبي محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن، وخلف بن القاسم، وقرأ على عبد الرحمن الوهراني، وغيره، وسمع من: أبي المطرف القنازعي، وغيره، وولي قضاء أشبونة، له تصانيف فائقة منها: التمهيد، الاستذكار، الاستيعاب، وغيرها، انظر: سير أعلام النبلاء: (٢٥/ ١٣٥إلى١٣٨، و١٤٠، ١٤١)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف شعيب الأرناؤوط.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: (٧/ ١٤٥)، لابن عبد البرّ، تحقيق: مصطفى البكري.

(٤) وهو: أحمد بن علي بن ثابت، أبو بكر البغدادي، أحد الحفاظ المتقدمين، كان فصيح اللهجة، عارفا بالأدب، يقول الشعر، من مؤلفاته: تاريخ بغداد، البخلاء، الكفاية في علم الرواية، الأسماء والألقاب، وغيرها، ولمّا مرض مرضه الأخير وقف كتبه، وفرق جميع أمواله في وجوه البرّ وعلى أهل العلم، انظر: الأعلام: (١/ ١٧٢)، للزركلي، دون ذكر المحقق.

(٥) تذكرة الحفاظ: (٣/ ٢٢٥)، للذهبي، تحقيق: زكريا عميرات.

الفصل الثالث

دلالة قصة يوسف عليه السلام على حكم السجود لغير الله

معنى السجود لغة:

الساجد المنتصب في لغة طيئ، سجد يسجد سجودا وضع جبهته بالأرض، وقوم سجد وسجود[(١)]، وسجد: خضع، ومنه سجود الصلاة، والاسم: السجدة، بالكسر، وقيل: سجد، إذا انحنى وتطامن إلى الأرض[(٢)].

وقوله عز وجل: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾، هذا سجود إعظام لا سجود عبادة، لأن بني يعقوب لم يكونوا يسجدون لغير الله عز وجل، قال الزجاج: «إنه كان من سنة التعظيم في ذلك الوقت أن يسجد للمعظم»، وقيل خروا له سجدا أي: خروا لله سجدا، قال الأزهري: «هذا قول الحسن والأشبه بظاهر الكتاب أنهم سجدوا ليوسف دل عليه رؤياه الأولى التي رآها»[(٣)].

وفيه وجه آخر لأهل العربية، وهو أن يجعل اللام في قوله وخروا له سجدا وفي قوله: ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف: ٤]، لام من أجل المعنى، وخروا من أجله سجدا لله شكرا لما أنعم الله عليهم[(٤)].

أدلة الكتاب والسنة على السجود:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد: ١٥].

أي: جميع ما احتوت عليه السماوات والأرض كلها خاضعة لربها، تسجد له ﴿طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ فالطوع لمن يأتي بالسجود والخضوع اختيارا كالمؤمنين، والكره لمن يستكبر عن عبادة ربه، وحاله وفطرته تكذبه في ذلك، ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ أي: ويسجد له ظلال المخلوقات أول النهار وآخره وسجود كل شيء بحسب حاله كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ

---

(١) انظر: لسان العرب: (٣/ ٢٠٤)، لابن منظور، مادة: (سجد)، حرف: (د)، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: (٨/ ١٧٢، ١٧٣)، للزبيدي، مادة: (سجد)، حرف: (د)، تحقيق: مجموعة من المحققين.

(٣) انظر: لسان العرب: (٣/ ٢٠٤)، لابن منظور، مادة: (سجد)، حرف: (د)، دون ذكر المحقق.

(٤) انظر: لسان العرب: (٣/ ٢٠٤)، لابن منظور، مادة: (سجد)، حرف: (د)، دون ذكر المحقق.

إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤][(١)].

فإذا كانت المخلوقات كلها تسجد لربها طوعا وكرها كان هو الإله حقا المعبود المحمود حقا وإلهية غيره باطلة، ولهذا ذكر بطلانها وبرهن عليه بقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُۚ ...﴾ [الرعد: ١٦][(٢)].

وقال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الحجر: ٩٨].

قال ابن عباس رضي الله عنه: ((فصل بأمر ربك ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، من المصلين المتواضعين)) وقال الضحاك: ((﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: قل: سبحان الله وبحمده، ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ المصلين))[(٣)].

وقال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل: ٢٤ــ ٢٦].

يقول تعالى مخبرا عن قيل الهدهد لسليمان، إذ يقول: إني وجدت هذه المرأة ملكة سبأ، وقومها من سبأ، يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله. وقوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، يقول: وحسن لهم إبليس عبادتهم الشمس، وسجودهم لها من دون الله، وحبب ذلك إليهم ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه، ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ يقول: فهم لما قد زين لهم الشيطان ما زين من السجود للشمس من دون الله والكفر به لا يهتدون لسبيل الحق ولا يسلكونه، ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يترددون[(٤)].

ويعني بقوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ يخرج المخبوء في السموات والأرض من غيث في السماء،

---

(١) تفسير السعدي: (١/ ٢٣٤)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) تفسير السعدي: (١/ ٢٣٤)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) تفسير البغوي: (٤/ ٣٩٧)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٤) انظر: تفسير الطبري: (١٩/ ٤٤٦، ٤٤٧)، تحقيق: أحمد شاكر.

ونبات في الأرض ونحو ذلك[١].

قال: الشيخ: عبد الرحمن بن حسن (ت: ١٢٨٥هـ)[٢]، - رحمه الله تعالى-: «...فحدث الهدهد، سليمان عليه السلام، بما رآهم يفعلونه، من السجود لغير الله؛ والسجود نوع من أنواع العبادة، فليت أكثر الناس عرفوا من الشرك، ما عرف الهدهد؛ فأنكروه، وعرفوا الإخلاص فالتزموه...»[٣].

وقال: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨].

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله، وقال الحسن: ((أراد بها البقاع كلها لأن الأرض جعلت كلها مسجدا للنبي ﷺ[٤])).

وروي عن سعيد بن جبير أيضا: أن المراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان وهي سبعة: الجبهة واليدان والركبتان والقدمان؟ يقول: هذه الأعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله، فلا تسجدوا عليها لغيره[٥].

﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ أي: لا دعاء عبادة، ولا دعاء مسألة[٦].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها))[٧].

وقوله: (لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)، أي: لكثرة حقوقه عليها وعجزها عن القيام بشكرها[٨].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: (١٩/ ٤٤٨)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، (٢٣/ ٤٠٨)، لعلماء نجد الأعلام، تحقيق: محمد بن قاسم.

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية: (٣/ ٢٧٤)، لعلماء نجد الأعلام، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم.

(٤) تفسير البغوي: (٨/ ٢٤٢)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٥) تفسير البغوي: (٨/ ٢٤٢)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٦) تفسير السعدي: (١/ ٨٩٠)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٧) سنن الترمذي: (٣/ ٤٦٥)، كتاب: الرضاع، باب: حق الزوج على المرأة، برقم: (١١٥٩)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه، تحقيق: أحمد شاكر، وآخرون.

(٨) تحفة الأحوذي: (٤/ ٢٧١)، للمباركفوري، دون ذكر المحقق.

وفي هذا غاية المبالغة لوجوب إطاعة المرأة في حق زوجها فإن السجدة لا تحل لغير الله[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس، ولا غروبها فإنها تطلع بقرني[٢] شيطان))[٣].

ومعناه: أنه يدني رأسه إلى الشمس في هذه الأوقات ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له في الصورة، وحينئذ يكون له ولبنيه تسلط ظاهر، وتمكن من أن يلبسوا على المصلين صلاتهم، فكرهت الصلاة حينئذ صيانة لها، كما كرهت في الأماكن التي هي مأوى الشيطان[٤].

فقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب، معللا بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان، وأنه حينئذ يسجد لها الكفار[٥].

ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله تعالى، وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان ولا أن الكفار يسجدون لها، ثم إن النهي منه ﷺ عن الصلاة في هذا الوقت حسما لمادة المشابهة بكل طريق، ويظهر بعض فائدة ذلك بأن من الصابئة المشركين[٦] اليوم ممن يظهر الإسلام ويعظم الكواكب، ويزعم أنه يخاطبها بحوائجه، ويسجد لها وينحر ويذبح[٧].

فإذا كان في هذه الأزمنة من يفعل مثل هذا، تحققت حكمة الشارع صلوات الله وسلامه عليه في النهي عن الصلاة في هذه الأوقات، سدا للذريعة وكان فيه تنبيه على أن

---

(١) تحفة الأحوذي: (٤/ ٢٧١)، للمباركفوري، دون ذكر المحقق.

(٢) قيل المراد بقرني الشيطان: حزبه وأتباعه وقيل: قوته وغلبته وانتشار فساده، وقيل: القرنان: ناحيتا الرأس، وأنّه على ظاهره وهذا هو الأقوى، (انظر: المنهاج، شرح صحيح مسلم: (٦/ ١١٢)، للنووي، دون ذكر المحقق).

(٣) صحيح مسلم: (١/ ٥٦٧)، كتاب: صلاة المسافرين، وقصرها، باب: الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها، برقم: (٨٢٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٤) انظر: المنهاج، شرح صحيح مسلم: (٦/ ١١٢)، للنووي، دون ذكر المحقق.

(٥) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: (١٣٦)، لابن تيمية، تحقيق: أ. د. ناصر العقل.

(٦) الصابئة المشركون: هم قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلون، فهم يعبدون الروحانيات العلوية، انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب: (١/١٣٦)، تأليف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د.مانع الجهني.

(٧) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: (١٣٦)، لابن تيمية، تحقيق: أ. د. ناصر العقل.

كل ما يفعله المشركون من العبادات ونحوها، مما يكون كفرا أو معصية بالنية، ينهى المؤمنون عن ظاهره وإن لم يقصدوا به قصد المشركين سدا للذريعة وحسما للمادة[١].

ولهذا نهى عن الصلاة إلى ما عبد من دون الله في الجملة، وإن لم يكن العابد يقصد ذلك، ولهذا ينهى عن السجود لله بين يدي الرجل وإن لم يقصد الساجد ذلك لما فيه من مشابهة السجود لغير الله، فانظر كيف قطعت الشريعة المشابهة في الجهات وفي الأوقات وكما لا يصلى إلى القبلة التي يصلون إليها كذلك لا يصلى إلى ما يصلون له بل هذا أشد فسادا، فإن القبلة شريعة من الشرائع قد تختلف باختلاف شرائع الأنبياء، أما السجود لغير الله وعبادته فهو محرم في الدين الذي اتفقت عليه رسل الله كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾[الزخرف: ٤٥][٢].

وقد نهى النبي ﷺ الرجل أن ينحني للرجل إذا لقيه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((قال رجل: يا رسول الله الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: (لا، قال أفيلتزمه ويقبله؟ قال: لا، قال: أفيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: نعم)))[٣]، كما يفعله كثير من المنتسبين إلى العلم ممن لا علم له بالسنة[٤].

بل يبالغون إلى أقصى حد الانحناء، مبالغة في خلاف السنة جهلا، حتى يصير أحدهم بصورة الراكع لأخيه، ثم يرفع رأسه من الركوع، كما يفعل إخوانهم من السجود بين يدي شيوخهم الأحياء والأموات، أخذوا من الصلاة سجودها، وأولئك ركوعها، وطائفة ثالثة قيامها، يقوم عليهم الناس وهم قعود كما يقومون في الصلاة، والمقصود أن النبي ﷺ نهى عن انحناء الرجل لأخيه سدا لذريعة الشرك، كما نهى عن السجود لغير الله[٥].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم: (١٣٧)، لابن تيمية، تحقيق: أ. د. ناصر العقل.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم: (١٣٦)، لابن تيمية، تحقيق: أ. د. ناصر العقل.

(٣) سنن الترمذي: (٥/ ٧٥)، كتاب: الاستئذان، باب: ما جاء في المصافحة، برقم: (٢٧٢٨)، وقال الترمذي: حديث حسن، تحقيق: أحمد شاكر، وآخرون.

(٤) انظر: إعلام الموقعين: (٣/ ١٥٤)، لابن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

(٥) إعلام الموقعين: (٣/ ١٥٥)، لابن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

دلالة قصة يوسف عليه السلام على حكم السجود لغير الله:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)﴾ [يوسف: ٤].

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ أي نجما من نجوم السماء، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ ولم يقل رأيتها إلي ساجدة، والهاء والميم والياء والنون من كنايات من يعقل، لأنه لما أخبر عنها بفعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨][1].

وكان النجوم في التأويل أخوات، وكانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم، والشمس أبوه، والقمر أمه. قاله قتادة، وقال السدي: القمر خالته، لأن أمه راحيل كانت قد ماتت[2].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (الكواكب) إخوته، (والشمس والقمر)، أبوه وخالته من وجه غير محمود[3].

وقال: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ...﴾ [يوسف: ١٠٠].

عن قتادة: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ وكانت تحية من قبلكم، كان بها يحيي بعضهم بعضا، فأعطى الله هذه الأمة السلام، تحية أهل الجنة، كرامة من الله تبارك وتعالى عجلها لهم، ونعمة منه[4].

وقيل في قوله: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾، ذلك السجود لشرفه، كما سجدت الملائكة لآدم لشرفه، ليس بسجود عبادة[5].

وإنما عنى من ذكر بقوله: (إن السجود كان تحية بينهم)، أن ذلك كان منهم على

---

(١) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢١٣)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٢) تفسير البغوي: (٤/ ٢١٣)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٣) تفسير الطبري: (١٥/ ٥٥٧)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٤) تفسير الطبري: (١٦/ ٢٦٩)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٥) تفسير الطبري: (١٦/ ٢٧٠)، تحقيق: أحمد شاكر.

الخلق، لا على وجه العبادة من بعضهم لبعض، ومما يدل على أن ذلك لم يزل من أخلاق الناس قديما قبل الإسلام على غير وجه العبادة من بعضهم لبعض، قول أعشى بني ثعلبة:

فلما أتانا بعيد الكرى سجدنا له ورفعنا عمارا[١]

وذكر البغوي في ذلك ثلاثة أقوال:

١- أن سجودهم كان تحية الناس يومئذ السجود، ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الأرض، وإنما هو الانحناء والتواضع.

٢- وقيل: وضعوا الجباه على الأرض وكان ذلك على طريق التحية والتعظيم، لا على طريق العبادة، وكان ذلك جائزا في الأمم السالفة فنسخ في هذه الشريعة.

٣- وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: معناه: ((خروا لله عز وجل سجدا بين يدي يوسف))، وذكر أن الأول أصح هذه الأقوال[٢].

وقيل: حال مقدرة لأن السجود يكون بعد الخرور، وكان ذلك جائزا عندهم وهو جار مجرى التحية والتكرمة كالقيام، والمصافحة، وتقبيل اليد، ونحوها من عادات الناس الفاشية في التعظيم والتوقير[٣].

وقيل: ما كان ذلك إلا إيماء بالرأس، وقيل: كان كالركوع البالغ دون وضع الجبهة على الأرض، وقيل: المراد به التواضع ويراد بالخرور المرور[٤].

وبهذا تم الفصل الثالث: دلالة قصة يوسف عليه السلام على حكم السجود لغير الله.

---

(١) تفسير الطبري: (١٦/ ٢٧٠)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) انظر: تفسير البغوي: (٤/ ٢٨٠)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٣) روح المعاني: (٧/ ٥٦)، للآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية.

(٤) روح المعاني: (٧/ ٥٦)، للألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية.

الفصل الرابع

دلالة قصة يوسف عليه السلام على مسائل الإمامة

معنى الإمامة لغة:

الأم بالفتح القصد أمه يؤمه أما إذا قصده، وأم القوم وأم بهم تقدمهم وهي: الإمامة، والإمام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين، والإمام ما ائتم به من رئيس وغيره، والجمع أئمة [(١)].

الإمامة اصطلاحا:

الإمام: الذي له الرياسة العامة في الدين والدنيا جميعا[(٢)].

والإمامية: هم تلك الفرقة من المسلمين الذين زعموا أن عليا هو الأحق في وراثة الخلافة دون الشيخين وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، وقد أطلق عليهم الإمامية لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي تشغلهم. [(٣)].

دلالة قصة يوسف عليه السلام على مسائل الإمامة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: ٥٤ــ ٥٦].

يقول تعالى إخبارا عن الملك حين تحقق براءة يوسف، عليه السلام، ونزاهة عرضه مما نسب إليه، قال: ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ أي: أجعله من خاصتي وأهل مشورتي ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ أي: خاطبه الملك وعرفه، ورأى فضله وبراعته، وعلم ما هو عليه من خلق وخلق وكمال قال له الملك: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي: إنك عندنا قد بقيت ذا مكانة وأمانة، فقال يوسف، عليه السلام: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف: ٥٥] مدح نفسه، ويجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره، للحاجة. وذكر أنه ﴿حَفِيظٌ﴾ أي: خازن أمين،

---

(١) انظر: لسان العرب: (١٢/ ٢٢)، لابن منظور، مادة: (أمم)، حرف: (م)، دون ذكر المحقق.

(٢) التعريفات: (١/ ٥٣)، للجرجاني، حرف: (الألف)، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب: (٢٤/ ١)، تأيف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د. مانع الجهني.

﴿عَلِيمٌ﴾ ذو علم وبصر بما يتولاه[(١)].

وقيل: حفيظ لما استودعتني، عليم بسني الجدب[(٢)].

وسأل العمل لعلمه بقدرته عليه، ولما في ذلك من المصالح للناس، وإنما سأل أن يجعل على خزائن الأرض، وهي: الأهرام التي يجمع فيها الغلات، لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها، ليتصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد، فأجيب إلى ذلك رغبة فيه، وتكرمة له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ...﴾[يوسف: ٥٦][(٣)].

الفوائد المستخلصة من الآيات:

أولا: أنه لا بأس أن يخبر الإنسان عما في نفسه من صفات الكمال من علم أو عمل، إذا كان في ذلك مصلحة، ولم يقصد به العبد الرياء، وسلم من الكذب، لقول يوسف: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، وكذلك لا تذم الولاية، إذا كان المتولي فيها يقوم بما يقدر عليه من حقوق الله وحقوق عباده، وأنه لا بأس بطلبها، إذا كان أعظم كفاءة من غيره، وإنما الذي يذم، إذا لم يكن فيه كفاية، أو كان موجودا غيره مثله، أو أعلى منه، أو لم يرد بها إقامة أمر الله، فبهذه الأمور، ينهى عن طلبها، والتعرض لها[(٤)].

ثانيا: حسن تدبير يوسف لما تولى خزائن الأرض، حتى كثرت عندهم الغلات جدا، وصار أهل الأقطار يقصدون مصر لطلب الميرة منها، لعلمهم بوفورها فيها، وكان لا يكيل لأحد إلا مقدار الحاجة الخاصة أو أقل، لا يزيد كل قادم على كيل بعير وحمله[(٥)].

وقال: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ...﴾[يوسف: ١٠١].

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٩٥)، تحقيق: سامي سلامة.

(٢) تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٩٥)، تحقيق: سامي سلامة.

(٣) تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٩٥، ٣٩٦)، تحقيق: سامي سلامة.

(٤) تفسير السعدي: (١/ ٤٠٧)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٥) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٤٠٧)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ يعني: ملك مصر، والملك: اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير[١].

وذلك أنه كان على خزائن الأرض وتدبيرها ووزيرا كبيرا للملك[٢].

مسائل الإمامة العامة:

المسألة الأولى: ما يتعلق بالإمامة بعد وفاة النبي محمد ﷺ:

قال أبو نعيم (ت: ٤٣٠هـ)[٣]: «واعلم أن الناس قد تشتت آراؤهم، واختلفت أهواؤهم وانشعبوا شعبا فصاروا فرقا مختلفين وأحزابا متباينين قد عظمت محنتهم في الإمامة في ابن أبي قحافة، وثبتت محبتهم لهم، فمن قائل...»[٤]، وذكر أقسام الفرق في التفضيل، وهي:

أقسام الفرق في تفضيل الصحابة:

١- من قال: أفضل الناس بعد الرسول ﷺ وأولاهم بالإمامة بعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنهم من يقول: أبو بكر ثم عمر، ثم علي رضي الله عنهم.

٢- ومنهم من يقول: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ووقف.

٣- ومنهم من يقول: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، وذلك قول أهل الجماعة، والأثر من رواه الحديث وجمهور الأمة.

٤- ومنهم من يقول: أبو بكر وعمر، ويقف عند عثمان وعلي رضي الله عنهما.

٥- ومنهم من يقول: أحقهم وأفضلهم بالإمامة بعد الرسول ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم (الإمامية)[٥].

وقد امتدح الله تعالى الصفوة من صحابة النبي ﷺ، وثبت عن الرسول ﷺ العديد من

---

(١) تفسير البغوي: (٤/ ٢٨١)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٢) تفسير السعدي: (١/ ٤٠٦)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) سير أعلام النبلاء: (٣٣/ ٤٥٨)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف شعيب الأرناؤوط.

(٤) انظر: الإمامة و الرد على الرافضة: (١/ ٢٠٥)، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: علي الفقيهي.

(٥) الإمامة والرد على الرافضة: (١/ ٢٠٦، ٢٠٧)، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: علي الفقيهي.

النصوص في مناقبهم وفضائلهم ودل على مراتبهم وسوابقهم، بالإضافة لما اجتمع عليه الصحابة رضي الله عنهم بعده وهم الممدوحون على لسان نبيه ﷺ بالخصال الحميدة والفضائل الكريمة قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تبارك وتعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨](١).

والمهاجرون هم الذين سمحت نفوسهم رضي الله عنهم بالنفس والمال والولد والأهل والدار، ففارقوا الأوطان وهاجروا الإخوان، وقتلوا الآباء والإخوان وبذلوا النفوس صابرين، وأنفقوا الأموال محتسبين وناصبوا من ناوأهم متوكلين فآثروا رضا الله على الغنى، والذل على العز، والغربة على الوطن(٢).

أما الأنصار أهل المواساة والإيثار أعز قبائل العرب جارا، وقد اتخذ الرسول عليه السلام دارهم أمنا وقرارا، ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...﴾ [الحشر: ٩]، فمن انطوت سريرته على محبتهم، ودان الله تعالى بتفضيلهم ومودتهم، وتبرأ ممن أضمر بغضهم، فهو الفائز بالمدح الذي مدحهم الله تعالى به فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠](٣).

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إن خيركم قرني، ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم، قال عمران: فلا أدري أقال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين، أو ثلاثة، ثم يكون بعدهم قوم يشهدون، ولا يستشهدون ويخونون، ولا يؤتمنون، وينذرون،

---

(١) انظر: الإمامة و الرد على الرافضة: (١/ ٢٠٧، ٢٠٨)، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: علي الفقيهي.

(٢) انظر: الإمامة و الرد على الرافضة: (١/ ٢٠٩)، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: علي الفقيهي.

(٣) انظر: الإمامة و الرد على الرافضة: (١/ ٢١٠)، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: علي الفقيهي.

ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن))[١].

ولم تنكر فرقة من هذه الفرق المدائح التي مدح الله بها أصحاب رسول الله ﷺ على لسان نبيه ﷺ وأن الصحابة هم خير الأمم[٢].

فيقال للإمامية الطاعنين على المهاجرين والأنصار اجتماعهم على تقدمة الصديق رضي الله عنه: أكان اجتماعهم عليه على إكراه منه لهم بالسيف، أو تأليف منه لهم بمال، أو غلبة بعشيرة، فإن الاجتماع لا يخلو من هذه الوجوه، وكل ذلك مستحيل منهم لأنهم (المديحة) والمروءة والدين والنصيحة، ولو كان شيء من هذه الوجوه، أو أريد واحد منهم على المبايعة كارها لكان ذلك منقولا عنهم ومنتشرا[٣].

وأما احتجاجهم ببعض الأدلة على تفضيل علي رضي الله عنه، وتخصيصه بالإمامة، ومن ذلك ما ورد عن علي رضي الله عنهقال: لقد عهد إلي النبي الأمي ﷺ أنه: ((لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق))[٤]، فيجاب عن ذلك بأن هذه منقبة من النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه وحث على محبته وترغيب في ولايته لما ظهر من ميل المنافقين عليه وبغضهم له[٥].

وغير ذلك من الأدلة، والردود عليها، والتي لا تتنافى مع تفضيل أبي بكر وتقدمته بالإمامة، فضلا عن صاحبيه عمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، ولا تسلب عليا رضي الله عنه فضله ومناقبه وقرابته للنبي ﷺ.

ولما سئل أحمد بن حنبل عن التفضيل، قال: «من قدم عليا على أبي بكر فقد طعن على رسول الله، ومن قدمه على عمر فقد طعن رسول الله، وعلى أبي بكر، ومن قدمه على عثمان فقد طعن على أبي بكر، وعلى عمر، وعلى أهل الشورى، وعلى المهاجرين، والأنصار»[٦].

---

(١) صحيح مسلم: (٤/ ١٩٦٤)، كتاب: الفضائل، باب: فضائل الصحابة، برقم: (٢٥٣٥)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) الإمامة و الرد على الرافضة: (١/ ٢١٤)، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: علي الفقيهي.

(٣) الإمامة و الرد على الرافضة: (١/ ٢١٥)، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: علي الفقيهي.

(٤) سنن الترمذي: (٥/ ٦٤٣)، كتاب: المناقب، باب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، برقم: (٣٧٣٦)، وقال: حديث حسن صحيح، تحقيق: أحمد شاكر، وآخرون.

(٥) انظر: الإمامة و الرد على الرافضة: (١/ ٢٢٠)، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: علي الفقيهي.

(٦) انظر: السنة: (٢/ ٣٧٤)، للخلّال، تحقيق: د. عطية الزهراني.

وقد عقد اللالكائي في كتابه: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة...» بابا بعنوان: سياق ذكر من رسم بالإمامة في السنة والدعوة، والهداية إلى طريق الاستقامة بعد رسول الله ﷺ إمام الأئمة، وقال: «فمن الصحابة: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان، وعلي، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير...إلخ[١].

المسألة الثانية: واجبات الإمام:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((سبعة يظلهم الله في ظله الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه...))[٢]، الحديث.

ومن أهم هذه الواجبات ما يلي:

أولا: إقامة الدين:

ويتمثل في:

١- نشره والدعوة إليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- حماية البلاد وتحصين الثغور، ليأمن المسلمون على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم[٣].

٣- إقامة شرائع الدين وحدوده: ويشمل ذلك جباية الزكاة، وتقسيم الفيء، والصدقات، وتنفيذ الحدود كالقصاص والجنايات، والسرقة، وشرب الخمر، والزنا. . إلخ، مع الحرص على العدل ورفع الظلم عن المظلومين[٤].

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة: (١/ ٢٩) (١/ ٣٠)، للالكائي تحقيق: د. أحمد سعد حمدان.

(٢) صحيح البخاري: (١/ ٢٣٤)، كتاب: الجماعة والإمامة، باب: من جلس في المسجد...إلخ، برقم: (٦٢٩)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) انظر: الأحكام السلطانية والولايات الدينية: (١/ ١٦)، للماوردي، وانظر: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد: (١/٣٢٥)، لأحمد النفراوي، تحقيق: رضا فرحات.

(٤) انظر: السياسة الشرعية: (١/٥٣،٦٠،٦٦،٨٧،١٢٥،١٣٣،١٣٧)، لابن تيمية، دون ذكر المحقق.

ثانيا: القيام على المصارف المالية الشرعية:

والاهتمام بهذا الجانب له دور في إصلاح معيشة الناس وقضاء حوائجهم، إذ سيكون لذلك أثر في عمارة الأرض وتوفير ما يحتاجه الناس في أمور دنياهم.

ومصارف الأموال الشرعية هي:

(١) **الزكاة**: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه وكفر من كفر من العرب فقال عمر رضي الله عنه كيف تقاتل الناس؟ ، وفيه قال أبو بكر رضي الله عنه: ((والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها))[١].

ودفع الصدقات إليهم-أئمة المسلمين- جائزة نافذة من دفعها إليهم أجزأت عنه برا كان أو فاجرا[٢].

(٢) **الجزية**: وهي عقد تأمين ومعاوضة وتأبيد من الإمام أو نائبه، على مال مقدر يؤخذ من الكفار كل سنة برضاهم في مقابلة سكنى دار الإسلام[٣]، قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾[التوبة: ٢٩].

(٣) **الخراج**: وهو ما ضرب على أراضي الكفار المغنومة عنوة التي تركت بيد أصحابها[٤].

(٤) **العشور**: وهي ضريبة تؤخذ من الذميين والمستأمنين على أموالهم المعدة للتجارة إذا دخلوا بلاد المسلمين، ومقدارها نصف العشر على الذمي، والعشر على الحربي؛ لأنهم يأخذون على تجار المسلمين مثله إذا قدموا بلادهم[٥].

---

(١) انظر: صحيح البخاري: (٢/ ٥٠٧)، كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة، برقم: (١٣٣٥)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٢) أصول السنة: (١/ ٤٤)، لأحمد بن حنبل، دون ذكر المحقق.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف: (١/ ٢٤٣)، للمناوي، حرف: (ج)، تحقيق: محمد رضوان الداية.

(٤) انظر: الأحكام السطانية والولايات الدينية: (١/ ١٩٦)، للماوردي، دون ذكر المحقق.

(٥) انظر: الأموال: (١/ ٦٣٨، ٦٣٧)، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: خليل محمد هراس.

(٥) **الغنائم**: الغنيمة هي المال المأخوذ من الكفار بالقتال، إعلاء لكلمة الله[١].

(٦) **الفيء**: وهو كل ما أخذه المسلمون من الكفار بغير قتال، إما بالجلاء أو المصالحة[٢].

ثالثا: اختيار الأمثل فالأمثل:

وذلك باختيار الأمين، والأصلح لتصريف شؤون الرعية، والساعي لصلاح أمورهم، وحفظ أموالهم، والعارف بمقتضيات ما يمارسه من مهام[٣].

رابعا: تفقد أحوال الرعية والرفق بهم:

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة))[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت من رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: ((اللهم من ولى من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به))[٥].

المسألة الثالثة: حقوق الإمام:

من حقوق الإمام على رعيته، ما يلي:

١/ حق الطاعة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ أنه قال: ((على المرء المسلم السمع والطاعة

---

(١) انظر: التعريفات: (١/ ٢٠٩)، للجرجاني، حرف: (غ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

(٢) انظر: التعريفات: (١/ ٢١٧)، للجرجاني، حرف: (ف)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، وانظر: السياسة الشرعية: (٦٢/١)، لابن تيمية، دون ذكر المحقق.

(٣) انظر: الأحكام السطانية والولايات الدينية: (١/ ١٧)، للماوردي، دون ذكر المحقق، السياسة الشرعية: (٢٥،١٧/١)، لابن تيمية دون ذكر المحقق.

(٤) صحيح البخاري: (٦/ ٢٦١٤)، كتاب: الأحكام، باب: من استرعي رعية...إلخ، برقم: (٦٧٣١)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٥) صحيح مسلم: (٣/ ١٤٥٨)، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل...إلخ، برقم: (١٨٢٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة))[١].

والسمع والطاعة للأئمة، وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة، واجتمع الناس عليه، ورضوا به، ومن (غلب)[٢] عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين[٣].

ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كانوا اجتمعوا عليه وأقروا بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو الغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة[٤].

يقول ابن تيمية رحمه الله: «...فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد؛ وطاعة ولاة الأمور واجبة لأمر الله بطاعتهم، فمن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمر لله فأجره على الله، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال فإن أعطوه أطاعهم؛ وإن منعوه عصاهم، فما له في الآخرة من خلاق»[٥].

ويقول أيضا عن مذهب أهل السنة والجماعة: «أنهم لا يوجبون طاعة الإمام في كل ما يأمر به، بل لا يوجبون طاعته إلا فيما تسوغ طاعته فيه في الشريعة، فلا يجوزون طاعته في معصية الله وإن كان إماما عادلا، وإذا أمرهم بطاعة الله فأطاعوه مثل أن يأمرهم بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصدق والعدل، والحج والجهاد في سبيل الله، فهم في الحقيقة إنما أطاعوا الله...»[٦].

---

(١) صحيح مسلم: (٣/ ١٤٦٩)، كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية...إلخ، برقم: (١٨٣٩)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) حصل سقط لكلمة (غلب) من المرجع: أصول السنة: (١/ ٤٢)، لأحمد بن حنبل، دون ذكر المحقق. ، انظر: كشاف القناع: (٦/ ١٥٩)، للبهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي، مصطفى هلال.

(٣) أصول السنة: (١/ ٤٢)، لأحمد بن حنبل، دون ذكر المحقق.

(٤) أصول السنة: (١/ ٤٦، ٤٥)، لأحمد بن حنبل، دون ذكر المحقق.

(٥) مجموع الفتاوى: (٣٥/ ١٧، ١٦)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٦) منهاج السنة النبوية: (٣/ ٢٢٩)، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم.

٢/ نصرة الإمام ومعاونته:

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ...﴾ [المائدة: ٢].
ويدل على ذلك أيضا ما ذكر في أصول السنة للإمام أحمد وفيه: «. . والغزو ماض مع الإمام إلى يوم القيامة البر والفاجر لا يترك، وقسمة الفيء، وإقامة الحدود إلى الأئمة ماض ليس لأحد أن يطعن عليهم، ولا ينازعهم»(١).

٣/ المناصحة:

عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم))(٢).

وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم، ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وألا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح(٣).

وهذا جزء من حقوق الإمام على رعيته، والتي بأدائها تجتمع الكلمة ويتوحد الصف ضد الأعداء، وتصلح أمور الدنيا والدين.

وبهذا تم الكلام عن الفصل الرابع: دلالة قصة يوسف عليه السلام على مسائل الإمامة.

---

(١) أصول السنة: (١/ ٤٣)، لأحمد بن حنبل، دون ذكر المحقق.

(٢) صحيح مسلم: (١/ ٧٤)، كتاب: الإيمان، باب: بيان أنّ الدين النصيحة، برقم: (٥٥)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) انظر: المنهاج: شرح صحيح مسلم (٢/ ٣٨)، للنووي، دون ذكر المحقق.

الفصل الخامس

دلالة قصة يوسف ﷺ على إغواء الشيطان لبني آدم

معنى الشيطان:

لغة: الشطن: الحبل، وقيل: الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى به، وتشد به الخيل، والجمع أشطان، وبئر شطون: بعيدة القعر، وأشطنه أبعده، والشيطان فيعال، من شطن إذا بعد فيمن جعل النون أصلا، وقولهم الشياطين دليل على ذلك، والشيطان معروف، وكل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان، والشيء إذا استقبح شبه بالشياطين فيقال: كأنه وجه شيطان، وكأنه رأس شيطان، والشيطان لا يرى ولكنه يستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء(١)، والشيطان هو الشديد البعد عن محل الخير(٢).

وقد بين الله للإنسان أن الشيطان ألد أعدائه، وأنه ما خلق إلا للسعي وراء غوايته وإضلاله، وقد وعد بهذا، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦ــ ١٧].

وقد حذرنا الله من اتباع خطواته، ومكره ونزغاته.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٨ــ ١٦٩].

وخطوات الشيطان آثاره وزلاته، وقيل: هي النذر في المعاصي، وقيل: هي المحقرات من الذنوب، وقال الزجاج: طرقه، وقد أظهر عداوته بإبائه السجود لآدم وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة(٣)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤]، وقد عامله الجبار بنقيض ما قصده، وأذاقه وبال حسده، وأثمر له استكباره الذل الأبدي الذي لا عز بعده: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣](٤).

---

(١) انظر: لسان العرب: (١٣/ ٢٣٧) (شطن)، حرف: (ن)، لابن منظور، دون ذكر المحقق.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف: (١/ ٤٤٣)، للمناوي، حرف: (ش)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

(٣) انظر: تفسير البغوي: (١/ ١٨٠)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٤) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول: (٢/ ٤٦٠)، لحافظ الحكمي، تحقيق: عمر محمود أبو عمر.

وقال: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠ــ ٢١].

وقال: ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾ [الأعراف: ٢٤].

وقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠ــ ٢٠١].

وأصل (النزغ): الفساد، إما بالغضب أو غيره، قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣][(١)].

وعن صفية بنت حيي -زوج النبي ﷺ رضي الله عنها: أنها جاءت رسول الله ﷺ تزوره وهو معتكف في المسجد...، وفيه قال ﷺ: ((إن الشيطان يجري من ابن آدم مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما))[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: ((لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار))[(٣)].

دلالة قصة يوسف عليه السلام على إغواء الشيطان لبني آدم:

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [يوسف: ٥].

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: يزين لهم الشيطان، ويحملهم على الكيد، لعداوته القديمة[(٤)].

---

(١) تفسير ابن كثير: (٣/ ٥٣٣)، تحقيق: سامي سلامة.

(٢) صحيح البخاري: (٥/ ٢٢٩٦)، كتاب: الأدب، باب: التكبير والتسبيح عند التعجب، برقم: (٥٨٦٥)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) صحيح البخاري: (٦/ ٢٥٩٢)، كتاب: الفتن، باب: قول النبي ﷺ: (من حمل علينا السلاح...إلخ، برقم: (٦٦٦١)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٤) تفسير البغوي: (٤/ ٢١٣)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيَ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٠٠﴾ [يوسف: ١٠٠].

والشاهد في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾، يعني: من بعد أن أفسد ما بيني وبينهم، وجهل بعضنا على بعض، وكان ذلك بالحسد[١].

ولم يقل يوسف عليه السلام: (نزغ الشيطان إخوتي)، بل كأن الذنب والجهل، صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة[٢].

وقد كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وزين الشيطان -لعنه الله- لقوم نوح عبادة الأصنام وكان أول ذلك أن زين لهم تعظيم القبور والعكوف عليها، وذلك بنصبهم أنصابا إلى مجالس رجال صالحين عندهم، وسموها بأسمائهم، إلى أن طال بهم الأمد وهلك الأولون، ونسي العلم فعبدت، وهذه أول خطوات ظهور الشرك في البشرية[٣].

ومن تأمل القرآن والسنة وجد اعتناءهما بذكر الشيطان وكيده ومحاربته أكثر من ذكر النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، وأما الشيطان فذكر في عدة مواضع وأفردت له سورة تامة، (سورة الناس)، فتحذير الرب تعالى لعباده منه جاء أكثر من تحذيره من النفس وهذا هو الذي لا ينبغي غيره فإن شر النفس وفسادها ينشأ من وسوسته فهي مركبه وموضع شرعه ومحل طاعته وقد أمر الله سبحانه بالاستعاذة منه عند قراءة القرآن وغير ذلك وهذا لشدة الحاجة إلى التعوذ منه[٤].

مكائد الشيطان:

ومكائده وحباله متنوعة، لم يترك طريقا للشر وللصد عن سبيل الله إلا سلكه، ولا بابا

---

(١) انظر: تفسير الطبري: (١٦/ ٢٧٧)، تحقيق: أحمد شاكر، تفسير البغوي: (٤/ ٢٨١)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٢) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٤٠٥)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول: (٢/ ٤٦٢)، لحافظ الحكمي، تحقيق: عمر محمود أبو عمر.

(٤) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ٩٠)، تحقيق: محمد الفقي.

موصدا إلا فتحه، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦ــ ١٧].

فمن ضمن مكائده المتنوعة ما يلي:

١- التشكيك في الآخرة، والتكذيب بالبعث، والجنة والنار[١].

٢- تزيين الدنيا وتحسينها[٢].

٣- التثبيط عن الحسنات[٣].

٤- الأمر بالسيئات، والحث عليها، وتزيينها، والشيطان كما ذكرت الآية السابقة يزين الشر للعبد ويتربص به من كل جهاته، إلا من فوقه فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((ولم يقل من فوقهم لأنه علم أن الله من فوقهم)) قال الشعبي: ((فالله عز وجل أنزل الرحمة عليهم من فوقهم))[٤].

وقال قتادة: ((أتاك الشيطان يا ابن آدم من كل وجه، غير أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله))[٥].

٥- إيراده العبد موارد هلاكه، فيخيل إليه منفعته، فإذا هلك وأسقط في يديه، وقف الشيطان ضاحكا شامتا، فيأمره بالسرقة والزنا والقتل ويدل عليه ويفضحه[٦].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨] فإنه تراءى للمشركين عند خروجهم إلى بدر في صورة سراقة بن مالك المدلجي، وكانوا يخافون من بني مدلج

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ١٠٢)، تحقيق: محمد الفقي.
(٢) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ١٠٣)، تحقيق: محمد الفقي.
(٣) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ١٠٣)، تحقيق: محمد الفقي.
(٤) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ١٠٣)، تحقيق: محمد الفقي.
(٥) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ١٠٣)، تحقيق: محمد الفقي.
(٦) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ١٠٨)، تحقيق: محمد الفقي.

لعداوة كانت بينهم، فقال لهم الشيطان: أنا جار لكم، فاطمأنت نفوسهم[١]، فلما رأى عدو الله جنود الله تعالى من الملائكة نزلت لنصر رسوله فر عنهم وأسلمهم[٢].

قال قتادة وابن إسحاق: ((صدق عدو الله في قوله: إني أرى ما لا ترون، وكذب في قوله: إني أخاف الله، والله ما به مخافة الله ولكن علم أنه لا قوة له ولا منعة، فأوردهم وأسلمهم، كذلك عادة عدو الله بمن أطاعه))، وقالت طائفة: إنما خاف بطش الله تعالى به في الدنيا كما يخاف الكافر والفاجر أن يقتل أو يؤخذ بجرمه، لا أنه خاف عقابه في الآخرة وهذا أصح وهذا الخوف لا يستلزم إيمانا ولا نجاة[٣].

٦- أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه، فلا يجاهدونهم ولا يأمرونهم بالمعروف ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان، وقد أخبرنا الله تعالى سبحانه عنه بهذا قال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥][٤].

٧- ومن مكائده أنه يسحر العقل دائما حتى يكيده، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه من أنفع الأشياء وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له حتى يخيل له أنه يضره[٥].

٨- أنه ينظر للنفس وطبيعتها حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها: قوة الإقدام والشجاعة أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة، فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام أخذ في تثبيطه، وإضعاف همته وإرادته عن المأمور به وثقله عليه فهون عليه تركه حتى يتركه جملة، أو يقصر فيه ويتهاون به، وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة أخذ يقلل عنده المأمور به ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة، فيقصر بالأول، ويتجاوز الثاني، ومن أمثلة ذلك:

---

(١) تفسير السعدي: (١/ ٣٢٢)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ١٠٨)، تحقيق: محمد الفقي.

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ١٠٩)، تحقيق: محمد الفقي.

(٤) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ١٠٩)، تحقيق: محمد الفقي.

(٥) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ١١٠)، تحقيق: محمد الفقي.

- قوم قصر بهم عن الإتيان بواجبات الطهارة، وقوم تجاوز بهم إلى مجاوزة الحد بالوسواس.
- وقوم قصر بهم عن إخراج الواجب من المال، وقوم تجاوز بهم حتى أخرجوا جميع ما في أيديهم وقعدوا كلا على الناس مستشرفين إلى ما بأيديهم.
- وقوم قصر بهم عن تناول ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب واللباس حتى أضروا بأبدانهم وقلوبهم، وقوم تجاوز بهم حتى أخذوا فوق الحاجة فأضروا بقلوبهم وأبدانهم.
- وكذلك قصر بقوم في حق الأنبياء وورثتهم حتى قتلوهم، وتجاوز بآخرين حتى عبدوهم[١].

الأسباب الدافعة لكيد الشيطان وشره:

أولا: الاستعاذة بالله من الشيطان[٢] قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

ثانيا: ما ورد في السنة المطهرة من الأدعية التي يستعاذ بها من شر كل ذي شر، أهمها: الشيطان، وتكون سببا في حفظه بإذن الله.

عن ابن عباس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني، فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه))[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ((من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك))[٤].

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ١١٥، ١١٦)، تحقيق: محمد الفقي.

(٢) انظر: بدائع الفوائد: (٢/ ٤٩٠)، لابن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عطا، وآخرون.

(٣) صحيح البخاري: (٣/ ١١٩٦)، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، برقم: (٣١٠٩)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٤) صحيح البخاري: (٣/ ١١٩٨)، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، برقم: (٣١١٩)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

ثالثا: ما ورد في فضائل بعض السور:

قراءة المعوذتين: (الفلق، والناس)، فإن لهما تأثيرا عجيبا في الاستعاذة بالله تعالى من شره ودفعه والتحصن منه(١)، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: ((ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط؟ قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس))(٢).

وقراءة آية الكرسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان...وفيه: قال ﷺ: ((دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ...﴾[البقرة: ٢٥٥]، حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح))(٣).

وقراءة سورة البقرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة))(٤).

وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه))(٥).

رابعا: كثرة ذكر الله وهو من أنفع الحروز من الشيطان(٦).

خامسا: الوضوء والصلاة وهذا من أعظم ما يتحرز به منه ولا سيما عند توارد قوة الغضب والشهوة فإنها نار تغلي في قلب ابن آدم(٧)، ومما ورد في الحث على الوضوء طردا

---

(١) انظر: بدائع الفوائد: (٢/ ٤٩١)، لابن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عطا، وآخرون.

(٢) صحيح مسلم: (١/ ٥٥٨)، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل قراءة المعوذتين، برقم: (٨١٤)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) انظر: صحيح البخاري: (٢/ ٨١٢)، كتاب: الوكالة، باب: إذا وكل رجلا...إلخ، برقم: (٢١٨٧)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٤) صحيح مسلم: (١/ ٥٣٩)، كتاب: صلاة المسافرين، باب: استحباب صلاة النافلة...إلخ، برقم: (٧٨٠)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٥) صحيح مسلم: (١/ ٥٥٤)، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل الفاتحة و...إلخ، برقم: (٨٠٧)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٦) بدائع الفوائد: (٢/ ٤٩٣)، لابن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عطا، وآخرون.

(٧) بدائع الفوائد: (٢/ ٤٩٤)، لابن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عطا، وآخرون.

طردا للشيطان ما ذكره أبو هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا استيقظ أراه أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثا فإن الشيطان يبيت على خيشومه))[١].

سادسا: إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس، فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة فإن فضول النظر يدعو إلى الاستحسان ووقوع صورة المنظور إليه في القلب والاشتغال به والفكرة في الظفر به، فمبدأ الفتنة من فضول النظر[٢]، قال الشاعر:

كل الحوادث مبداها من النظـــر ومعظم النار من مستـــصغر الـــشرر[٣]

أما فضول الكلام فإنه يفتح للعبد أبوابا من الشر كلها مداخل للشيطان، فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها، وكم من حرب جرتها كلمة واحدة[٤].

وأما فضول الطعام فهو داع إلى أنواع كثيرة من الشر فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي ويثقلها عن الطاعات وحسبك بهذين شرا فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام وكم من طاعة حال دونها فمن وقى شر بطنه فقد وقى شرا عظيما والشيطان أعظم ما يتحكم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام[٥].

وأما فضول المخالطة فهي الداء العضال الجالب لكل شر، وكم سلبت المخالطة من نعمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازات تزول الجبال الراسيات وهي في القلوب لا تزول، ففضول المخالطة فيه خسارة الدنيا والآخرة، وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة[٦].

ولسان حال كل مؤمن مع ما تضمنته هذه الآية: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ

---

(١) صحيح البخاري: (٣/ ١١٩٩)، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، برقم: (٣١٢١)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٢) انظر: بدائع الفوائد: (٢/ ٤٩٥)، لابن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عطا، وآخرون.

(٣) بدائع الفوائد: (٢/ ٤٩٥)، لابن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عطا، وآخرون.

(٤) بدائع الفوائد: (٢/ ٤٩٧)، لابن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عطا، وآخرون.

(٥) بدائع الفوائد: (٢/ ٤٩٨)، لابن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عطا، وآخرون.

(٦) انظر: بدائع الفوائد: (٢/ ٤٩٨)، لابن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عطا، وآخرون.

﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧- ٩٨]، فاللهم اختم بالصالحات أعمالنا.

وبهذا تم الحديث عن الفصل الخامس: دلالة قصة يوسف عليه السلام على إغواء الشيطان لبني آدم.

الفصل السادس

دلالة قصة يوسف ﷺ على العين والحسد

ذكر ابن القيم رحمه الله أن أصول الخطايا كلها ثلاثة:

الكبر: وهو الذي أدى بإبليس لحالته هذه من غضب الله وسخطه وطرده وإبعاده من رحمة الله، والحرص: وهو الذي أخرج آدم من الجنة، والحسد وهو الذي جرأ أحد ابني آدم على أخيه بقتله، فمن وقي هذه الثلاثة وقي الشر، فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص، والغي والظلم من الحسد[١].

وهذا الأخير (الحسد)، هو سبب ظلم إخوة يوسف عليه وسلم وبغيهم عليه، بسبب شدة محبة أبيه – يعقوب – له، وسيتضح هذا بأدلته في هذا الفصل بإذن الله، مع الحديث عن ذكر العين في القصة.

معنى العين والحسد:

العين لغة: العين: حاسة البصر، والرؤية أنثى تكون للإنسان وغيره من الحيوان، وقيل: العين التي يبصر بها الناظر، والجمع أعيان وأعين وأعينات الأخيرة جمع الجمع، والكثير عيون، والعين الذي يبعث ليتجسس الخبر، والعين: أن تصيب الإنسان بعين، وعان الرجل يعينه عينا فهو عائن[٢]، والمصاب بالعين معين، ومن العرب من يقول: معيون، وعين المتاع: خياره، وعين الشيء: نفسه[٣].

الحسد لغة: الحسد معروف حسده يحسده ويحسده حسدا وحسده إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته، أو يسلبهما، والغبط أن يتمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه[٤].

وقيل: الحسد تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد، ويقال ظلم ذي النعمة بتمني زوالها عنه وصيرورتها إلى الحاسد[٥].

---

(١) انظر: الفوائد: (٨٤)، لابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي.

(٢) انظر: لسان العرب: (١٣/ ٢٩٨)، لابن منظور، مادة: (عين)، حرف: (ن)، دون ذكر المحقق.

(٣) انظر: تهذيب اللغة: (٣/ ١٣٠، ١٣٢)، للأزهري، مادة: (عين)، حرف: (ع)، تحقيق: محمد عوض مرعب.

(٤) انظر: لسان العرب: (٣/ ١٤٨)، لابن منظور، مادة: (حسد)، حرف: (د)، دون ذكر المحقق.

(٥) انظر: التعريفات: (١/ ١١٧)، للجرجاني، حرف: (ح)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، والتوقيف على مهمات التعاريف: (١/ ٢٧٨)، للمناوي، حرف: (ح)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

دلالة قصة يوسف ﷺ على العين والحسد:

أولا: الحسد: قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ [يوسف: ٥].

خشي يعقوب، ﷺ، أن يحدث بهذا المنام أحدا من إخوته فيحسدوه على ذلك، فيبغوا له الغوائل، حسدا منهم له؛ ولهذا قال له: ﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾ أي: يحتالوا لك حيلة يردونك فيها(١).

وقد تحقق ما خشيه يعقوب ﷺ، ولكن دون علم من إخوة يوسف ﷺ بالرؤيا.

وقال تعالى: ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾ [يوسف: ٨ــ ٩].

يقولون: هذا الذي يزاحمكم في محبة أبيكم لكم، أعدموه من وجه أبيكم، ليخلو لكم وحدكم، إما بأن تقتلوه، أو تلقوه في أرض من الأراضي تستريحوا منه، وتختلوا أنتم بأبيكم(٢).

ثانيا: العين: قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨﴾ [يوسف: ٦٧ــ ٦٨].

﴿لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ﴾ وذلك أنه خاف عليهم العين، لكثرتهم وبهاء منظرهم، لكونهم أبناء رجل واحد، وهذا سبب، ﴿و﴾ إلا فــ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾ فالمقدر لا بد أن يكون، ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي: القضاء قضاؤه، والأمر أمره، فما قضاه وحكم به لا بد أن يقع، ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ أي: اعتمدت على الله، لا على ما

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٧١)، تحقيق: سامي سلامة.

(٢) تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٧٢)، تحقيق: سامي سلامة.

وصيتكم به من السبب، ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ فإن بالتوكل يحصل كل مطلوب، ويندفع كل مرهوب(١).

﴿وَلَمَّا﴾ ذهبوا و﴿دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ﴾ ذلك الفعل ﴿يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ وهو موجب الشفقة والمحبة للأولاد، فحصل له في ذلك نوع طمأنينة، وقضاء لما في خاطره(٢).

وليس هذا قصورا في علمه، فإنه من الرسل الكرام والعلماء الربانيين، ولهذا قال عنه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ﴾أي: لصاحب علم عظيم ﴿لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ أي: لتعليمنا إياه، لا بحوله وقوته أدركه، بل بفضل الله وتعليمه، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ عواقب الأمور ودقائق الأشياء وكذلك أهل العلم منهم، يخفى عليهم من العلم وأحكامه ولوازمه شيء كثير(٣).

تفصيل مسألتي العين والحسد:

أولا: مسألة العين:

قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥].

عن قتادة ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ قال: ((من شر عينه ونفسه))، قال ابن طاوس (ت: ١٣٢هـ)(٤): ((العين حق، ولو كان شيء سابق القدر، سبقته العين، وإذا استغسل أحدكم فليغتسل))(٥).

ومما ورد في إثبات وقوع العين ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((العين حق))(٦).

---

(١) تفسير السعدي: (١/ ٤٠١)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) تفسير السعدي: (١/ ٤٠١)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) تفسير السعدي: (١/ ٤٠١)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء: (٦/ ١٠٤)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف شعيب الأرناؤوط.

(٥) تفسير الطبري: (٢٤/ ٧٠٥)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٦) صحيح البخاري: (٥/ ٢١٦٧)، كتاب: الطب، باب: العين حق، برقم: (٥٤٠٨)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

وفي الحديث أن للعين تأثيرا في النفوس[(١)].

وأن الذي يتمشى على طريقة أهل السنة أن العين إنما تضر عند نظر العائن بعادة أجراها الله تعالى أن يحدث الضرر عند مقابلة شخص لآخر وهل ثم جواهر خفية أو لا هو أمر محتمل لا يقطع بإثباته ولا نفيه[(٢)].

الاحتراز من العين:

قال الأصمعي (ت: ٢١٥هـ)[(٣)]: «رأيت رجلا عيونا سمع بقرة تحلب فأعجبه شخبها فقال: أيتهن هذه؟ فقالوا: الفلانية لبقرة أخرى يورون عنها، فهلكتا جميعا، المورى بها والمورى عنها»[(٤)].

والواجب على المسلم في هذه الحالة تحرزا من وقوع العين الدعاء لأخيه بالبركة، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف رضي الله عنهما قال: اعتل أبي سهل بن حنيف فترع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ﷺينظر وكان سهل رجلا أبيض حسن الجلد فقال له عامر: ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء، فوعك سهل مكانه، فاشتد وعكه، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره أن سهلا وعك غير قادر أن يرفع رأسه يا رسول الله، فأتاه رسول الله ﷺ فأخبره سهل بالذي كان من شأن عامر، فقال رسول الله ﷺ: ((على ما يقتل أحدكم أخاه، (في حديث الحارث) ألا بركت إن العين حق توضأ، فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به بأس))[(٥)].

وأما إن وقعت العين ولا مفر من الخلاص منها، فالواجب معالجة ذلك بما ورد في الكتاب والسنة.

---

(١) فتح الباري: (١٠/ ٢٠٠)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

(٢) انظر: فتح الباري: (١٠/ ٢٠٠)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

(٣) سير أعلام النبلاء: (١٠/ ١٨١)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف شعيب الأرناؤوط.

(٤) تفسير القرطبي: (٩/ ٢٢٧)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش.

(٥) سنن النسائي الكبرى: (٤/ ٣٨٠)، كتاب: الطب، باب: العين، برقم: (٧٦١٦)، تحقيق: عبد الغفار البنداري، سيد كسروي حسن، صححه ابن حبان في صحيحه: (١٣/ ٤٦٩)، كتاب: الرقى والتمائم، باب: ذكر الأمر لمن رأى بأخيه شيئا...إلخ، برقم: (٦١٠٥)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

علاج العين:

وقد أمر النبي ﷺ المعيون بالرقية من كتاب الله ﷻ، فالقرآن كله شفاء، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ومن صحيح الأدعية الواردة في السنة المطهرة، ومما ورد في ذلك:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أمرني رسول الله ﷺ، أو أمر أن يسترقى من العين))[١].

وعنها رضي الله عنها: ((أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها))[٢].

وعن أنس رضي الله عنه في رقية النبي ﷺ قال: ((اللهم رب الناس، مذهب الباس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقما))[٣].

وقد أرشد النبي ﷺ المعيون بالإرشاد التي في حديث ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا))[٤].

والمراد أمر العائن بالوضوء، وصفة وضوء العائن عند العلماء: أن يؤتى بقدح ماء ولا يوضع القدح في الأرض، فيأخذ منه غرفة فيتمضمض بها، ثم يمجها في القدح، ثم يأخذ منه ماء يغسل وجهه، ثم يأخذ بشماله ماء يغسل به كفه اليمنى، ثم بيمينه ماء يغسل به مرفقه الأيسر، ولا يغسل ما بين المرفقين والكعبين، ثم يغسل قدمه اليمنى، ثم اليسرى على الصفة المتقدمة، وكل ذلك في القدح ثم داخلة إزاره وهو الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الأيمن، فإذا استكمل هذا صبه من خلفه على رأسه[٥].

---

(١) صحيح البخاري: (٥/ ٢١٦٦)، كتاب: الطب، باب: رقية العين، برقم: (٥٤٠٦)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٢) صحيح البخاري: (٤/ ١٩١٦)، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل المعوذات، برقم: (٤٧٢٨)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٣) صحيح البخاري: (٥/ ٢١٦٧)، كتاب: الطب، باب: رقية النبي ﷺ، برقم: (٥٤١٠)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٤) صحيح مسلم: (٤/ ١٧١٩)، كتاب: السلام، باب: الطب والمرض والرقى، برقم: (٢١٨٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٥) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم: (١٤/ ١٧٢)، للنووي، دون ذكر المحقق.

الخلاف في وجوب الوضوء على العائن:

وقد اختلف العلماء في العائن، هل يجبر على الوضوء للمعين أم لا؟

واحتج من أوجبه بقوله ﷺ في رواية مسلم هذه: ((وإذا استغسلتم فاغسلوا))، وغيرها، والأمر للوجوب قال المازري (ت: ٥٣٦هـ)[١]: «والصحيح عندي الوجوب ويبعد الخلاف فيه إذا خشي على المعين الهلاك، وكان وضوء العائن مما جرت العادة بالبرء به، أو كان الشرع أخبر به خبرا عاما، ولم يكن زوال الهلاك إلا بوضوء العائن فإنه يصير من باب من تعين عليه إحياء نفس مشرفة على الهلاك، وقد تقرر أنه يجبر على بذل الطعام للمضطر، فهذا أولى وبهذا التقرير يرتفع الخلاف فيه هذا»[٢].

ثانيا: مسألة الحسد:

وفيه يقول تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[البقرة: ١٠٩].

وقد أخبر الله عن حسد كثير من أهل الكتاب، وأنهم بلغت بهم الحال، أنهم ودوا ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ وسعوا في ذلك، وأعملوا المكايد، وكيدهم راجع عليهم كما قال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾[آل عمران: ٧٢].

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء: ٥٤] يعني: اليهود، ويحسدون الناس: قال قتادة: ((المراد بالناس العرب، حسدهم اليهود على النبوة، وما أكرمهم الله تعالى بمحمد ﷺ))، وقيل: أراد محمدا ﷺ وأصحابه، وقال ابن عباس رضي الله عنه والحسن ومجاهد وجماعة: المراد بالناس: رسول الله ﷺ وحده حسدوه على ما أحل الله له من النساء، وقالوا: ما له هم إلا النكاح، وهو المراد من قوله: ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وقيل: حسدوه على النبوة وهو المراد من الفضل

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٣٩/ ١٠١)، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف شعيب الأرناؤوط.

(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم: (١٤/ ١٧٢)، للنووي، دون ذكر المحقق.

المذكور في الآية، ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أراد بآل إبراهيم: داود وسليمان، وبالكتاب: ما أنزل الله عليهم وبالحكمة النبوة ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[١].

يقول ابن تيمية رحمه الله: «وقد يبتلى بعض المنتسبين إلى العلم وغيرهم، بنوع من الحسد لمن هداه الله بعلم نافع، أو عمل صالح، وهو خلق مذموم مطلقا، وهو في هذا الموضع من أخلاق المغضوب عليهم»[٢].

وقال تعالى في الاستعاذة من شر الحاسد: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق: ٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا))[٣].

حد الحسد:

حد الحسد هو المنافسة في طلب الكمال والأنفة أن يتقدم عليه نظيره، فمن تعدى ذلك صار بغيا وظلما، يتمنى معه زوال النعمة عن المحسود، ويحرص على إيذائه، ومتى نقص عن ذلك كان دناءة وضعف همة وصغر نفس[٤].

يقول ابن تيمية: «ومن أمراض القلوب (الحسد) كما قال بعضهم في حده: إنه أذى يلحق بسبب العلم بحسن حال الأغنياء فلا يجوز أن يكون الفاضل حسودا...»[٥].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها))[٦].

---

(١) تفسير البغوي: (٢/ ٢٣٦)، تحقيق: محمد النمر، وآخرون.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم: (٥٨)، لابن تيمية، تحقيق: أ. د. ناصر العقل.

(٣) صحيح البخاري: (٥/ ٢٢٥٣)، كتاب: الأدب، باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر، برقم: (٥٧١٧)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٤) الفوائد: (٢٠٥، ٢٠٦)، لابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي.

(٥) مجموع الفتاوى: (١٠/ ١١١)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٦) صحيح البخاري: (١/ ٣٩)، كتاب: العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة، برقم: (٧٣)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

فالحسد في الحديث حسد منافسة (الغبطة) يطالب فيه الحاسد نفسه أن يكون مثل المحسود، لا حسد مهانة، وتمن لزوال النعمة عن المحسود[١].

وقد كان الناس يعظمون دار العباس رضي الله عنه، حيث كان عبد الله يعلم الناس، وأخوه يطعم الناس، ورأى معاوية الناس يسألون ابن عمر رضي الله عنه عن المناسك وهو يفتيهم فقال: هذا والله الشرف أو نحو ذلك، أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد نافس أبا بكر رضي الله عنه الإنفاق[٢].

وقد استغل الحاقدون على الإسلام وجود هذا الداء بين أفراد المجتمع المسلم، فقاموا بنشر المبادئ الهدامة، والأفكار الخبيثة، ومنها الفكر الشيوعي[٣] الذي يسلط الفقراء على الأغنياء، مستثيرا كوامن الحسد والبغضاء بينهم، بسبب ضعف الإيمان، والابتعاد عن المنهج السوي، وانتشار الجهل، وشح الأغنياء ومنعهم الزكاة، وغير ذلك من الأسباب[٤].

وقد امتدح الله الأنصار لسلامة صدورهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[الحشر: ٩].

من جملة أوصافهم الجميلة أنهم: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ هذا لمحبتهم لله ولرسوله، أحبوا أحبابه، وأحبوا من نصر دينه، ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ أي: لا يحسدون المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله وخصهم به من الفضائل والمناقب التي هم أهلها، وهذا يدل على سلامة صدورهم، وانتفاء الغل والحقد والحسد عنها[٥].

علاج الحسد:

يقول ابن تيمية رحمه الله: «...وكما أن الواجب الاحتماء عن سبب المرض قبل

---

(١) انظر: الفوائد: (٢٠٦)، لابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (١٠/ ١١٦)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٣) الفكر الشيوعي: مذهب فكري يقوم على الإلحاد، وأنّ المادة أساس كل شيء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات، وبالعامل الاقتصادي، ظهر في ألمانيا على يد: ماركس وإنجلز. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب: (١/١٧٧)، تأليف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د.مانع الجهني.

(٤) انظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة: (١/ ٤٣٠، ٤٣١)، لعبد الله الجربوع.

(٥) تفسير السعدي: (١/ ٨٥٠)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

حصوله وإزالته بعد حصوله، فهكذا أمراض القلب يحتاج فيها إلى حفظ الصحة ابتداء وإلى إعادتها – بأن عرض له المرض – دواما والصحة تحفظ بالمثل، والمرض يزول بالضد فصحة القلب تحفظ باستعمال أمثال ما فيها، أو هو ما يقوي العلم والإيمان من الذكر والتفكر والعبادات المشروعة، وتزول بالضد فتزال الشبهات بالبينات وتزال محبة الباطل ببغضه ومحبة الحق...»(١).

وسبب الحسد من قبل الحاسد عائد لضعف إيمانه، وقلة استشعاره لمعاني أسماء الله الحسنى: كالرزاق، والمنان، ...إلخ، وأنه القادر على تبديل حاله، وتوفيقه وتسديده، وهذا مرتبط أيضا بحسن الظن بالله سبحانه، والرضا بالقضاء والقدر، والتسليم لله، وتفويض الأمور إليه، وعلاج ذلك يكون: بالعلم بالتوحيد، والإيمان بالقدر، والمحافظة على الصلوات، والدعاء(٢).

أما الواجب على المحسود: فهو حفظ النعمة التي أعطاه الله وشكرها، ونسبتها لله تعالى، وأداء حق الله فيها، سواء أكانت هذه النعمة مالا، أو جاها، أو علما، أو ذرية...إلخ، من الأمور، ويتحصن بالأدعية والأذكار المشروعة، ولا يبخل على عباد الله بشيء في استطاعته أداؤه لهم.

نهاية الفصل السادس: دلالة قصة يوسف ﷺ على العين والحسد.

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٠/ ١٤٥)، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٢) انظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة: (١/ ٤٣٢)، لعبد الله الجربوع.

الفصل السابع

دلالة قصة يوسف عليه السلام على الرؤى والمنامات

ومدار قصة يوسف عليه السلام على الرؤيا التي قصها على والده، وما منحه الله من تعبير الرؤى كان سببا لخروجه من السجن وتوليته على خزائن مصر، وهذا من تمام نعمة الله على نبيه يوسف عليه السلام.

معنى الرؤيا لغة:

الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين، يقال: رأى زيدا عالما ورأى رأيا ورؤية وراءة، مثل: راعة، والرؤية، بالضم: إدراك المرئي، وقيل: «الرؤية النظر بالعين والقلب»، والرؤيا ما رأيته في منامك، ويقال: ريا وهذا على الإدغام بعد التخفيف[١].

دلالة قصة يوسف عليه السلام على الرؤى والمنامات:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف: ٤].

وتذكر الآية ما قصه يوسف عليه السلام لأبيه يعقوب: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾، يقول: إني رأيت في منامي أحد عشر كوكبا، قيل: إن الكواكب الأحد عشر كانت إخوته، والشمس والقمر أبويه[٢].

عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾، قال: كانت رؤيا الأنبياء وحيا[٣].

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [يوسف: ٤٣-٤٤].

---

(١) انظر: لسان العرب: (١٤/ ٢٩١)، لابن منظور، مادة: (رأى)، حرف: (و، ي)، دون ذكر المحقق، وتاج العروس من جواهر القاموس: (٣٨/ ١٠٢، ١٠٦)، مادة: (رأى)، حرف: (ر)، للزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين.

(٢) انظر: تفسير الطبري: (١٥/ ٥٥٤، ٥٥٦)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٣) تفسير الطبري: (١٥/ ٥٥٦)، تحقيق: أحمد شاكر.

وذلك أن الملك رأى رؤيا هالته، فجمع لها علماء قومه وذوي الرأي منهم وقال: ﴿أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ﴾ أي: سبع من البقرات ﴿عِجَافٞ﴾ وهذا من العجب، أن السبع العجاف الهزيلات اللاتي سقطت قوتهن، يأكلن السبع السمان التي كن نهاية في القوة[١].

ورأى أيضا: ﴿وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ﴾ يأكلهن سبع سنبلات ﴿يَابِسَٰتٖ﴾، ثم قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ﴾ لأن تعبير الجميع واحد، وتأويله شيء واحد. ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾ فتحيروا، ولم يعرفوا لها وجها، و﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ﴾ أي: أحلام لا حاصل لها، ولا تأويل، وهذا جزم منهم بما لا يعلمون، وتعذر منهم، بما ليس بعذر، ثم قالوا: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ أي: لا نعبر إلا الرؤيا، وأما الأحلام التي هي من الشيطان، أو من حديث النفس، فإنا لا نعبرها[٢].

وهؤلاء جمعوا بين الجهل والجزم، بأنها أضغاث أحلام، والإعجاب بالنفس، بحيث إنهم لم يقولوا: لا نعلم تأويلها، وهذا من الأمور التي لا تنبغي لأهل الدين والحجا، وهذا أيضا من لطف الله بيوسف ﷺ، فإنه لو عبرها ابتداء - قبل أن يعرضها على الملأ من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها -لم يكن لها ذلك الموقع، ولكن لما عرضها عليهم فعجزوا عن الجواب، وكان الملك مهتما لها غاية، فعبرها يوسف وقعت عندهم موقعا عظيما[٣].

ويستفاد من الآية: أن علم التعبير من العلوم الشرعية، والتي يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، وأنه داخل في الفتوى، لقوله للفتيين: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١﴾، وقال الملك: ﴿أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ﴾، وقال الفتى ليوسف: ﴿أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ﴾ الآيات، فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم[٤].

---

(١) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٣٩٩)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٢) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٣٩٩)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٣) تفسير السعدي: (١/ ٣٩٩)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

(٤) انظر: تفسير السعدي: (١/ ٤٠٧)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق.

وقال: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ ...﴾ [يوسف: ١٠٠].

يقول جل ثناؤه: قال يوسف لأبيه: يا أبت، هذا السجود الذي سجدت أنت وأمي وإخوتي لي تأويل رؤياي من قبل، أي: ما آلت إليه، وهي رؤياه التي كان رآها قبل صنيع إخوته به ما صنعوا: أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدون، ﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ يقول: قد حققها ربي، لمجيء تأويلها على الصحة(١).

وقد اختلف أهل العلم في قدر المدة التي كانت بين رؤيا يوسف وبين تأويلها:

فقال بعضهم: كانت مدة ذلك أربعين سنة، وقيل: كانت مدة ذلك ثمانين سنة، وقيل: كانت مدة ذلك ثمان عشرة سنة(٢).

مسائل في الرؤيا:

أولا: الأدلة على الرؤيا من بقية سور القرآن:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ...﴾ [الصافات: ١٠٢].

وفي الآية: أن إبراهيم نذر حين بشرته الملائكة بإسحاق ولدا أن يجعله إذا ولدته سارة لله ذبيحا؛ فلما بلغ إسحاق مع أبيه السعي أري إبراهيم في المنام، فقيل له: أوف لله بنذرك، ورؤيا الأنبياء يقين، فلذلك مضى لما رأى في المنام، وقال له ابنه إسحاق ما قال(٣)، وهذا بناء على اختيار الطبري أن المفدي – من ابني إبراهيم – هو إسحاق.

ولم يكن الذبح مصلحة ولا كان هو مطلوب الرب في نفس الأمر، بل كان مراد الرب ابتلاء إبراهيم ليقدم طاعة ربه ومحبته على محبة الولد ولا يبقى في قلبه التفات إلى غير الله، فإنه كان يحب الولد محبة شديدة، وكان قد سأل الله أن يهبه إياه – وهو خليل الله – فأراد تعالى تكميل خلته لله بأن لا يبقى في قلبه ما يزاحم به محبة ربه(٤).

---

(١) انظر: تفسير الطبري: (١٦/ ٢٧١)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) انظر: تفسير الطبري: (١٦/ ٢٧٣، ٢٧٥)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٣) انظر: تفسير الطبري: (٢١/ ٧٤)، تحقيق: أحمد شاكر.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: (١٧/ ٢٠٣)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

ثانيا: علم تعبير الرؤى:

إن العلم بتأويل الرؤيا أصعب من العلم بتأويل الكلام الذي يخبر به، فإن دلالة الرؤيا على تأويلها دلالة خفية غامضة لا يهتدي لها جمهور الناس؛ بخلاف دلالة لفظ الكلام على معناه[١].

قيل لمالك – رحمه الله – أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال: «أبالنبوة يلعب»، وقال: «لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها، فإن رأى خيرا أخبر به، وإن رأى مكروها فليقل خيرا أو ليصمت، قيل فهل يعبرها على الخير وهي عنده على المكروه لقول من قال أنها على ما أولت عليه؟ فقال: (لا، ثم قال: الرؤيا جزء من النبوة فلا يتلاعب بالنبوة[٢].

ثالثا: أصدق أوقات الرؤيا:

والمعبرون يقولون: أصدق الرؤيا في وقت الربيع، أو الخريف عند خروج الثمار وعند إدراكها، وهما وقتان يتقارب فيهما الزمان، ويعتدل الليل والنهار. قالوا: ورؤيا الليل أقوى من رؤيا النهار، وأصدق ساعات الرؤيا وقت السحر[٣].

رابعا: حقيقة الرؤيا:

يقول ابن عبد البر رحمه الله: (وجملة القول في هذا الباب، أن الرؤيا الصادقة من الله، وأنها من النبوة، وأن التصديق بها حق، وفيها من بديع حكمة الله ولطفه ما يزيد المؤمن في إيمانه، ولا أعلم بين أهل الدين والحق من أهل الرأي والأثر خلافا فيما وصفت لك ولا ينكر الرؤيا إلا أهل الإلحاد وشرذمة من المعتزلة»[٤].

وقال المازري: «كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا، وقال فيها غير الإسلاميين أقاويل كثيرة منكرة، لأنهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل، ولا يقوم عليها برهان، وهم لا يصدقون بالسمع فاضطربت أقوالهم...إلى أن قال: والصحيح ما عليه أهل السنة أن

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (١٧/ ٤٠٣)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: (١/ ٢٨٨)، لابن عبد البرّ، تحقيق: مصطفى البكري.

(٣) شرح السنة: (١٢/ ٢١٠)، للإمام البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد الشاويش.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: (١/ ٢٨٥)، لابن عبد البرّ، تحقيق: مصطفى البكري.

الله يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان فإذا خلقها فكأنه جعلها علما على أمور أخرى يخلقها في ثاني الحال ومهما وقع منها على خلاف المعتقد فهو كما يقع لليقظان ونظيره أن الله خلق الغيم علامة على المطر وقد يتخلف وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يسر أو بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضر والعلم عند الله تعالى»[١].

خامسا: الرؤيا والنبوة:

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[٢]...))[٣].

وبدئ بذلك ليكون تمهيدا وتوطئة لليقظة، وقوله: (مثل فلق الصبح): أي جاءت مجيئا مثل فلق الصبح، وخص بالتشبيه لظهوره الواضح الذي لا شك فيه، وقيل: «إنما شبهها بفلق الصبح دون غيره لأن شمس النبوة كانت الرؤيا مبادي أنوارها فما زال ذلك النور يتسع حتى أشرقت الشمس»[٤].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة))[٥].

ويدل الحديث على أن الرؤيا الصالحة إنما كانت جزءا من أجزاء النبوة لكونها من الله تعالى، بخلاف التي من الشيطان فإنها ليست من أجزاء النبوة[٦].

والوحي انقطع بموته ﷺ ولم يبق ما يعلم منه ما سيكون إلا الرؤيا، أما الإلهام فإن فيه

---

(١) فتح الباري: (١٢/ ٣٥٣)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

(٢) والمراد بفلق الصبح ضياؤه، (انظر: فتح الباري: (١/ ٢٣)، (١٢/ ٣٥٥)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق).

(٣) صحيح البخاري: (٦/ ٢٥٦١)، كتاب التعبير، باب: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ...إلخ، برقم: (٦٥٨١)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٤) انظر: فتح الباري: (١/ ٢٣)، (١٢/ ٣٥٥)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

(٥) صحيح البخاري: (٦/ ٢٥٦٣)، كتاب التعبير، باب: الرؤيا الصالحة...إلخ، برقم: (٦٥٨٦)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٦) انظر: فتح الباري: (١٢/ ٣٧٤)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

إخبارا بما سيكون وهو للأنبياء بالنسبة للوحي كالرؤيا ويقع لغير الأنبياء كما ذكر في مناقب عمر، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لقد كان فيما كان قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر))[١]، وفسر المحدث بفتح الدال بالملهم وقد أخبر كثير من الأولياء عن أمور مغيبة فكانت كما أخبروا[٢]، كما أن كمال الولاية الإيمان والتقوى واتباع الرسل باطنا وظاهرا[٣].

ثم إنه من رأى النبي ﷺ في المنام فأمره بحكم يخالف حكم الشرع المستقر في الظاهر فإن ذلك لا يكون مشروعا في حقه، ولا في حق غيره حتى يجب عليه تبليغه[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي))[٥].

قوله: (ولا يتمثل الشيطان بي)، فمعناه: لا يتشبه بي، وإن أمكنه من التصور في أي صورة أراد فإنه لم يمكنه من التصور في صورة النبي ﷺ وشرط رؤية النبي ﷺ الصحيحة أن يكون في صورته الحقيقية، والمراد بقوله: (من رآني في المنام فقد رآني): أن رؤياه صحيحة لا تكون أضغاثا ولا من تشبيهات الشيطان، وقال النووي: «...بل الصحيح أنه يراه حقيقة سواء كانت على صفته المعروفة أو غيرها»، وقال أيضا: «ومنهم من قال إن الشيطان لا يتصور على صورته أصلا فمن رآه في صورة حسنة فذاك حسن في دين الرائي، وإن كان في جارحة من جوارحه شين أو نقص فذاك خلل في الرائي من جهة الدين»[٦].

سادسا: أقسام الرؤيا:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب،

---

(١) صحيح البخاري: (٣/ ١٣٤٩)، كتاب: الفضائل، باب: مناقب عمر بن الخطاب...إلخ، برقم: (٣٤٨٦)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٢) انظر: فتح الباري: (١٢/ ٣٧٦)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: (١٧/ ٤٥٩)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

(٤) انظر: فتح الباري: (١٢/ ٣٧٤، ٣٧٥)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

(٥) صحيح البخاري: (٦/ ٢٥٦٧)، كتاب التعبير، باب: من رأى النبي ﷺ...إلخ، برقم: (٦٥٩٢)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٦) انظر: فتح الباري: (١٢/ ٣٨٦، ٣٨٧)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا، ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة، والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس...))[١].

أولا: من الرؤيا ما تكون منذرة وهي صادقة يريها الله للمؤمن رفقا به ليستعد لما يقع قبل وقوعه[٢].

وقوله: (الرؤيا ثلاثة) فيه بيان أن ليس كل ما يراه الإنسان في منامه يكون صحيحا، ويجوز تعبيره، إنما الصحيح منها ما كان من الله عز وجل يأتيك به ملك الرؤيا من نسخة أم الكتاب، وما سوى ذلك أضغاث أحلام لا تأويل لها[٣].

ثانيا: ما يكون من فعل الشيطان يلعب بالإنسان، أو يريه ما يحزنه، وله مكايد يحزن بها بني آدم، كما أخبر الله تعالى عنه: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴾ [المجادلة: ١٠]، ومن لعب الشيطان به الاحتلام الذي يوجب الغسل، فلا يكون له تأويل[٤].

ثالثا: ما يكون ذلك من حديث النفس، كمن يكون في أمر، أو حرفة يرى نفسه في ذلك الأمر، والعاشق يرى معشوقه ونحو ذلك، وقد يكون ذلك من مزاج الطبيعة[٥].

يقول ابن تيمية رحمه الله: «...والرؤيا المحضة التي لا دليل يدل على صحتها لا يجوز أن يثبت بها شيء بالاتفاق...إلى أن قال: فإذا كان جنس الرؤيا تحته أنواع ثلاثة، فلا بد من تمييز كل نوع منها عن نوع...»[٦].

سابعا: الواجب على المسلم إذا رأى ما يكره في منامه:

عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا

---

(١) صحيح مسلم: (٤/ ١٧٧٣)، كتاب: الرؤيا، باب: دون ذكر الباب، برقم: (٢٢٦٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) فتح الباري: (١٢/ ٣٧٥، ٣٧٦)، لابن حجر العسقلاني، دون ذكر المحقق.

(٣) شرح السنة: (١٢/ ٢١١)، للإمام البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد الشاويش.

(٤) انظر: شرح السنة: (١٢/ ٢١١)، للإمام البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد الشاويش.

(٥) انظر: شرح السنة: (١٢/ ٢١١)، للإمام البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد الشاويش.

(٦) مجموع الفتاوى: (٢٧/ ٤٥٨)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار.

حلم فليتعوذ منه، وليبصق عن شماله فإنها لا تضره))[١].

وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه))[٢].

وعن أبي سلمة رضي الله عنه يقول: لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت أبا قتادة يقول: وأنا كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها أحدا فإنها لن تضره))[٣].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((...فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس...))[٤].

وقد دلت هذه الأحاديث على ما يجب على المسلم فعله عند رؤيته ما يكره في منامه، ويتلخص ذلك فيما يلي:

أولا: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

ثانيا: أن يبصق عن يساره ثلاثا.

ثالثا: أن يتحول عن جنبه الذي ينام عليه إلى الجهة الأخرى.

رابعا: أن يقوم للصلاة.

خامسا: ألا يحدث بالرؤية أحدا، ويعتقد أنها لن تضره.

وبنهاية الحديث عن مسائل الرؤيا، يتم الحديث عن الفصل السابع: دلالة قصة يوسف عليه السلام على الرؤى والمنامات، وبه يختم الحديث عن آخر أبواب هذه الرسالة وهو: الباب

---

(١) صحيح البخاري: (٦/ ٢٥٦٣)، كتاب التعبير، باب: الرؤيا الصالحة...إلخ، برقم: (٦٥٨٥)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٢) صحيح مسلم: (٤/ ١٧٧٢)، كتاب: الرؤيا، باب: دون ذكر الباب، برقم: (٢٢٦٢)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) صحيح البخاري: (٦/ ٢٥٨٢)، كتاب التعبير، باب: إذا رأى ما يكره...إلخ، برقم: (٦٦٣٧)، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٤) صحيح مسلم: (٤/ ١٧٧٣)، كتاب: الرؤيا، باب: دون ذكر الباب، برقم: (٢٢٦٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

السابع: دلالة قصة يوسف عليه السلام على مسائل متفرقة في الاعتقاد.

وأسأل الله التوفيق والإعانة والقبول إنه جواد كريم، والحمد لله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.

الخاتمة

وتشتمل على:

أولا: أبرز النتائج

ثانيا أهم التوصيات.

أولا: النتائج:

إن من أبرز النتائج وفق ما تقرر في عقيدة السلف، فيما يتعلق بالمباحث المسائل العقدية في قصة يوسف عليه السلام ما يلي:

١- ما يتعلق بالإيمان بالله عز وجل، وبربوبيته، وأسمائه، وصفاته، واعتقاد العبد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربى جميع الخلق بأصناف النعم وربى خواص خلقه وهم الأنبياء وأتباعهم بالعقائد الصحيحة والأخلاق الجميلة والعلوم النافعة والأعمال الصالحة، وأنه المعبود وحده دون سواه، وهذا الذي وقعت فيه الخصومة بين الرسل وأتباعهم، وإثبات ما أثبته لنفسه من أسماء وصفات، والتي زلت أقدام فئام من الناس في تأويلها، ما بين تأويل باطل، أو تعطيل مضل عن سواء السبيل.

٢- أن الواجب على العبد التعبد لله بعبادات القلب والجوارح، وتسخير كل ما منحنا الله من نعم وقوة في طاعته سبحانه ومرضاته.

٣- وجوب تحقيق العبودية لله في الأعمال التالية:

وقد وردت في القصة، ولها دلالاتها من الكتاب والسنة في مواضع أخرى: (الدعاء، الاستعانة، الاستغاثة، الاستعاذة، الرجاء، التوكل، الحلف بالله)، ولا بد فيها من تعلق القلب بالله، ورجاء ما عنده من خير وفضل، وربط حياة المؤمن بعبوديته والاتصال به سبحانه، وهذا مما يقوي النفس أمام العقبات التي تعترضها من شرور ومصائب ونحوها.

٤- في الدعاء: تتعلم النفس ألا تسأل ما عند الله إلا منه، فإن بيده مقاليد الأمور وخزائن السماوات والأرض.

٥- وفي الاستعانة: لا تستعين النفس إلا بالله، فهو النصير والمعين.

٦- وفي الاستغاثة: لا تستغيث لضر ألم بها بمخلوق ميت أو غير قادر على تحصيل النجاة لها من مواضع هلاكها.

٧- وفي الاستعاذة: تلتجئ النفس لباريها معتصمة به سبحانه من الشرور كلها، وعلى رأسها الشيطان الرجيم.

٨- وفي الرجاء: لا ترجو النفس إلا خالقها، ولا تطلب إلا منه، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

٩- وفي التوكل: تبذل أسباب السعادة والنجاة، وتفوض الأمر لرب الأرض والسماء.

١٠- أما الحلف على ما تريد النفس توثيقه والإقرار به لتظهر صدقها مناط بالحلف بالله سبحانه لا بسواه.

١١- أن الإشراك به سبحانه طريق هلاك النفس وورودها نار الجحيم، وأن رب هذه المخلوقات وخالقها ومسويها وموجدها من العدم، جدير بالعبادة وحده لا يستحقها سواه.

١٢- وجوب الإيمان بما دلت عليه القصة من أسماء الله تعالى: (الله، العليم، الحكيم، السميع، الواحد، القهار، الغفور، اللطيف، الرب، فاطر، الولي)، وبمعانيها الواردة في الكتاب والسنة، وبما تضمنته من صفات، ودعاء الله بها، فأسماؤه وصفاته سبحانه تعرف به وتقرب إليه.

١٣- وجوب الإيمان بما دلت عليه القصة من صفات لله تعالى من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، وهي: (الربوبية، الألوهية، العلم، الحكم، الحكمة، الغلبة، السمع، الوحدانية، القهر، الفطر، الولاية، المشيئة، المغفرة، الرحمة، الحفظ، وكيل، اللطف، المستعان)، استشعار العبد لمعاني هذه الصفات في شؤون حياته كلها، يحقق له السعادة والطمأنينة وراحة البال وانشراح الصدر، ففي كل موقف يتعرض له يجد قلبه معلقا باسم من أسماء الله وصفاته، وتبث في روحه رجاء الخير من الله وتوفيقه وإعانته.

١٤- وجوب الإيمان بالملائكة، وأنهم عبيد مربوبون مدبرون، ليس لهم من الأمر شيء، وإنما هم مكرمون عند الله، والإيمان بصفاتهم، ومنها حسن صورهم التي وردت في القصة، وقدراتهم التي أقدرهم الله عليها.

١٥- تفضيل الأنبياء على الملائكة، وتفضيل الخواص من الملائكة على الأولياء عدا الأنبياء، أما غير الخواص من الملائكة فالمسألة على قولين:

الأول: تفضيل جميع الملائكة على أولياء البشر.

الثاني: تفضيل أولياء البشر على أولياء الملائكة.

١٦- أن النبي ﷺ أفضل الخلق بلا خلاف، لا يفضل عليه ملك مقرب ولا غيره.

١٧- أن خلاصة ما ذهب إليه السلف في مسألة المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر:

هو تفضيل صالحي البشر على الملائكة.

١٨- منة الله على نبيه ﷺ بنزول القرآن بهذه القصة المباركة، عظيمة الفوائد والعبر.

١٩- وجوب الإيمان بالأنبياء عليهم السلام جميعا وإثبات صفات الكمال البشري لهم.

٢٠- إثبات العصمة للأنبياء عليهم السلام ويتضمن ذلك:

أ- عصمتهم من الكفر، وفي كل ما يتعلق بالتبليغ بدليل الشرع والعقل والإجماع.

ب- وعصمتهم من الكبائر وصغائر الخسة.

٢١-وجوب الإيمان باليوم الآخر والتصديق الجازم بجميع ما أخبر الله به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، من عذاب القبر ونعيمه، وسؤال الملكين، والبعث والنشور، والصراط، والميزان، والشفاعة، والجنة، والنار.

٢٢- اعتقاد كفر من لم يؤمن باليوم الآخر، وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود، فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب و لم يدركوه.

٢٣- وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وإثبات مراتبه الأربع: (العلم، الكتابة، المشيئة، خلق أفعال العباد)، وما ورد في القصة من مراتب القدر هو:

١- العلم: وهذه المرتبة متعلقة بعلم الله السابق بما هم عاملوه قبل إيجادهم، ولا يغيب عن علمه شيء، فهو سبحانه قد علم الأشياء وعلم الأسباب التي تحصل بها.

٢- المشيئة: وتتضمن الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل حركات الكون وسكونه بيده سبحانه، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد.

٢٤- أن الهداية والضلال بيد الله سبحانه، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، بخلاف قول القدرية: إذ زعمت أنه ليس هناك تقدير للهداية والإضلال أزلا، والجبرية: والتي قالت: إن العبد مجبور لا يستطيع الحركة نحو الخير والشر باختياره وإرادته.

٢٥- وجوب الإيمان بالحكم الإلهي: الكوني، الشرعي.

٢٦- وجوب الصبر على المصائب والرضا بالقضاء والقدر والشكر، وما جرى فيها من أحداث متلاحقة، من إبعاد يوسف عن أبيه، وحرمانه منه، والفتنة التي تعرض لها يوسف من امرأة العزيز. ومكوثه في السجن نظير ترفعه عن تلبية طلب امرأة العزيز، وكلها مصائب ومحن قصها الله في كتابه للاستئناس بها ضد ما يعتري العبد من متاعب

وهموم متنوعة الأشكال، في النفس، والمال، والعرض، والأهل.

٢٧- أن الحزن الوارد من العبد على فقد محبوب أيا كان، لا يؤثر على الإيمان وليس دليلا على الجزع.

٢٨- إثبات زيادة الإيمان ونقصانه: وأن عامة أهل السنة يرون أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وأن إيمان العباد لا يتساوى بل يتفاضل.

٢٩- الإيمان بمذهب أئمة المسلمين أهل المذاهب الأربعة، وغيرهم، مع جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان والمتفقون على أن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب كما تقوله الخوارج؛ ولا يسلب جميع الإيمان كما تقوله المعتزلة.

٣٠- أن ما ورد في القصة مما يضاد الإيمان وهو الكفر، له أقسام هي:

أولا: الكفر الأكبر، المخرج عن الملة: وهو على أربعة أنواع: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق، من لقي ربه بشيء من ذلك لم يغفر له، وحبط عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين.

ثانيا: الكفر الأصغر، الذي لا يخرج من الملة. وهو الكفر العملي، المتعلق بالذنوب، التي وردت تسميتها كفرا في الكتاب، والسنة، ولا تصل لحد الكفر الأكبر.

٣١- أن أسماء الدين الواردة في القصة هي: الملة، الإسلام.

٣٢- إثبات مراتب الدين الثلاثة: (الإسلام، والإيمان، والإحسان)، وعلاقتها ببعضها، حال الاجتماع، والافتراق، وأن الإحسان هو أعلاها، يليه الإيمان فالإسلام.

٣٣- أن للتأويل معان متعددة، والمعنى المراد من التأويل في قصة يوسف عليه السلام هو: ما يؤول إليه الأمر في تعبير الرؤيا، وتأويل أحاديث الكتب المنزلة، وغير ذلك من العلم، والكلام.

٣٤- تحريم السجود لغير الله، وأن السجود الوارد في قوله: (وخروا له سجدا...)، [يوسف: ١٠٠]، كان تحية الناس يومئذ، ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الأرض، وإنما هو الانحناء والتواضع.

٣٥- أن تقوى الله سبب للتمكين في الأرض.

٣٦- امتحان الله للعبد بإغواء الشيطان، وأنه حريص على تزيين الشر للعبد بكل ما

أوتي، وما في القصة من تزيينه لإخوة يوسف جرائمهم لهو أكبر دليل على ذلك.

٣٧- وجوب الإيمان بأن العين حق، والمؤمن مأمور بالتحرز منها، وتحصين نفسه بالأدعية والأذكار، مع التوكل على الله واعتقاد أن النفع والضر منه سبحانه.

٣٨- أن الحسد من قبل إخوة يوسف عليه السلام بداية لكل ما حصل له من ابتلاءات.

٣٩- اختصاص الله يوسف عليه السلام بتأويل الرؤى، وكان تأويله لرؤى الفتيين في السجن سببا لوصول خبره للملك، وتعبيره رؤيا الملك التي عجز عنها مقربوه، وهذا من لطف الله بيوسف وتدبيره له، فسبحان الله العظيم.

٤٠- أن علم التعبير من العلوم الشرعية، والتي يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، وأنه داخل في الفتوى، فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم.

ثانيا: التوصيات:

أوصي نفسي وكل طالب علم بتقوى الله، وحسن الظن به سبحانه فلن يخيب من رجاه فله الفضل والنعمة وله الحمد حمدا لا انتهاء له، وأن العلم نور وفضل يؤتيه الله من اتقاه، والتوفيق بيده سبحانه، وليس للنفس من ذلك حظ، وليحذر كل ساع وراء هذه الدرجات العلمية من الرياء، والعجب، والكبر.

وأقترح لمن أراد الاستفادة من قصة يوسف عليه السلام بدراسة عقدية أخرى، أن يدرس القصة بالمقارنة بين ما ورد في ذكرها في القرآن، وعند أهل الكتاب في التوراة والإنجيل.

وقد اقترح قسم العقيدة في الجامعة هذا الاقتراح علي عند تسليم الخطة، وطلبوا إضافته لها، وبعد القيام بذلك أعفيت منه خشية منهم الإطالة في الموضوع.

والحمد لله على التوفيق	لمنهج الحق على التحقيق
مسلما لمقتضى الحديث	والنص في القديم والحديث
لا أعتني بغير قول السلف	موافقا أئمتي وسلفي
ولست في قولي بذا مقلدا	إلا النبي المصطفى مبدي الهدى
صلى عليه الله ما قطر نزل	وما تعانى ذكره من الأزل
وما انجلى بهديه الديجور	وراقت الأوقات والدهور
وآله وصحبه أهل الوفا	معادن التقوى وينبوع الصفا
وتابع وتابع للتابع	خير الورى حقا بنص الشارع[1]

(١) العقيدة السفارينية: (١/ ٩٩)، للسفاريني، تحقيق: أشرف عبد المقصود.

الفهارس الفنية للرسالة

وتشتمل على الفهارس الآتية:

١- فهرس الآيات الكريمة.

٢- فهرس الأحاديث الشريفة والآثار.

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤- فهرس المصطلحات.

٥- فهرس الفرق والطوائف.

٦- فهرس المصادر والمراجع.

٧- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

السورة	الآيــــــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٥)﴾	٢٥	٢٢٤
البقرة	﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣١) قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (٣٢)﴾	٣١ـــ٣٢	١٤٧
البقرة	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٣٤)﴾	٣٤	٣٧٣
البقرة	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)﴾	٦٢	٢٢٨، ٣٣٦
البقرة	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ (٨٣)﴾	٨٣	١٨٧
البقرة	﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾	٨٩	٣٢٤

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾	١٠٥	١٦٣، ٢٥٢
البقرة	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾	١٠٩	٣٨٨
البقرة	﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾	١٢٠	٣١١، ٣٣٢
البقرة	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾	١٢٦	٢٣١
البقرة	﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾	١٢٧	٢٠٤
البقرة	﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾	١٣٠	٣٣٤
البقرة	﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾	١٣٣	٢٠٩

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾	٢٦٤	٢٣١
البقرة	﴿مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾	٢٨٢	١٦٨، ١٨٩
البقرة	﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾	٢٨٤	٢٤١
البقرة	﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ...﴾	٢٨٥	١٣٨
البقرة	﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾	٢٨٦	١٢٥، ٣١٧
آل عمران	﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦﴾	٦	٢٤١
آل عمران	﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾	٧	٣٤٥، ٣٤٨
آل عمران	﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩﴾	٩	٢٢٩
آل عمران	﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾	١٩	٣٣٤

السورة	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
آل عمران	﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾	٣٢	٢٦٢
آل عمران	﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾	٣٣	١٤٨
آل عمران	﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾	٥٠	٣٣٧
آل عمران	﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾	٥٣	١٣٣
آل عمران	﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾	٦٥	٢٠٥
آل عمران	﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾	٦٧ــ٦٨	٢٠٤
آل عمران	﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾	٧٢	٣٨٨
آل عمران	﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾	٧٩ــ٨٠	٨٣، ٩٧

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
آل عمران	﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾	٨١	٢١٧
آل عمران	﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾	٨٤ــ٨٥	٣٣٤، ٣٣٦
آل عمران	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾	١٠٢	٤
آل عمران	﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾	١٢٤	١٤٠
آل عمران	﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾	١٢٩	١٢٤

السورة	الآيــــــة	رقمها	الصفحة
آل عمران	﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾	١٣٥_١٣٦	١٢٤، ٣٠٩، ٣١٧
آل عمران	﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾	١٧٥	٣٧٧
النساء	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾	١	٤، ٢٩٩
النساء	﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ...﴾	١١	١٨٠
النساء	﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾	٢٧	٣١٦
النساء	﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾	٣١	٢٨٨
النساء	﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾	٣٦	٢٩٩
النساء	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾	٤٨	٩٢، ٢٩٥، ٣١٧

السورة	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
النساء	﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾	٥٤	٣٨٨
النساء	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾	٥٦	٢٢٤
النساء	﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾	٨٣	١٤٨
النساء	﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾	٩٣	٢٩٥
النساء	﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾	١٠٨	٢٦١
النساء	﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾	١٢٤	٣٢٧
النساء	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾	١٢٥	٢٠٥
النساء	﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾	١٣٦	٣٢٦، ٢٣٢
النساء	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾	١٤٠	٣٢٦

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
المائدة	﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾	٣٢	٢٩٤
المائدة	﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ...﴾	٤٨	٣٣٣
المائدة	﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾	٧٢	٩٢، ٣٢٧
المائدة	﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾	٨٩	٨٥
المائدة	﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٣﴾	٩٣	٣٤٠
المائدة	﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾	١٠٣	٣٠٢
المائدة	﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ...﴾	١١١	١٥٩
المائدة	﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾	١١٩	١٩٢
الأنعام	﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾	١٨	٣٤٩

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
الأنعام	﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾	١٩	١٥٨
الأنعام	﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾	٢٩ـــ٣٠	٢٣٢
الأنعام	﴿ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾	٣٩	٢٥١
الأنعام	﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾	٥٩	٢٣٩
الأنعام	﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾	٧٦	٢٠٣
الأنعام	﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾	٧٩	١٢٩، ١٢٩، ٢٠٤
الأنعام	﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ... وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾	٨٤ـــ٨٧	١٦٣، ٢١٤
الأنعام	﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾	٨٨	٩٢، ٢٥١، ٣٢٧
الأنعام	﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾	٩٠	١٨٠

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
الأعراف	﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾	١٣	٣٧٣
الأعراف	﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾	١٦ـــ١٧	٣٧٣، ٣٧٦
الأعراف	﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾	٢٠	١٥٣، ٣٧٤
الأعراف	﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٣	١٧٤، ٣٠٩
الأعراف	﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ... ﴾	٢٤	٣٧٤
الأعراف	﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾	٢٨	٢٤٤
الأعراف	﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾	٥٣	٣٤٧
الأعراف	﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾	٥٦	١٨٨
الأعراف	﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾	٦٢	١١٩
الأعراف	﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾	٦٨	١٩٧
الأعراف	﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾	١٢٦	٥٤

السورة	الآيــــــــة	رقمها	الصفحة
الأعراف	﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾	١٤٥	١٩٥
الأعراف	﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾	١٥١	٣١٧
الأعراف	﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ...﴾	١٥٥ــ١٥٦	١٧٤، ١٢٦
الأعراف	﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾	١٥٧	٣٣٧
الأعراف	﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾	١٥٩ــ١٦٠	٢١٤
الأعراف	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾	١٧٢	٣٣٣
الأعراف	﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾	١٧٩	١٤٨

السورة	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
التوبة	﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْـرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾	١٠٠	٣٦٥
التوبة	﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾	١٠٩	٢٧٢
التوبة	﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾	١١٤	٢٠٣، ٣١٧
التوبة	﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾	١٢٤ـــ١٢٥	٢٨١
يونس	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾	٩	٢٠
يونس	﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾	١٠	٥١

السورة	الآيــــــــة	رقمها	الصفحة
يوسف	﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾	٤	٢١١، ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٩، ٣٩٣
يوسف	﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾	٥	٣٧٤، ٣٨٤
يوسف	﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾	٦	١٠٠، ١٦٤، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٣، ٢٤٣، ٣٤٩
يوسف	﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾	٨	٢٤، ١٦٨، ٢٤٨، ٢٩٣، ٣١٠، ٣١٨، ٣٨٤
يوسف	﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾	١٥	٢١١، ٣١٠

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
يوسف	وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨	١٧ــ١٨	٣٤، ٥٩، ١٠٢، ١٣١، ١٧٠، ٢٦٣، ٢٧٣، ٢٦٣، ٣٠٤
يوسف	﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾	٢١ــ٢٢	١٠٣، ١٢٢، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٥، ٢١٢، ٣٥٠
يوسف	﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾	٢٣	٦٧، ١٦٦
يوسف	﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾	٢٤	١٧٥، ١٧٥

السورة	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
يوسف	﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾	٢٧—٢٨	١٩٣
يوسف	﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ٢٩﴾	٢٩	٣١٩
يوسف	﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾	٣١	١٣٧
يوسف	﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾	٣١	١٨٤
يوسف	﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾	٣٢	٣١٠
يوسف	﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤﴾	٣٣—٣٤	٥١، ٦٣، ٩٧، ١٠٤، ١٢٢، ١٧٦، ٢٨٠، ٣١٠،
يوسف	﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾	٣٥	٣١٠

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
يوسف	﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأَخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾	٣٦—٣٧	١٨٧، ٢٢٨، ٢٣١، ٣٢٧، ٣٣٨، ٣٥٠
يوسف	﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾	٣٨	٨٩، ٣٣٨
يوسف	﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾	٣٩	٤٢، ٤٦، ١٠٥، ١٢٤
يوسف	﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾	٤٠	٤٦، ٩١، ١٢١، ٢٥٧، ٣٣٧
يوسف	﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ...﴾	٤٢	٥٩

السورة	الآيــــــــة	رقمها	الصفحة
يوسف	﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾	٤٣ــ٤٤	٣٩٣، ٣٥٠
يوسف	﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ٤٥﴾	٤٥	٣٥٠
يوسف	﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ﴾	٤٦	١٩٤
يوسف	﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧﴾	٤٧	٧٧
يوسف	﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾	٥٠	٩٨، ٢٤٣
يوسف	﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢﴾	٥١ــ٥٢	١٩٤، ٣١٩، ٢٤٨
يوسف	﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾	٥٣	١٠٧
يوسف	﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾	٥٥	٩٩

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
يوسف	﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾	٥٤ـ٥٧	١٨٨، ١٩٧، ٢٤٣، ٢٧٣، ٣٦٢، ٣٦٢، ٣٦٣
يوسف	﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾	٥٩	٢٠٠
يوسف	﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى﴾	٦٠	٢٠٠
يوسف	﴿وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾	٦٢	٢٠٠
يوسف	﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾	٦٤	١٠٩
يوسف	﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾	٦٥	٢٠١
يوسف	﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾	٦٦	١١٠

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
يوسف	﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨﴾	٦٧ـــ٦٨	٧٧، ١٢١، ٢٥٧، ٣٨٤، ١٩٠
يوسف	﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ٧٠﴾	٧٠	٣٠٤
يوسف	﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣﴾	٧٣	٨١
يوسف	﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾	٧٦	٢٤٣، ٣٠١، ٣٣٢، ٣٣٨
يوسف	﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾	٧٧	١١٩، ١٦٩، ٢٤٣، ١٨٨
يوسف	﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨﴾	٧٨	٣٠١
يوسف	﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩﴾	٧٩	٦٨

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
يوسف	﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾	٨٠	١٢٠، ٢٥٧، ٣٠١
يوسف	﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾﴾	٨١	١١٩، ٢٤٣
يوسف	﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا﴾	٨٣	٩٩، ٢٩٧
يوسف	﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾	٨٤ــ٨٥	٨١، ٢٦٥، ٢٩٧
يوسف	﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾	٨٦	٥٢، ٦٤، ١٩٠، ٢٠٩، ٢٤٣، ٢٩٧
يوسف	﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾	٨٧	٧٢، ٣١٣، ٣٢٧
يوسف	﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾	٨٨	١٧٨، ١٧٩

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
يوسف	﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾	٩١ــ٩٢	٥٢، ٨٢، ١٦٥، ١٨٢، ٣٢٠
يوسف	﴿قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ۝٩٥﴾	٩٥	٨٢، ١٦٨، ٢٤٨
يوسف	﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٩٦﴾	٩٦	٢٠٩
يوسف	﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝٩٧ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩٨﴾	٩٧ــ٩٨	٣٢١، ١٨٢
يوسف	﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝٩٩ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا... إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٠٠﴾	١٠٠	١١١، ١٣١، ١٣١، ٢٤٣، ٢٤٣، ٢٩٨، ٣٤٥، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٩، ٣٧٥، ٣٩٥

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
الرعد	﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ٣٩﴾	٣٩	٣٠١
إبراهيم	﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ٤١﴾	٤١	١٧٤، ٣١٧
إبراهيم	﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ٤٨﴾	٤٨	١٠٦
الحجر	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾	٩	١٢٦
الحجر	﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ٧٢﴾	٧٢	٨٢
الحجر	﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨﴾	٩٨	٣٥٥
النحل	﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ٦٨﴾	٦٨	١٥٩
النحل	﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾	٩٠	١٨٨
النحل	﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٩٧﴾	٩٧	٢٧٤
النحل	﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ١٠٠﴾	١٠٠	٢٥٣

السورة	الآيــــــــة	رقمها	الصفحة
النحل	﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾	١٢٣	٣٣٥، ٢٩٦
الإسراء	﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾	٢٦	٢٩٩
الإسراء	﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ . . . ﴾	٣٣	٢٩٤
الإسراء	﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾	٤٤	١٤٦، ٣٥٤
الإسراء	﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ﴾	٥٢	٥١
الإسراء	﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾	٥٣	٣٧٤
الإسراء	﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾	٦٧	٤٠
الإسراء	﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾	٧٠	١٥٠
الإسراء	﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٨٢	٣٨٧
الإسراء	﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾	٨٨	٢١٨
الإسراء	﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ . . . ﴾	١١١	١٣٠

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
الكهف	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾	٣٠	٣٤٠
الكهف	﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤﴾	٦٤	٢٣
الكهف	﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩﴾	٩٩	٢٢٣
الكهف	﴿ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾	١٠٤	١٦٨
مريم	﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي﴾	٥ـ٦	١٨٠
مريم	﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١﴾	١١	١٥٩
مريم	﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾	١٢	١٩٥
مريم	﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾	١٧	١٣٩
مريم	﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾	٢٣	٥٤
مريم	﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢﴾	٤١ـ٤٢	١٩٤، ٢٠٣
مريم	﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤﴾	٥٤	١٩٤
مريم	﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦﴾	٥٦	١٩٤
طه	﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾	٣٦	١٧
طه	﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾	٤٦	١٢٢
طه	﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾	٥٠	٢٤٩
طه	﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾	٨٢	٢٠

السورة	الآيــــــــة	رقمها	الصفحة
طه	﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢﴾	١٢١ــ١٢٢	١٧٣
الأنبياء	﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝٢٠﴾	١٩ــ٢٠	١٤٠، ١٤٢
الأنبياء	﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝٢٠﴾	٢٠	١٥٠
الأنبياء	﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ۝٢٧﴾	٢٦ــ٢٧	١٣٦، ١٤٢، ١٤٨
الأنبياء	﴿۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١﴾	٥١	٢٠٣
الأنبياء	﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣﴾	٦٣	٣٠٤
الأنبياء	﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾	٨٣	٢٦٠
الأنبياء	﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧﴾	٨٧	٣١٧
الأنبياء	﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١١٢﴾	١١٢	٣٨، ٢٥٦

السورة	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
الحج	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ (١٧)﴾	١٧	٣٢٦
الحج	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ (٥٢) لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ (٥٤)﴾	٥٢ـ٥٤	١٧٢
الحج	﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ (٧٠)﴾	٧٠	٢٣٨، ٢٣٩
الحج	﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٧٨	٣٣٤
المؤمنون	﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ (٥٢)﴾	٥٢	٣٣٥
المؤمنون	﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ...﴾	٩١	١١٨

السورة	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
المؤمنون	﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾	٩٧ــ٩٨	٣٨٠
النور	﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾	٢٢	١٨١
النور	﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾	٦٣	٥١
الفرقان	﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	٣٢٧
الفرقان	﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾	٦٨ــ٧١	١٧٤، ٣١٥
الشعراء	﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾	٨٢	١٧٤
الشعراء	﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾	١٠٦ــ١٠٧	١٩٧
الشعراء	﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾	١٩٣ــ١٩٤	١٤٠
النمل	﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾	١٦	١٨٠

السورة	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
النمل	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾	١٨	٣٥٩
النمل	﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾	٢٤ـ٢٦	٣٥٥
النمل	﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾	٤٤	٣٣٤
القصص	﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾﴾	٧	١٥٨
القصص	﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ...﴾	١٤	٢١٥
القصص	﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ...﴾	١٥	٦٥
القصص	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾	١٦	٣٠٩
القصص	﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾	٥٦	٦٦، ٢٤٧
القصص	﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾	٧٧	١٨٨
القصص	﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾	٨٨	١٤١
العنكبوت	﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗا﴾	٨	٢٩٦

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
العنكبوت	﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾	٢٥	٢٠٣
العنكبوت	﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾	٦٥	١٥٠
الروم	﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾	٣٠	٤١، ١٢٩
الروم	﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ ﴾	٥٠	١٢٥
لقمان	وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾	١٣	٩٢، ٣٠٦
لقمان	﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾	١٤	٢٩٦
لقمان	﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ ﴾	١٦	١٢٨
لقمان	﴿ ۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾	٢٢	٣٣٤، ٣٤٠

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
لقمان	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾	٣٤	١٢٠، ٢٣٨
الأحزاب	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ ﴾	٣	١٢٨
الأحزاب	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾	٧	٢٠٥
الأحزاب	﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾	٢١	١٨٩، ٢٢٩
الأحزاب	﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾	٢٣ــ٢٤	١٩٢
الأحزاب	﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾	٦٣	٢٢٥
الأحزاب	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾	٧٠ــ٧١	٤

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
فاطر	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾	٣٦	٢٩١
يس	﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾	٧٨ـــ٨٠	٢٣٣
الصافات	﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾	٨٩	٣٠٤
الصافات	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾	٩٦	٢٤٢
الصافات	﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾	١٠٢	٢٠٧، ٣٩٥
الصافات	﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾	١٠٧	٢٠٧
الصافات	﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾	١١٢ـــ١١٣	٢٠٧
ص	﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا . . . ﴾	٥	٤٥، ٩١
ص	﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ ﴾	٢٤ـــ٢٥	١٧٤
ص	﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾	٣٥	١٧٤

الصفحة	رقمها	الآيـــــــة	السورة
٢٦١، ٣٠٧	٣٩ـــ٤٣	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) ﴾	الشورى
١٦٠	٥١	﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١) ﴾	الشورى
٢٤٩	٥٢	﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) ﴾	الشورى
١٤١	١٩	﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) ﴾	الزخرف
١٦٣	٣١ـــ٣٢	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾	الزخرف
٣٣٧، ٣٥٨	٤٥	﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥) ﴾	الزخرف
١٤٠	٧٧	﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) ﴾	الزخرف
٢٤٠	٤	﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) ﴾	الدخان

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
الدخان	﴿ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾	١٧ـــ١٨	١٩٧
الدخان	﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾	٣٨	١١٨
الجاثية	﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾	١٨ـــ١٩	٣١١
محمد	﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾	٤ـــ٦	٢٥٠
محمد	﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾	٢٢ـــ٢٣	٢٩٩
الفتح	﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾	١٨	٣٦٥
ق	﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾	١٨	١٤٠
الذاريات	﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾	٢٥	١٣٩
الذاريات	﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾	٢٦ـــ٢٧	١٤١

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
الذاريات	﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦)﴾	٣٥ـــ٣٦	٣٤٠
النجم	﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣)﴾	١ـــ٣	٣٢٢
النجم	﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦)﴾	٦	١٣٧
النجم	﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾	٣٢	٢٨٨
القمر	﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧)﴾	٤٧	١٦٨
الرحمن	﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩)﴾	٢٩	٢٤٠
الواقعة	﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١)﴾	٧ـــ١١	٣٢١
الحديد	﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾	١٣	٣٢٦
الحديد	﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)﴾	١٥	٣٢٦
الحديد	﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣)﴾	٢٢ـــ٢٣	٢٦٩
الحديد	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾	٢٦	٢٠٤

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
المجادلة	﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا . . .﴾	١	١٢٣
المجادلة	﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا . . .﴾	١٠	٣٩٩
المجادلة	﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١)﴾	٢١	١٢٢
الحشر	﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢)﴾	٢	١٤٨
الحشر	﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾	٩	٣٦٥، ٣٩٠
الحشر	﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)﴾	١٠	٣٦٥
الممتحنة	﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠)﴾	١٠	٢٥٦
الصف	﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥)﴾	٥	٢٥٢
الصف	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧)﴾	٧	٣٠٢
الطلاق	﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ . . .﴾	٣	٧٦، ١٢٧

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
الفلق	﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾	٥	٣٨٥، ٣٨٩
الناس	﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾	١	٧٠

فهرس الأحاديث الشريفة والآثار

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
١٩٧	المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف	٦٠، ١٩٥
١٩٨	ما أحد أكرم على الله من كريم بني آدم	١٥٣
١٩٩	ما أحد أكرم على الله من ملائكته هم خدمة داريه	١٥٣
٢٠٠	ما آدمي إلا معه ملك يقيه ما لم يقدر عليه	٢٤٤
٢٠١	ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف عليه السلام	٥٣
٢٠٢	ما زلت أسمع من أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة	٢٤٢
٢٠٣	ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر	١١٣
٢٠٤	ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة	٣٦٩
٢٠٥	ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله، إنا لله وإنا إليه راجعون	٢٦٩
٢٠٦	ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة	٢٣٩
٢٠٧	ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا	١٨١
٢٠٨	ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم	١٧٦
٢٠٩	المراد بالناس العرب، حسدهم اليهود على النبوة	٣٨٨
٢١٠	من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا	١٤١
٢١١	من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه	٣١٦
٢١٢	من ترك صلاة العصر، فقد حبط عمله	٢٩١
٢١٣	من تشبه بقوم فهو منهم	٣١٢
٢١٤	من حب يوسف لا تنساه ولا تسلاه	١٦٩
٢١٥	من حدثك أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد كذب وهو يقول: لا تدركه الأبصار	١٢٠
٢١٦	من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله	٨٤
٢١٧	من رآني في المنام فسيراني في اليقظة	٣٩٨

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
٢٣٦	والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها	٣٦٨
٢٣٧	وقد كان يوسف عليه السلام في حضانة عمته ابنة إسحاق	٢٤، ١٦٩
٢٣٨	ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد	١٦٠
٢٣٩	و لم يقل من فوقهم لأنه علم أن الله من فوقهم))	٣٧٦
٢٤٠	ويضرب جسر جهنم، قال رسول الله ﷺ: فأكون أول من يجيز	٢٢٤
٢٤١	يا بني كلهم في الجنة، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة	٢٩١
٢٤٢	يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث	٦٤
٢٤٣	يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار	٢٨٣
٢٤٤	يحفظونه من أمر الله	١٤٠
٢٤٥	يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار	٢٢٤
٢٤٦	يدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته	٢٤١
٢٤٧	يستجاب لأحدكم ما لم يعجل	٥٦
٢٤٨	ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر	٦٤
٢٤٩	يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم	٢١٥

فهرس الأعلام

فهرس المصطلحات

فهرس الفرق والطوائف

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: المصادر والمراجع.

١- **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة:** لعبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: عثمان عبد الله الأثيوبي، رضا نعسان معطي، يوسف عبد الله الوابل، حمد عبد الله التويجري، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ونسخة من تحقيق: عثمان عبد الله الأثيوبي، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

٢- **الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي:** لجمال أحمد بشير بادي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٣- **الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة:** لحياة محمد جبريل، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، رقم الإصدار (٤٥)، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٤- **الأحكام السلطانية والولايات الدينية:** لعلي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٥- **إحياء علوم الدين:** لمحمد بن محمد الغزالي، دار االمعرفة، بيروت.

٦- **الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد:** لسعود العريفي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٧- **أساس البلاغة:** لمحمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٨- **أسباب النـــزول:** لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي: (ت: ٤٦٨هـ)، الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٩- **الإصابة في تمييز الصحابة:** لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٠- **أصول السنة:** لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، دار المنار، الخرج، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١١- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر، بيروت/ لبنان، الطبعة: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٢- **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة:** لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تخريج وتعليق: فريح بن صالح البهلال، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

١٣- **إعلام الموقعين عن رب العالمين:** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣هـ.

١٤- **الأعلام:** لخير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.

١٥- **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان:** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ابن القيم الجوزية)، تحقيق: محمد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

١٦- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم:** لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: أ. د. ناصر بن

عبد الكريم العقل، دار الفضيلة، سلسلة الرسائل الجامعية: (٢٤)، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٧- **الإمامة والرد على الرافضة:** لأبي نعيم الأصبهاني، (٣٣٦-٤٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١٨- **الأموال:** لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٩- **الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف:** للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: عبد الرزاق البدر، دار ابن عفان، الخبر/ السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٠- **الإيمان الكبير:** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢١- **الإيمان بالملائكة وبيان صفاتهم:** جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، بهانج دار المعمور، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٢٢- **الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة:** د. عبد الله عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، رقم الإصدار: (٣٠)، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.

٢٣- **بدائع الفوائد:** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، (ابن القيم الجوزية)، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، عادل العدوي، أشرف أحمد الج، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٤- **البداية والنهاية:** لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، طبعة جديدة محققة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢٥- **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية**: لأحمد ابن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى، الثانية، ١٣٩١هـ، ١٤٢١هـ.

٢٦- **تاج العروس من جواهر القاموس**: لمحمد بن محمد الحسيني الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٢٧- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**: لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨- **تذكرة الحفاظ**: لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٩- **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**: لمحمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي، تحقيق: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٣٠- **ترتيب مختار الصحاح**: لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: شهاب الدين أبي عمر، ترتيب محمود خاطر، دار الفكر، بيروت/ لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٣١- **التعريفات**: لعلي بن محمد الجرجاني تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ.

٣٢- **تفسير أسماء الله الحسنى**: لعبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبيد العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد: (١١٢)، ١٤٢١هـ.

٣٣- **تفسير القرآن العظيم**: لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، (٧٠٠-٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ، ونسخة من تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ونسخة من تقديم: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت/ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣٤- **تقريب وترتيب شرح العقيدة الطحاوية**: لابن أبي العز الحنفي، رتبه وعلق عليه: خالد فوزي عبد الحميد، دار المجد، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣٥- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**: ليوسف بن عبد الله النمري القرطبي، (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى البكري، مؤسسة القرطبة.

٣٦- **تهذيب اللغة**: لمحمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٣٧- **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم**: لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

٣٨- **التوضيحات الأثرية لمتن الرسالة التدمرية**: لفخر الدين بن الزبير المحسي، تقديم: أ. د. محمد عبد الرحمن الخميس، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣٩- **التوقيف على مهمات التعاريف**: لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٤٠- **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**: لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، (ت: ١٢٣٣هـ)، بدون بيانات النشر، ونسخة من تحقيق: محمد أيمن الشبراوي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٤١- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)**: لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ونسخة من تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت،

١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ونسخة المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، طبعة جديدة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٤٢- **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)**: لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٤٣- **جامع الرسائل لابن تيمية**: لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٤٤- **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**: لمحمد بن عيسى الترمذي السلمي، حققه: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٥- **الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري)**: لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ونسخة دار الشعب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٤٦- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**: لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي البغدادي، من علماء القرن الثامن الهجري، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٤٧- **جامع المسائل**: لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٨- **الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (فتح القدير)**: لمحمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ونسخة دار الكتاب العربي، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٤٩- **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**: لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٥٠- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**: لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. علي حسن ناصر، د. عبد العزيز إبراهيم العسكر، د. حمدان محمد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٥١- **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**: لأبي الوفاء القرشي (ت: ٧٧٥هـ)، دون ذكر المحقق، المجلد الأول، الناشر: مير محمد كتب خانه كراتشي.

٥٢- **الحبائك في أخبار الملائك**: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد سعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٥٣- **حراسة العقيدة**: لناصر بن عبد الكريم العقل، قدم له: د. صالح بن فوزان الفوزان، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٥٤- **حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين**: لعبد الرحيم السلمي، دار المعلمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٥٥- **خطب التوحيد المنبرية**: شاملة لجميع أبواب كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، إعداد: عبد الملك القاسم، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٥٦- **خلق أفعال العباد**: لمحمد بن إسماعيل البخاري، (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية، الرياض.

٥٧- **الداء والدواء**: لابن قيم الجوزية، (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٥٨- **درء تعارض العقل والنقل**: لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١هـ.

٥٩- **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**: لعلماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا، تحقيق: محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٦٠- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: لأحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد/ الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

٦١- **دروس في شرح نواقض الإسلام**: لمحمد بن الوهاب، إلقاء: صالح الفوزان، إشراف: محمد الحصين، الطبعة الخامسة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٦٢- **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**: للبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، دون ذكر المحقق، دار صادر، بيروت.

٦٣- **ذم التأويل**: لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٦٤- **الرد على المنطقيين**: لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار المعرفة، بيروت.

٦٥- **روح المعاني**: لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية،: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٦٦- **السنة**: لأحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، (٣١١هـ)، تحقيق: عطية عتيق الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

٦٧- **سنن ابن ماجه:** لمحمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ونسخة كتب حواشيها، محمود خليل، مكتبة أبي المعاطي.

٦٨- **سنن أبي داود:** لسليمان بن الأشعث السجستاني، (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ونسخة دار الكتاب العربي، بيروت.

٦٩- **سنن الدارمي:** لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٧٠- **سنن النسائي الكبرى:** لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري، سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٧١- **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية:** لابن تيمية الحراني، دار المعرفة.

٧٢- **سير أعلام النبلاء:** لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، ونسخة من تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، دار الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ، ونسخة من تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٧٣- **السيرة النبوية:** لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٧٤- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب:** لعبد الحي العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، شعيب الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ.

٧٥- **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:** لعبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت: ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة العشرون، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٧٦- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة:** لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

٧٧- **شرح السنة:** للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٧٨- **شرح العقيدة الواسطية:** لمحمد بن صالح العثيمين، إعداد: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا، الرياض، الثانية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٧٩- **شرح ثلاثة الأصول:** لمحمد صالح العثيمين، إعداد فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٨٠- **شرح سنن ابن ماجه:** للسيوطي، عبد الغني، فخر الحسن الدهلوي، قديمي كتب خانة، كراتشي.

٨١- **شعب الإيمان:** لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ونسخة من تحقيق: عبد العلي عبد الحميد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٨٢- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان:** لمحمد بن حبان التميمي البستي، ترتيب: علي بن بلبان، علاء الدين الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٨٣- **صحيح ابن ماجه:** لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٨٤- **صحيح الجامع الصغير وزيادته: (الفتح الكبير)**: لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٨٥- **صحيح سنن أبي داود:** لمحمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٨٦- **صحيح مسلم:**نسخة دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ونسخة من تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٧- **صفات الله الواردة في الكتاب والسنة:** لعلوي عبد القادر السقاف، الدرر السنية، الظهران، دار الهجرة، الثقبة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٨٨- **صفة الصفوة:** لعبد الرحمن بن علي محمد أبي الفرج، تحقيق: محمود فاخوري، د. محمد قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٨٩- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، مع تكملته من مختصر الصواعق المرسلة:** لابن قيم الجوزية، ضبط وتخريج: محمد رياض الأحمد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ونسخة من تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٩٠- **صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان:** لمحمد بشير السهسواني الهندي، قدم له: محمد رشيد رضا، محمد أحمد المقدم، اعتنى به: نبيل صلاح سليم، دار التوحيد للتراث، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٩١- **طبقات الشافعية الكبرى:** لتاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٩٢- **طريق الهجرتين وباب السعادتين:** لابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم بن صادق عمران، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٩٣- **العاقبة في ذكر الموت:** لعبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي، تحقيق: خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٩٤- **العبودية:** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد الشاويش، اعتنى به: محمد المنصور، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٩٥- **عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقصها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك:** د. صالح بن فوزان الفوزان، وقف لله تعالى، مطابع الحميضي، الرياض.

٩٦- **العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية):** لمحمد بن أحمد بن سالم السفاريني، تحقيق: أشرف عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٩٧- **العلو للعلي الغفار:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٩٨- **عون المعبود شرح سنن أبي داود:** لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

٩٩- **غاية النهاية في طبقات القراء:** لمحمد بن محمد بن يوسف بن الجزري، تحقيق: ج. براجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٠٠- **الفتاوى الكبرى:** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان.

١٠١- **فتاوى مهمة لعموم الأمة:** لعبد العزيز بن باز، محمد صالح العثيمين، تحقيق: إبراهيم الفارس، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٠٢- **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ونسخة عام ١٣٧٩هـ.

١٠٣- **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**: لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ونسخة من تعليق: عبد العزيز بن باز، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١٠٤- **فتح رب البرية في تقريب مقدمة شرح العقيدة الطحاوية**: لهالة يحيى صادق، راجعه وقدم له الشيخ: سليمان محمد اللهيميد، رفحاء/ المملكة العربية السعودية.

١٠٥- **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**: لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

١٠٦- **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**: لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن عبد الكريم اليحيى، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٠٧- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**: لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٠٨- **فقه الأسماء الحسنى**: لعبد الرزاق البدر، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٠٩- **الفوائد المستنبطة من قصة يوسف عليه السلام**: لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: أشرف عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١١٠- **الفوائد**: لابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١١١- **الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**: لأحمد بن غنيم النفراوي، تحقيق: رضا فرحات، مكتبة الثقافة الدينية.

١١٢- **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة:** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.

١١٣- **قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين:** حاشية: عبد الرحمن بن حسن، (١١٩٦هـ-١٢٨٥هـ)، على كتاب التوحيد، محمد بن عبد الوهاب، تصحيح وتعليق: إسماعيل الأنصاري، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، دار اليوسف، بيروت- لبنان.

١١٤- **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى:** لمحمد الصالح العثيمين، تعليق وتخريج: أشرف عبد المقصود، أضواء السلف، أصداء المجتمع، الرياض، بريدة، طبعة جديدة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١١٥- **الكبائر:** لمحمد بن عبد الوهاب، تحقيق: إسماعيل الأنصاري، مطابع الرياض، الطبعة الأولى.

١١٦- **الكبائر**:المنسوب لمحمد بن عثمان الذهبي، دار الندوة الجديدة، بيروت.

١١٧- **كتاب الإيمان:** لمحمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، تحقيق: علي محمد الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١١٨- **كتاب العين:** للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١١٩- **كتاب الكليات:** لأيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٢٠- **كتاب اللامات:** لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

١٢١- **كشاف القناع عن متن الإقناع**: لمنصور بن يونس البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي، مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ.

١٢٢- **كشف الشبهات**: لمحمد بن عبد الوهاب، شرح: حمد الحمد، مكتبة الفرقان، عجمان، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٢٣- **الكواشف الجلية عن معاني الواسطية**: لعبد العزيز المحمد السلمان، الطبعة التاسعة عشرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٢٤- **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**: لنجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٢٥- **لباب التأويل في معاني التتريل (تفسير الخازن)**: لعلي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، المشهور بالخازن، تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٢٦- **لسان العرب**: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

١٢٧- **لسان الميزان**: لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية.

١٢٨- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**: لأبي العون محمد بن أحمد السفاريني، (ت: ١١٨٨هـ)، مؤسسة ومكتبة الخافقين، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٢٩- **مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري**: لمحمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، مكتبة الأسرة، ١٩٩٩م، بالاشتراك مع الهيئة المصرية للكتاب.

١٣٠- **مباحث العقيدة في سورة الزمر**: لناصر بن علي عايض الشيخ، رسالة ماجستير من شعبة العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة١٤٠٦هـ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٣١- **مجلة البحوث الإسلامية**: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، العدد: (٨٢)، الرياض، ١٤٢٨هـ.

١٣٢- **مجموع الفتاوى**: لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٣٣- **مختار الصحاح**: لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة جديدة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٣٤- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، (ابن قيم الجوزية)، تحقيق محمد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

١٣٥- **مدارك التتريل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)**: لعبد الله بن أحمد النسفي، أبي البركات، تحقيق: عبد المجيد طعمه علي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٣٦- **المستدرك على الصحيحين**: لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

١٣٧- **المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام**: لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، (١٤٢١هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٣٨- **مسند أحمد بن حنبل**: لأحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

١٣٩- **معارج القبول بشرح سلم الوصول**: لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٤٠- **معالم التنزيل (تفسير البغوي)**: للحسين بن مسعود البغوي، (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق وتخريج: محمد النمر، عثمان جمعة، سليمان الحرش، دار طيبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٤١- **معجم الأدباء**: لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١٤٢- **المعجم الصغير للطبراني**: لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١٤٣- **معجم المؤلفين**: لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١٤٤- **المعجم الوسيط**: لإبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

١٤٥- **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**: لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق: أ. د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

١٤٦- **المعمرون والوصايا**: لأبي حاتم السجستاني، سهل بن محمد، (ت: ٢٤٨هـ)، تحقيق: محمد أمين الكتبي، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٣هـ-١٩٠٥م.

١٤٧- **الملل والنحل**: لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٤٨- **منهاج السنة النبوية**: لشيخ الإسلام بن تيمية، د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى.

١٤٩- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**: ليحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٥٠- **منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة**: لعثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٥١- **موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)**: بإشراف الشيخ: صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، الثانية، الثالثة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٥٢- **موسوعة العقيدة والأديان، (العقيدة الدينية نشأتها وتطورها)**: د. فرج الله عبد الباري، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

١٥٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف:د.مانع الجهني، الناشر:دار الندوة العالمية.

١٥٤- **النبوات**: لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٥٥- **الهداية إلى بلوغ النهاية**: لأبي محمد مكي القيرواني، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة بإشراف: أ. د. الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة/ الإمارات العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٥٦- **الوافي بالوفيات**: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٥٧- **وسطية أهل السنة بين الفرق**: د. محمد باكريم محمد باعبد الله، دار الراية، الرياض، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م. موقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبد الرحمن بن صالح المحمود.

١٥٨- **وفيات الأعيان**: لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة: (١- ٧)، ١٩٠٠م-١٩٤٩م-١٩٧١م.

١٥٩- **الوفيات**: لأحمد بن حسن الخطيب، (٧٤٠-٨٠٩هـ)، تحقيق: عادل نويهض، دار الإقامة الجديدة، بيروت، ١٩٧٨هـ.

فهرس الموضوعات